

الدكتور فتحي عبد الفتاح الهمي

الإيجاز الحروفي
في
القليل الذي يحكي



مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
لسان العرب



مكتبة الفلاح



الْأَجْازُ الْحُرْفِيُّ
فِي
الْقِلْزُ الْكِبِيرِ



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com رابط بديل

الابعاز النحوی
بـ ف

القلزال خواجہ جنی

تألیف
الدكتور فتحی عبدالفتاح الرزباني



مکتبۃ الفلاح

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٠٤ - ١٩٨٤م

مكتبة الفلاح - الكويت
ص.ب ٤٨٤٨ - الكويت - شارع بيروت - عمارة المساوي
 مقابل بريد حولي - تلفون ٥٤٧٧٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مَا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
فَأَتُوا إِسْوَارَةً مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شَهِداءَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ
الْبَقَةُ ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَهْمِيد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين ، وبعد .

تفق هذه الدراسة مع كتاب الله الخالد ، قرآنا الكريما ، الذي غيرَ
تعاليمه مسار البشرية جماء ، وأخرج جهم من الظلمات إلى النور والهدایة .
وقد جاء هذا السفر الخالد هادياً ومبشراً ونذيراً مُتحدياً كُلَّ منْ دَبَّ على وجه هذه
الأرض زماناً ومكاناً كَمَا وَكَيْفَا وقد وقف أهل البيان من العرب وغيرهم من الأمم
الأخرى أمام تعاليمه وأسلوبه حائرين ، مبهورين ، تائعين ، عاجزين ، حتى
جاءتهم البينات والهدایة إذ أخذوا يدخلون في هذا الدين العظيم أنفوا جانباً لأنهم
وجدوا ضالتهم المنشودة ، عدلاً وأمناً ورحمةً وعلواً . يأتونَ أَمَّ القرى من كُلِّ
حَدَبٍ وصُوبٍ راجلينَ لِيسْمَعُوا مُحَمَّداً الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شارحاً لَهُمْ
نورَ الهدایة رسالته الأخيرة إلى هذا العالم قاطبة .

وبعد أن إقتنع مَنْ كُتِبَ لَهُ الْخَلُودُ ، أَخْذَ هَذَا الدِّينَ يَنْمُو وَيَزْدَهُرُ قَاطِعاً
ربوع الجزيرة العربية مُحَطِّماً أسوارَ الْبَاطِلِ مِنْ وَثِيقَةٍ وَمَجْوِسَيَّةٍ وَضَلَالَ وَاصْلَأَ
مسيرته إلى شعوب المعمورة كافة ثابتاً راسخاً حتى يرث الله هذه الأرض ومن
عليها .

هَبَّ أَهْلُ الْبَيَانَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ يَنْهَلُونَ مِنْ عِلْمَوْهُ الزَّاهِرَةِ وَبِيَانِهِ
الْخَلَاقُ يَدْرُسُونَ تَعْالَيمَهُ السَّامِيَّةَ مُفَصِّلِينَ ، مُحَقِّقِينَ ، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ وَاضْحَى

فيما تركوه لنا من تراث علمي ينخر بفتون الفكر من تفسير وفقه وفلسفة ولغة ، وغير ذلك من العلوم الإنسانية . التي لم نزل نعيش في ظلالها إذ غدت جنة وارفة الظلال ، شهية التمر ، خصيبة الجوانب أنارت العالم أدباً وفكراً وحضارة .

ويجدر بنا أن نشير إلى حقيقة حرية بالإعتبار وهي : كلما إتسعت جوانب المعرفة وكثرت المذاهب وتعددت الآراء والنظريات الوضعية إزداد المؤمنون تعلقاً بالقرآن وعلومه التي لا يحاط بها .

وببدأ العلماء يدرسون سرّ الإعجاز في قرآنهم الكريم ، الذي تحدى العالم إنساً وجناً ، ﴿ قل لئن اجتمع الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ وأخذوا يبحثون عن مواطن إعجازه وذهبوا في ذلك مذاهب متباعدة السبب متقدمة الهدف بأنه معجزة محمد لهذا الكون ، فرأى بعضهم أن سر إعجازه قد يعود إلى قوة أسلوبه وجزالة نظمه ، ورأى آخرون أنه معجز في تعاليمه وفكره وما يحتوي على علوم غيبية وقصص الأولين والآخرين . ورأى قوم أنه معجز بتأثيره النفسي على القلوب ومنهم من قسم أوجه إعجازه إلى عدة أقسام والحقيقة الساطعة التي لا مراء فيها أن القرآن الكريم معجز في كل شيء فهو إعجاز مطلق ولن أغالي إذ أؤكّد أنَّ كُلَّ حرف وكل كلمة وكل جملة في التركيب القرآني تشير إلى عظمته وسرّ إعجازه . فهو معجز في جمعه وفي ترتيبه ، وفي المتلقى والسامع لما فيه من إعجاز فكري ولغوي وبلاغي وإقتصادي وسياسي وإجتماعي ليس في طاقة البشر الإحاطة به لأنَّه محفوظ من مُنزَّلِه العظيم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرْزَقُنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وهذا الحفظ الإلهي لم يأتِ إلَّا للقرآن الكريم دون سواه من الكتب المقدسة السابقة .

أمّا الدراسات التي تناولت النص القرآني ، فقد جاءت معظمها مرکزة

على الجوانب البينية والمعنوية ، وما فيه من أخبار عن الأمم السابقة ، والعلوم الغيبية . أما الإعجاز النحوي فلم ينل حظاً وافراً من الدراسة والبحث اللهم إلا ما ندر من إشارات حول بعض الظواهر .

وإننا نحاول في هذه الدراسة المستحدثة أن نقدم لأول مرة في تاريخ الدراسات النحوية بحثاً عن الظواهر الإعجازية النحوية التي برزت في التركيب القرآني ، منطلقين من قاعدة يقينية ؛ وهي أن كُلَّ ما في كتابنا الخالد معجز ، معتمدين في ذلك على الله وعلى ما وصلنا إليه من نتائج في أثناء دراستنا لهذا البحث . وإنني أعترف أن كُلَّ محاولة وكل دراسة حول هذا الموضوع ستبقى قاصرةً للوصول إلى سُمُّ الكتاب وعظمته وسِرِّ إعجازه وإنَّ الإعْجَازَ والتحدي قائمان إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

أما موضوع دراستنا فهو الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، إذ أدت طبيعة البحث أن يكون في ثلاثة أبواب ، يبدأ بـ مقدمة ، موزعاً على اثنى عشر فصلاً .

المقدمة

أشرت في المقدمة إلى معنى الإعجاز لغةً وإصطلاحاً كما بينت معنى الإعجاز في الإصطلاح الاجتماعي .

الباب الأول (دراسات العلماء في الإعجاز القرآني)

الفصل الأول : المعجزة القرآنية

تحدثت في هذا الفصل عن الظاهرة الإعجازية في القرآن الكريم ، وبيّنت أنها تجاوزت طاقة البشر كافة ، مشيراً إلى رأي العلماء ؛ كابن العربي ، والسيوطبي ، والقرطبي ، والقاضي عبد الجبار ، مبيناً معنى المعجزة القرآنية عند العلماء ، وفي لسان الشرع .

الفصل الثاني : معجزة الأنبياء

تحدثت في هذا الفصل عن معجزة الأنبياء عليهم السلام مشيراً إلى المعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم مُبتدئاً بنوح عليه السلام ذاكراً رأي العلماء ، ثم معجزة هود عليه السلام ، وصالح وإبراهيم وسليمان عليهم السلام .

الفصل الثالث : آراء العلماء

بيّنت في هذا الفصل آراء العلماء حول معجزة الرسول محمد عليه السلام . وكيفية خلودها ، وأنّها مخالفةٌ عن معجزة الأنبياء السابقين . كما بيّنت الكتب التي تحدثت عن معجزة القرآن ، ووجدنا أن العلماء قد إختلفوا حول سير الإعجاز إذ رأى بعضهم أن الإعجاز يعود إلى أسلوبه الباهر لما فيه من نظمٍ وتاليفٍ وترصيفٍ وفصاحةٍ وقسمٌ ثانٌ يرى أصحابه أنَّ أوجه الإعجاز متعددةٌ فهو إعجاز كليٍ . وقسمت كُلُّ طائفةٍ قسمين : فأصحاب القسم الأول هم : الجاحظ والخطابي والجرجاني والزمخشري وإبن عطية الغناطي والرازي وحازم القرطبي مبيناً آرائهم .

أما أصحاب القسم الثاني ، فهم أبو الحسن الرماناني وأبو بكر الباقلاني والقاضي عبد الجبار والقاضي عياض وأبو يعقوب السكاكيني والزمكاني والسيوطني ، مبيناً آرائهم في ذلك .

الفصل الرابع : العلماء المحدثون

تكلمت في هذا الفصل عن الدراسات التي قام بها العلماء المحدثون حول الظاهرة الإعجازية ، فيبيّنت رأي الرافعي والشيخ محمد أبو زهرة والدكتورة عائشة عبد الرحمن ، والأستاذ عبد الكريم الخطيب ، والشيخ محمد

متولي الشعراوي والسيدة نعمت صدقي وذلك من خلال كتبهم في الدراسات الإعجازية .

الباب الثاني (الإعجاز النحوي)

الفصل الأول : النحو والقرآن

تحديث في هذا الفصل عن النحو وإهتمامهم بالنص القرآني ، وحث المسلمين على تعلم النحو ، وخاصة إعراب القرآن وقراءته ، وأسباب نشأة النحو . كما تحدثت عن بوادر اللحن والاستشهاد القرآني في كتابي « الكتاب » لسيبويه والمقتضب للمبرد مبيناً ذلك كمّا وكيفاً .

الفصل الثاني : الظاهرة الزمنية

أفردت في هذا الفصل حديثاً عن الظاهرة الزمنية في الأفعال العربية وأقسامها المشهورة لدى النحو - المضارع والماضي والأمر ، وبينت رأي كل من سيبويه والمبرد وقدمت دراسة نموذجية من الإسناد الوضعي عند شعراء المعلقات وبعضاً من أقوالنا الوضعية ثم جنحنا للدراسة الأمر في القرآن الكريم وبينت أن تلأمر في القرآن الكريم يختلف عن الأمر في الأفعال العادية وفي الإسناد الوضعي وأنَّ الفعل القرآني فعلٌ معجزٌ ويمر في مراحل ثلاثة ؛ أمر خالد مستمر ؛ وأمر لم يحدث ؛ وأمر قاس عليه النحو وكل دراستنا جاءت معززة بالشواهد .

الفصل الثالث : الفعل المضارع

تحديث في هذا الفصل عن المضارع وبينت رأي ابن مالك الذي يعتبر ممثلاً لأراء النحوة السابقين لعصره من جهة ، واللاحقين الذين أخذوا عنه من

جهة أخرى ، وقدمت نماذج للمضارع في الإسناد الوضعي وبخاصة عند الشعراء القدماء ، وتحدثت عن المضارع القرآني وبيّنت الظاهرة الإعجازية فيه إذ بيّنت أن المضارع في القرآن يأتي على أقسامٍ زمنيةٍ أُنِّي للإسناد الوضعي أن يصل إليها ، مضارع معجز مستمر الحدث حتى يرث الله هذه الأرض ، وأخر غير مرتبط بزمن معين .

وقدّم لم يحدد إلا بعد هذه الحياة الفانية وذلك يوم الحشر وقسمٌ مُساوٍ للأفعال التي قاس عليها النهاة .

الفصل الرابع : الفعل الماضي

بيّنت آراء النهاة حول الزمن في الفعل الماضي ، كما قدمت نماذج مختلفة للإسناد الوضعي في الشعر العربي والنظم العادي . ثم قدمنا نماذج قرآنية للفعل الماضي من قرآننا الكريم . وقد بيّنت بوضوح لا لبسَ فيه مواطن الإعجاز النحووي وقد جاء الفعل الماضي عدة أقسام : قسمُ الْغَيْثُ في الظاهرة الزمنية وقسم آخر لم يحدث وقسم ثالث شبيه بالذي قاس النهاة عليه .

الباب الثالث : الفواتح القرآنية

الفصل الأول : موقف علماء التفسير من الفواتح

تحدثت في هذا الفصل عن عدد الفواثق في السور القرآنية وآراء العلماء حولها وقد إنقسم العلماء حول معانٍها إلى أقسامٍ متباينة وأمكننا أن نجعلها تسير في إتجاهين ، وآراء العلماء في هذا الشأن ، رأي القرطبي ، رأي الشيخ عبد الله الحنفي ، رأي النيسابوري .

الفصل الثاني : معانٍ الفواثق

بيّنت في الفصل السابق أن علماء التفسير قد اختلفوا في معانٍ الفواثق

القرآنية وقمنا بذلك قسمين : قسم رأى أنها أدوات وحروف الهجاء ، وقسم رأى أنها سر من أسرار الله ، وهي سر القرآن لأن لكل كتاب سراً والفواتح سر القرآن وقيل إنها أسماء الله عز وجل أو عدة بقاء هذه الأمة . وموقف العلماء : القرطبي ، الطبرى ، أبي علي الطبرسى ، الثعالبى ، البيضاوى ، الفراء السهيلى مناقشة الآراء .

الفصل الثالث : الفواتح والأعراب

تحدثت في هذا الفصل عن شيوخ المدرسة البصرية ، الخليل بن أحمد وسيبوه وأقوالهما في إعراب الفوataح القرآنية ثم موقف نحاة الكوفة ، وأراء شيوخهم في إعراب الفوataح ، أبو جعفر الرؤاسي ، الكسائي ، ألفراء ثم نماذج من إعراب الفراء للفوataح .

الفصل الرابع : « نحاة متأخر ون »

تحدثت عن موقف النحاة المتأخرین في إعرابهما للفوataح القرآنية ، وكيفية معالجتها ، إذ تحدثت عن العلماء الذين ألفوا كتاباً في إعراب القرآن الكريم منهم أبو محمد مكي القيسي المتوفى ٤٢٦ هـ وإعرابه للفوataح من خلال كتابه ، مشكلاً إعراب القرآن ، والأبناري المتوفى ٥٧٧ هـ من خلال كتابه البيان في إعراب غريب القرآن ، والعُكْبَرِي المتوفى ٦١٦ هـ من خلال كتابه إملاء ما من به الرحمن ، ومن المفسرين الزمخشري من خلال كتابه الكشاف ، وأبو حيان من خلال كتابه البحر المحيط وغيرهم .

وبعد ،

أرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت في دراستي لهذا الجانب الشريف من كتابنا العظيم مع يقيني المطلق أن البحث في الإعجاز القرآني يفوت محاولة البشر كافة ، وكل ما قدم من دراسات في هذا الميدان الكبير ما هي إلا

وقفةً تأملُ إِسْتِطاعَتْ حِينَأَ التَّعْرُفَ عَلَى جَانِبٍ بَسيِطٍ مِنْ سُرِّ إِعْجَازِهِ الْكَبِيرِ الَّذِي
لَيْسَ بِطَاقَةِ الْبَشَرِ الْإِحْاطَةُ بِهِ وَسَيِّقَ مُعْجِزاً حَتَّى يَرَثَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَرْضَ وَمَنْ
عَلَيْهَا .

وَإِنْ عَمَلَ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَعْرَضٌ لِلْخَطَا وَالنَّسِيَانِ وَلَا أَبْرِيءُ نَفْسِي
مِنْ زَلَةِ السَّهُوِ وَأَمَلُ مَخْلُصٍ النِّيَةِ ، صَادِقٌ القَوْلُ أَنْ يَلْقَى هَذَا الْعَمَلُ الْفَائِدَةُ
الْمَرْجُوَةُ خَدْمَةً لِدِينِنَا إِسْلَامِيِّ الْحَنِيفِ وَأَنْ يُنْتَفَعُ بِهِ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالُ وَلَا بَنْوَنُ إِلَّا
مِنْ آتِيِ اللَّهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ كُلُّ مَا كَتَبَتْهُ خَالِصًا لِوَجْهِ الْكَرِيمِ .

وَاللَّهُ الْمُوْفَقُ .

المؤلف

فتحي الدجني .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

مَعْنَى لِإِعْجَازٍ

تمهيد :

يُجدر بنا أن نشير في هذا البحث إلى معنى الكلمة « عَجَزٌ » في كل من اللغة والإصطلاح . وقد يلحظ الباحث في معاجم اللغة العربية أن علماء اللغة - خاصة أصحاب المعاجم - قد ركزوا إهتمامهم على مصدر الكلمة وطرق الكشف عنها ، أما المادة الإشتقاقية فلم تزل حظاً وافراً من حيث الترتيب الإشتقافي ، إذ نلاحظ أنهم حيناً يبدأون بالمصدر ثم الجمع ثم إسم الفاعل ثم يعودون للفعل ثانية وهكذا ، أو يبدأون بالفعل ثم المشتقات وهلْمَ جَرَأً^(١) . ونود أن نشير في دراستنا لمعنى الكلمة « عَجَزٌ » في اللغة ، على نظام مغایر لما جاءت به المعاجم اللغوية متزمن بالظاهرة الأصولية التي سار عليها علماء النحو والصرف معاً .. أي نبدأ بالفعل والمصدر ثم بالمشتقات .

أولاً : معنى « عَجَزٌ » لغة .

القسم الأول : - الفعل والمصدر

(١) انظر على سبيل المثال مادة « عجز » في كل من لسان العرب ، تاج العروس والصحاح وتهذيب اللغة والمحكم وقد سبق للمرحوم الشيخ محمد الخضر حسين أن أشار إلى إضطراب المعاجم في تعين إسم المصدر قال : أريد أن أطرح على بساط المؤتمر الموقر بحثاً في كلمة ترد في معاجم على وجه غير منضبط وغير واضح يريد إسم المصدر . انظر مجلة المجمع اللغوي مج ١٤٧/٨ القاهرة .

عَجَزٌ - عَجَزٌ - أَعْجَزٌ - عَاجِزٌ - تَعْجِيزٌ - إِعْجَازٌ .

(١) التقصير والضعف :

تحدث علماء اللغة عن معنى الفعل عَجَزٌ وبنائه الثلاثي : مع^(١) مضارعه : عَجَزٌ بفتح الجيم كباب نصر تقول في مضارعه يَعْجُزُ بضم الجيم وعَجَزٌ بفتح الجيم أيضاً كباب ضرب تقول : تَعْجِيزٌ بكسر الجيم ، وعَجَزٌ بكسر الجيم كباب سميع تقول في مضارعه يَعْجُزُ بفتح الجيم وعَجَزٌ بضم الجيم كرم تقول في مضارعه : يَعْجُزُ بضم الجيم^(٢) أما عَجَزٌ وأَعْجَزٌ وعَاجِزٌ متعدياً فلا خلاف في أبنيتها .

تقول : « عَجَزٌ وعَجَزٌ وعَجَزٌ ، عَاجِزٌ » عَجَزٌ يَعْجِيزُ عن الأمر إذا قصر عنه وعَجَزٌ بكسر الجيم « لغة » ورَجَلٌ ، عَجَزٌ بكسر الجيم وعَجَزٌ بضمها ، وعَاجِزٌ^(٣) أي ضعيف : تقول عَجِزْتُ عن كذا^(٤) .

وفي حديث عمر : « لا تلبوا في دار معجزة » أي : لا تقimوا ببلدة تعجزون فيها عن الإكتساب والتعيش . وعَجَزٌ فلان عن العمل إذا كبر^(٥) وعَجَزٌ بالتضعيف تقول : « عَجَزٌ فلان رأى فلان إذا نسبَه إلى خلاف الحزم كأنه نسبة إلى العجز ، وأَعْجَزٌ ، أَعْجَزْنِي فلان إذا عَجِزْتُ عن طلبه وإدراكه وأعجزه

(١) انظر مادة « عجز » بتصرف لسان العرب ٦٩١/٢ ، تاج العروس ١٣/١٩٩ تهذيب اللغة ٢/٣٤٠ ، الصحاح ٨٨١/٢ ، القاموس المحيط ٢/١٨٠ أساس البلاغة ٤٠٩ والمخصص ٤٤/٢ ، معجم مقاييس اللغة ٤/٢٣١ ، كتاب جمهرة اللغة ٢/٨٩ والمحكم ١١٩/١ ومعجم متن اللغة ٤/٣٥ .

(٢) انظر أبنيه الثلاثي : فعل يفعلُ وفعلٌ يفعلُ وفعلٌ يفعلُ شرح الشافية ١/٦٧ وشرح الملوكي ص ٥٠ والكتاب ٢/٢٢٢ ، ٢٢٣ ، والمزهر ٢/٣٧ ، ٣٨ وفي الصرف العربي ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ وما بعدها .

(٣) لسان العرب مادة عجز وتهذيب اللغة ، تاج العروس ، الصحاح والمخصص ومعجم مقاييس اللغة بتصرف .

(٤) الصحاح مادة « عجز » ومعجم مقاييس اللغة .

(٥) أساس البلاغة مادة « عجز » .

الشيء عَجِزَ عنـه ، فإنه وـجـده عـاجـزاً .

وعـاجـزـ القـوم تـرـكـوا شـيـئـاً وـأـخـذـوا فـي غـيرـه وـيـقـال فـلـان يـعـاجـزـ عنـ الـحـق إـلـى
الـبـاطـل أـي : يـلـجـأـ إـلـيـه أـو يـمـيلـ إـلـيـه وـيـلـتـجـئـ .

قال الشاعر :

جـعـلـتـ عـزـانـ خـلـفـهـم دـلـيـلاً وـفـائـوا فـي الـحـجـازـ لـيـعـجـزـونـي

قال صاحب اللسان : « قال ابن عـرـفـه في قـولـه تـعـالـى « مـعـاجـزـينـ » أـي
يـعـاجـزـونـ الـأـنـبـيـاءـ وـأـوـلـيـاءـ اللهـ أـي : يـقـاتـلـونـهـمـ وـيـمـانـعـونـهـمـ لـيـصـيرـوـهـمـ إـلـىـ الـعـجـزـ
عـنـ أـمـرـ اللهـ وـلـيـسـ يـعـجـزـ اللهـ جـلـ ثـنـاؤـهـ خـلـقـ فـيـ السـمـاءـ وـلـاـ فـيـ الـأـرـضـ » .

(٢) التـشـيـطـ (١) .

ذـكـرـ عـلـمـاءـ الـلـغـةـ فـيـ مـصـدـرـ عـجـزـ - بـتـضـعـيفـ الـجـيـمـ - تـعـجـيـزـاًـ قـالـواـ :
الـتـعـجـيـزـ التـشـيـطـ ، وـمـعـنـاهـ إـلـيـشـنـغـالـ عنـ الـأـمـرـ أـيـضاًـ « ثـبـطـهـ عنـ الـأـمـرـ تـبـطـاًـ شـغـلـهـ
عـنـهـ » .

قال صاحب النـاجـ : « وـالـتـعـجـيـزـ : التـشـيـطـ » وـبـهـ فـسـرـ قـولـ منـ قـرـأـ « وـالـذـينـ
سـعـواـ فـيـ آـيـاتـنـاـ مـعـاجـزـينـ » (١) أـيـ مـبـطـيـنـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ اـتـبـعـهـ
وـعـنـ الـإـيمـانـ بـالـآـيـاتـ وـالـتـعـجـيـزـ النـسـبـةـ إـلـىـ الـعـجـزـ وـقـدـ عـجـزـهـ وـيـقـالـ : عـجـزـ فـلـانـ
رـأـيـ فـلـانـ إـذـاـ نـسـبـهـ إـلـىـ قـلـةـ الـحـرـمـ كـأـنـهـ نـسـبـةـ إـلـىـ الـعـجـزـ » (٢) .

(٣) الـفـوتـ وـالـسـبـقـ :

أـمـاـ الـأـعـجـازـ فـهـوـ مـصـدـرـ « أـعـجـزـ » قـالـ الـأـزـهـرـيـ : « الـإـعـجـازـ الـفـوتـ

(١) لـسـانـ الـعـرـبـ مـادـةـ « عـجـزـ » وـنـحوـهـ تـهـذـيبـ الـلـغـةـ وـقـامـوسـ الـمـحـيـطـ .

(٢) لـسـانـ الـعـرـبـ مـادـةـ « عـجـزـ » .

(٣) سـوـرـةـ الـحـجـجـ آـيـةـ « ٥١ـ » وـسـوـرـةـ سـبـأـ آـيـةـ « ٥ـ » .

(٤) نـاجـ الـعـرـوـسـ مـادـةـ « عـجـزـ » .

والسابق تقول أَعْجَزْنِي فَلَانْ أَيْ فَانِي » وَقَالَ الْلَّيْثُ : أَعْجَزْنِي فَلَانْ إِذَا عَجَزْتَ
عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْشَى :

فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الْمَوْتِ رَبَّهُ
وَلَكِنَ أَتَاهُ الْمَوْتُ لَا يَتَابُقُ^(١) .

قَالَ الزَّبِيدِي وَفِي التَّكْمِلَةِ أَعْجَزُهُ صَيَّرَهُ عَاجِزاً ، أَيْ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَاللَّحْوِ
بِهِ^(٢) . وَقَالُوا : « جَاؤَ وَابْجِيشَ تَعْجِزَ الْأَرْضَ عَنْهُ » قَالَ الْفَرِزَدِقُ :
فَإِنَّ الْأَرْضَ تَعْجِزُ عَنْ تَمِيمٍ وَهُمْ مِثْلُ الْمُعَبَّدَةِ الْجَرَابِ^(٣) .

الْقَسْمُ الثَّانِي لِمَعْنَى مِشَقَاتِ « عَجَزْ » لِغَةً .

ذَكَرَ أَصْحَابُ الْمَعَاجِمِ أَنَّ لِمِشَقَاتِ « عَجَزْ » الْلُّغُوِيَّةِ مَعَانِي مُتَبَايِنَةٍ
وَلِذَلِكَ نَحْبُ أَنْ نُشِيرَ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْإِبْجَازِ وَهِيَ مَرْتَبَةٌ كَمَا يَلِي :

« عَاجِزاً » - عَجَزْ - عَجِيزْ - مُعْجِزَةً بِكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِهَا - وَمُعْجَازْ -
وَمَعْجُوزْ - عَجُوزْ - عَجَزَاءُ - عَجَازُ وَعِجَازَةً .

١ - « عَاجِزاً » « عَجَزْ » بِضمِ الْجِيمِ ، الْمُضَعِيفُ وَالْعَاجِزُ : إِسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ
عَجَزَ فَتَقُولُ : رَجُلٌ عَاجِزاً يُ : ضَعِيفٌ ، وَتَقُولُ : رَجُلٌ عَجَزٌ وَعَجَزُ^(٤) .
وَامْرَأَةٌ عَاجِزاً ، عَاجِزَةٌ عَنِ الشَّيْءِ^(٥) وَالْجَمْعُ عَوَاجِزٌ وَعَجَزُ كَخَادِمٍ وَخَدْمٌ^(٦) .

٢ - « الْعَجَزْ »^(٧) بِسَكُونِ الْجِيمِ ، مَؤْخِرِ الشَّيْءِ ، وَمَقْبِضُ السَّيْفِ ، دَاءً

(١) تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ مَادَةُ « عَجَزْ » بِتَنْصُرِ وَتَاجِ الْعَرَوْسِ وَمَعْجِمِ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ / ٤ ٢٣٢ .

(٢) تَاجُ الْعَرَوْسِ « عَجَزْ » .

(٣) أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ « عَجَزْ » ص ٤٠٩ وَمَا بَعْدُهَا .

(٤) لِسَانُ الْعَرَبِ « عَجَزْ » وَمَعْجِمُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ .

(٥) الْمُحَكَّمُ : لَابْنِ سَيْدَهُ « عَجَزْ » .

(٦) الْقَامُوسُ الْمُحيَطُ مَادَةُ عَجَزٌ وَنَحْوُهُ وَالْمُخَصَّصُ وَمَعْجِمُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ .

(٧) الْقَامُوسُ الْمُحيَطُ مَادَةُ عَجَزٌ وَنَحْوُهُ وَالْمُخَصَّصُ وَمَعْجِمُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ .

يصيب الدابة . جاءت كلمة العجز بمعانٍ متباعدة ، معجز الشيء مؤخرته ومقتضى السيف وداء في عجز الدابة . قال الزبيدي : « العجز أصله التأخر عن الشيء ، وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره ، وصار في العرف أسماء للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة^(١) .

وقالوا « بنات العجز » أسماء والعجز طائر يضرب إلى الصفة يشبه صوته نباح الكلب الصغير يأخذ السخالة فيطير بها ويحمل الصبي الذي له سبع سنين^(٢) .

٣ - العجيز :

فعيل كأمير : ذكر أصحاب المعاجم أن العجيز هو الذي لا يأتي النساء^(٣) . وقد تستخدم للحيوان أيضاً . جاء في اللسان « فحل عجيز عاجز عن الضراب »^(٤) ويقال فحل عجيز أيضاً بالراء .

٤ - المُعْجِزة بكسر الجيم :

ما أعجز به الخصم عند التحدي ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم والهاء للمبالغة قال الزبيدي : « ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة والجمع « مُعْجِزات »^(٥) .

٥ - المُعْجِزة بـ كسر الميم وفتح الزاي المنطقية في لغة اليمن ، سميت لأنها تلي عجز المنتطق بها^(٦) .

(١) تاج العروس « عَجَزٌ » بتصرف .

(٢) المحكم مادة عَجَزٌ .

(٣) تاج العروس « عَجَزٌ » .

(٤) لسان العرب « عَجَزٌ » والصحاح .

(٥) القاموس المحيط مادة « عَجَزٌ » .

(٦) تاج العروس مادة عجز والصحاح ومعجم متن اللغة .

٦ - المعجَاز بكسر الميم كمِحْرَاب ، الدائم العجز . وأنشد في الحماسة
لبعضهم

وَحَارَبَ فِيهَا يَاسِرُ حَيْنَ شَمَّرَتْ مِنَ الْقِدَمِ مِعْجَازٌ لَئِيمٌ مَكَابِرٌ^(١) .

وقال الفيروز أبادي المعجَاز الطريق »^(٢) .

٧ - عَجُوزٌ عَلَى وَزْنِ « مَفْعُولٌ » .

قال الزبيدي : « والمعجُوز : الذي أَلْحَ عَلَيْهِ فِي الْمَسَأَةِ كَالْمَشْفُوِ
وَالْمَعْرُوكِ وَالْمَنْكُودِ »^(٣) .

٨ - عَجُوزٌ عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ « كَصْبُورٍ » .

ذكر العلماء أن للعجز أكثر من ثمانين إسماً . قال الزبيدي : « قد أكثر
الأئمة والأدباء في جمع معانيه كثرة زائدة ذكر المصنف منها سبعة وسبعين
معنى » . وقال في موضع ثان وللعجز معانٍ تتفاوت على الثمانين معنى »^(٤) .
من الحمر والبقرة والذئب والعقرب والفرس والنخلة والغراب والسيف
والحرب والأرض والسماء^(٥) وزاد الفيروز أبادي عن ذلك إذ قال : « في
معاني العجوز » والألف من كل شيء^(٦) . كما يطلق مصطلح عجوز على
المرأة طاعنة السن والشابة قال الأزهري : « ويقال للمرأة الشابة هي
عجز وللزوج وإن كان حدثاً هو شيخها^(٧) ونوى العجوز ضرب من التوى
يأكله العجوز للينه »^(٨) .

(١) تاج العروس « عَجَزٌ »

(٢) تاج العروس « عَجَزٌ » .

(٣) تاج العروس « عَجَزٌ » .

(٤) تاج العروس بتصرف « عَجَزٌ » وأساس البلاغة ص ٤٠٩ .

(٥) تاج العروس ذكرها كلها تقريباً مادة عجز وسان العرب وتهذيب اللغة

(٦) القاموس المحيط « عَجَزٌ »

(٧) تهذيب اللغة « عَجَزٌ »

(٨) المحكم ١/١٨٠

٩ - عَجْزَاءُ «فَعْلَاءُ»

يقال إمرأة عَجْزَاءُ ، إذا كانت عجيبة لها ضخامة ، ولا يقال رجل أَعْجَزُ وإنما يقال آلي^(١) والجمع عَجِيزَانْ .

والعَجْزَاءُ العظيمة العجز^(٢) من النساء وقيل هي التي عَرَضَ بطنها وثقلت مَأْكَمَتُهَا فَعَظُمَ عَجْزُهَا قَالَ :

هَيْقَاءُ مُقْبِلَةُ عَجْزَاءُ مُدْبِرَةُ ثَمَّتْ فَلَيْسَ يُرَىَ فِي خَلْقِهَا أَوْ^(٣) »

والعَجْزَاءُ رملة مرتفعة وفي المحكم « حَبْلٌ من الرمل »^(٤) وفي التهذيب العجزاء من الرمال : حَبْلٌ مُرْتَفَعٌ كَأَنَّهُ جِلْدٌ لَيْسَ بِرَكَامِ رَمْلٍ « ويقولون عقاب عجزاء للقصيرة الذنب^(٥) والتي في ذنبها ريشة بيضاء أو ريشستان » .

قال ابن دريد وأنشد للأعشى :

وَكَانَّمَا تَبِعُ الصَّوَارُ بِشَحْصِهَا عَجْزَاءُ تَرْزُقُ بِالسُّلْطَىِ عِيَالِهَا^(٦) .

١٠ - والعِجَازُ : كِتَابٌ : عَقَبٌ يَشُدُّ بِهِ مَقْبِضَ السَّيْفِ والعِجَازَةُ : شبيه الوسادة ، تشده المرأة على عجزها لتحسب أنها عجزاء^(٧) .

قال الزبيدي : « العِجَازَةُ بَهَاءُ : مَا يُعَطَّمُ بِهِ الْعَجِيزةُ وَهُوَ شَيْءٌ يُشَبِّهُ الْوَسَادَةَ تُشَدُّهُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَجْزِهَا لِتَحْسِبَ أَنَّهَا عَجْزَاءٌ وَلَا يُسْتَبِّنُ بِهَا »^(٨) .

(١) كتاب جمهرة اللغة ٢/٨٩ بتصريف ونحوه الصحاح ٢/٨٨٢ ومعجم مقاييس اللغة ٢/٢٣٢ .

(٢) القاموس المحيط مادة عَجَزٌ المخصص ٢/٤٤ .

(٣) تاج العروس مادة عَجَزٌ .

(٤) المحكم ١/١٨١ وتاج العروس « عَجَزٌ »

(٥) القاموس المحيط عجز ونحوه الصحاح وتهذيب اللغة وتاج العروس

(٦) تاج العروس « عَجَزٌ »

(٧) كتاب جمهرة اللغة ٢/٩٠

(٨) تاج العروس عَجَزٌ والعِجَازَةُ : « دَائِرَةُ الطَّائِرِ » وهي الإصبع التي وراء أصابعه .

ثانياً : الإعجاز في الإصطلاح الاجتماعي :

عندما نقف مع المعنى الإصطلاحي لكلمة « عَجَزٌ » وإشتقاتها المتباينة نلحظ أن هذا المدلول أخذ يميل إلى نوع من الإبهام إذ أننا لا نستطيع الدلالة على مفهومه إلا من سياق الكلام وإن كان المدلول الكلي يدل على الضعف . فمثلاً يقولون : « فلان عنده عجز » فلا يستطيع السامع أن يتبيّن هذا النوع من العجز إلا إذا أضيف لشيء معين إذ يتضح المعنى فيها ، فإن قلنا : فلان عنده عجز مادي ، أو عجز جساني أو عجز عقلي ، إتضح المعنى للسامع والقارئ معاً .. كما نستخدم كلمة عجز في ميدان التجارة والإقتصاد إذ نسمع في بعض الأحاديث أنه قد حدث عجز في الميزان الاقتصادي وعجز في وزارة المالية والتجارة .

ويطلق العامة مصطلح عاجز على الضرير الذي فقد بصره ، كما تطلق هذه الكلمة على الإنسان الذي لا يستطيع القيام بعمله إذ يقولون : فلان عَاجِزٌ عن عمل الشيء ، أو عاجز عن القيام بالواجب ، وقد حاول بعض الباحثين أن يضيفوا مصطلحات حديثة على بعض الكلمات في المعاجم العربية القديمة كما حدث في الصحاح للجوهري ^(١) وفي لسان العرب لابن منظور ^(٢) وخاصة المحقق الرابع للكتاب ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى بعض الأقوال التي تخص ما نحن بصدده ، ونسبة هذه الآراء لمجمع اللغة العربية في مصر . قال العجز ^(٣) : عدم القدرة على أداء وظيفة ما ويكون عادة من جراء ضرر أو ضعف يلحق البنية وقد القدرة البدنية والتقص في القدرة على العمل .

وعُرفَ العجز عند علماء الكلام بأنه أمر خارق للعادة مفروض بالتحدي ودعوى ^(٤) النبوة يقصد به إثبات صدق من يدعي الرسالة . والمعجزة بوجه عام

(١) تجدid الصحاح للجوهري ط بيروت .

(٢) لسان العرب لابن منظور ط يوسف خياط .

(٣) تجدid الصحاح للجوهري مج ١ / ٨١ بتصرف .

(٤) انظر الإعجاز والمعجزة في الإصطلاح الديني والبلاغي ضمن هذا البحث .

ما يخرج عن المألوف ويبعث على الإعجاب فيقال «معجزة العلم» «ومعجزة الفن» والحقيقة أن هذا الإطلاق قد تجاوز حدود المصطلح الإعجازي في لغة العرب ..

المخلاصة :

نلحظ أن الإعجاز لغةً وإصطلاحاً قد جاء متقارباً وذلك في بعض المعاني كالضعف والتبيط والتقصير وما وقع في تلك الدائرة من معانٍ .

كما خضع لمعانٍ متباعدة أشرت لمعظمها فيما سبق ، أما إطلاق مصطلح المعجزة في مجالات الأداب والفنون والعلوم وغير ذلك من مجالات الحياة ، فهو إطلاق جاء على سبيل المجاز لا الحقيقة ، وذلك لأن الإعجاز الحقيقي لا يستطيع البشر أن يقوم به فهو دونهم قاطبة ، لأنه وقف على الخالق العظيم وموهبة وعطاء منه جل جلاله ، وهبها للأنبياء وحدهم ، وهو الذي اختارهم واصطفاهم من بين الملايين من البشر ، والمعجزة لم تُعطَ لغيرهم وهو سر من أسرار هذا الكون الرهيب وكانت آخر معجزة شرفت الأرض بنزولها هي معجزة القرآن الكريم نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

البَابُ الْأَوَّلُ

دِرَاسَاتُ الْعُلَمَاءِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

الْمَعْجَزَةُ الْقَرَانِيَّةُ

قبل أن نتحدث عن المعجزة القرآنية في مجال اللغة وخاصة الظاهرة النحوية نحب أن نقرر أن كل محاولة في دراسة الظاهرة الإعجازية تبقى دون الوصول إلى ما فيها لأنها تجاوزت كل طاقة إنسانية لمعرفة وتدبر سره الخالق وسر تركيبه ونظمه . فأنني لباحث أو عالم هذا الإدراك^(١) .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامٍ وَالْبَحْرِ يَدِهِ مِنْ بَعْدِ ، سَبْعَةَ أَبْحَرٍ مَا نَفَذْتَ كَلِمَاتَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢) . إننا في الحقيقة أمام كتابَ عظيم ، أمام إعجاز مذهب لا يستطيع البشر مهماً أöttى من علم وقدرة خارقة إلا أنْ قَفِفَ عاجزاً عن إدراكه مذهولاً ببيانه ، وفصاحته ، فهو بحر زاخر بالعلوم والأخلاق والفضيلة والعقيدة ورسم الحياة ، لا قرار له ولا ساحل ، لكنه حبيب للنفس والقلب ، يهز الوجدان يبعث الطمأنينة والسكينة لمن قرأ فيه آية « أو سورة » وأمن بتعاليمه ، وعاش في كنفه وتحت ظلاله . إنه القرآن الكريم الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وجعلنا « أمة الإسلام » خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله ، وهذه الصفات من أسمى الصفات التي رسمها الخالق لهذه الأمة المختارة .

١ - معرك القرآن ١/١١

٢ - سورة لقمان آية ٧

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإِسْرَاءٌ ٩)

وأعترف بأنها محاولة تقوم على الإِجْهاد سائلين الله الكرييم أن نوفق بها أو ببعضها خدمةً لهذا الكتاب العظيم الذي أعجز العالم قاطبةً ، يتحدى البشر في كل زمان ومكان بأسراره الكونية وعلومه الباهرة وبيانه الساحر وفكره الأخاذ ورسمه لصورة واضحة للعدل والقصاص في كل شيء للخير والشر للحب والحياة إنه كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١) . قوله تعالى ﴿ مَا فَرِطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢) . إنه معجزة خالدة ثابتة حتى يوم القيمة ليس له « عصر » معين ولا زمن محدد إنه إعجاز خالد حتى تقوم الساعة ونقرر في هذا الشأن أن القرآن الكريم ليس معجزاً في ظاهرة من ظواهره فحسب كالأعجاز البلياني أو الفكري أو الغيبي بل هو إعجاز في كل ما فيه من تركيب (٣) .

في كل آية وفي كل كلمة وفي كل صيغة وفي كل خبر وفي كل سؤال في كل حرف في كل بناء فهو إعجاز مطلق في كل شيء نزولاً حفظاً جماعاً والمحافظة ليس من العرب أو المسلمين فحسب بل من الله حيث قال جل شأنه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤) . وحاول بعض العلماء أن يحدد علوم القرآن إذ قال : « ذكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب قانون التأويل » : « إن علوم القرآن خسون على وأربعين آلة وسبعين ألف علم وسبعين ألف على عدد كلم القرآن مஸروبة في أربعة » (٥) .

وعندما نقف مع الرأي السابق ، نلحظ أنه في حاجة إلى تعديل لأن علوم القرآن لا تختص وهي من نعم الله الكرييم .

١ - التحليل ٨٩
٢ - الانعام ٣٨

٣ - أنظر معرتك القرآن في إعجاز القرآن ١/١ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٩٤ ، وما بعدها .
وج ٢ / ص ١٤ - ٢٧ - ٥٤ - ٧٤ - ٨٥ - ٩٤ - ١٠٨ - ١٢٦ - ١٦١ - ١٧١ - ١٨١ - ١٩٥ - ٢٠٧
- ٢١٧ - ٢٢٤ - ٢٣٩ - ٢٢٩ - ٢٤٢ - ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - وما بعدها .

٤ - سورة الحجر آية رقم ٩ .

٥ - البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

إِذْ قَالَ تَعَالَى : « وَإِنْ تَعْدُوا نَعْمَةَ اللهِ لَا تَحْصُوهَا »^(١) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ »^(٢) وَقَوْلُهُ : « لَوْ أَعْطَى الْعَبْدَ بِكُلِّ حِرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَلْفَ فَهِمَ لَمْ يَلْعَنْ نَهَايَةً مَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ »^(٣) .

أَمَا السِّيوطِي فَذَكَرَ عِلُومَ الْقُرْآنِ بِإِيجَازٍ قَالَ : « الْعِلُومُ الَّتِي احْتَوَى عَلَيْهَا الْقُرْآنُ وَقَامَتْ بِهَا الْأَدِيَانُ أَرْبَعَةٌ : عِلْمُ الْأَصْوَلِ وَمَدَارِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى وَصَفَانِهِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَعْرِفَةِ النَّبُواتِ وَإِلَيْهِ إِشَارَةُ بِالَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ وَمَعْرِفَةُ الْمَعَادِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِمَلْكِ يَوْمِ الدِّينِ وَعِلْمُ الْعِبَادَاتِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِإِيمَانِكُمْ نَعْدُ وَعِلْمُ السُّلُوكِ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْأَدَابِ الشَّرِعِيَّةِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِإِيمَانِكُمْ نَسْتَعِنُ أَهْدَنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَعِلْمُ الْقَصَصِ وَهُوَ الْإِطْلَاعُ عَلَى أَخْبَارِ الْأَمْمِ السَّالِفَةِ وَالْقَرْوَنِ الْمَاضِيَّةِ لِيَعْلَمَ الْمُطَلَّعُ عَلَى ذَلِكَ سَعَادَةً مِنْ أَطْاعَ اللهُ وَشَقاوةً مِنْ عَصَاهُ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » فَبِهِ فِي الْفَاتِحَةِ عَلَى جَمِيعِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ وَهَذَا هُوَ الْغَاِيَةُ »^(٤) .

أَمَا الْمَعْجَزَةُ الْقُرْآنِيَّةُ فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ جَاءَتْ لِإِعْجَازِ الْبَشَرِ فِي الْإِيتَيَانِ بِمَثَلِ الْقُرْآنِ وَقَدْ تَحدَّى اللهُ النَّاسَ كَافَةً بِالْإِيتَيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مُثْلِهِ أَوْ بِعَشَرِ سُورٍ مِثْلِهِ .. قَالَ تَعَالَى : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رِيبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مُثْلِهِ وَأَدْعُوا شَهِداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاقْتُلُوا النَّارَ الَّتِي وَقَدَّهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِ بَنِيهِ »^(٥) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « أَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرَاءً قُلْ فَأَتُوا بِعَشَرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَقْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ أَسْطَعْتُمُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوكُمْ فَاعْلَمُوا

١ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ آيَةُ ٣٤ .

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ آيَةُ ٨٩ .

٣ - البرهان في علوم القرآن ٩/١ .

٤ - الإنقاذ في علوم القرآن ٢/١٠٦ ، ١٠٨ يتصرَّف

٥ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ ٢٣ ، ٢٤ .

أَنَّا أَنْزَلْنَا عِلْمًا لِّلَّهِ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ .

وقد تفنن بعض العلماء بتعريف الإعجاز القرآني قال القرطبي : « المعجزة واحدة » معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم ، وسميت بمعجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها ، وشرائطها خمسة فإن اختلف منها شرط لا تكون معجزة .

- ١ - أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله .
- ٢ - أن تخرق العادة .
- ٣ - أن يستشهد بها مدعى الرسالة على الله عز وجل .
- ٤ - أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له .
- ٥ - ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿فَأَنْتُوا بِحَدِيثِ مِثْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) . وهذا القاضي عبد الجبار يقول في هذا الشأن : « أنه يتعدى على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به »^(٢) . كما بين تعذر المعارضة في القرآن^(٣) . قال السيوطي : « المعجزة في لسان الشرع أمر خارق للعادة مقررون بالتحدي سالم عن المعارضة »^(٤) .

١- سورة هود آية ١٣ ، ١٤ .

٢- الجامع لأحكام القرآن ١/٦١ ، ٦٢ بتصريف .

٣- المغني في أبواب التوحيد ٦/٢٢٦ تحقيق أمين الحلواني .

٤- المغني في أبواب التوحيد ١٦/٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ وما بعدها .

٥- الإتقان ١/١١٦ ومقدمة ابن خلدون ص ٩٠ .

الفَصْلُ الثَّانِي

مُعْجَزَاتُ الْأَنْبِيَاءِ

الحقيقة أن معجزات الأنبياء عليهم السلام تحتاج إلى مجلدات لتعريفها كثيرةً وكيفاً ، ولكننا نحب أن نشير إليها بشيء من الإيجاز .

عندما خلق الله هذه الدنيا وبعث آدم عليه السلام ، لنشر الحياة وأسكنه الجنة ، وطلب من الملائكة السجود له فسجدوا إلا إبليس الذي كان من الكافرين . وقد تحدث القرآن الكريم في ذلك إذ قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَلَّا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ أَنْجَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢٤) ثم حدثت المخالفة لأمر الله والأكل من الشجرة المحرمة ثمطرد من الجنة ، إذ قال تعالى في هذا الشأن : ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْتَقْرٍةٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِلْبَنِ﴾ (الأعراف ٢٤) .

فابن قيم الجوزية حول هذه المسألة : « فإن الله سبحانه لما أحبط آدم أبا البشر من الجنة لما له في ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن صفاتها ، فكان إهباطه منها عين كماله ليعود إليه على أحسن أحواله ، فأراد سبحانه وتعالى أن يذيقه الدنيا وغمومها وهمومها »^(١) .

ثم بدأ الخلق في التكاثر والعمران ولم يكن آدم عليه السلام في حاجة إلى معجزة لأن الخلق في عصره كان محدوداً ثم أرسل الله الأنبياء وبعثهم إلى أمم

١ - مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ٣ / ١ ونحوه فتح البيان في مقاصد القرآن ١ / ١١٤ ، ١١٥ .

محددة فأرسل الله إدريساً ثم نوحًا عليهما السلام .

ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى بعض المعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم على سبيل الإشتئاد لا على سبيل الحصر . ومن هذه المعجزات التي جاءت في القرآن الكريم معجزة نوح وسفتيه ، وذلك بعد دعوة طويلة استمرت تسعمائة وخمسين عاماً ، يدعو فيها قومه لعبادة الله عز وجل ، وترك الأصنام ، وينذرهم بعذاب أليم ، إذ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَسِينَ عَامًا فَأَخْذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(١) .

ويقول الزمخشري في هذا الشأن : « وكان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسمائة سنة .. وعاش بعد الطوفان ستين^(٢) وبدأ نوح يدعوه رباه ليساعده ويتوسل إليه قال تعالى : ﴿ رَبُّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴾^(٣) « إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يَضْلُّوْ عَبَادَكَ وَلَا يَلْدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا^(٤) . »

ثم جاءت معجزة الطوفان وأمر الله نوحًا والمؤمنين معه بالركوب في السفينة^(٥) قال تعالى : « وَقَالَ إِرْكِبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بَحْرِهِ وَمَرْسَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَهِيَ تَبْرِي بَهْمِ فِي مَوْجِ كَالْجَبَالِ وَنَادَى نُوحاً إِبْرَهِ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بَنِي إِرْكِبْ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ^(٦) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمُ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ بَيْنَهَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » وَقَيلَ يَا أَرْضَ إِبْلِعِي مَاءَكَ وَيَا سَيَّاهَ أَقْلَعِي وَغَيْصَ مَاءَ وَقَضَى الْأَمْرُ وَاسْتَوْتَ عَلَى الْجَوْدِي وَقَيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٧) . »

١ - سورة العنكبوت رقم ١٤ .

٢ - الكشاف ٤٤٥ / ٣ والبحر المحيط ٣١٩ / ٤

٣ - سورة نوح آية ٢٦

٤ - سورة نوح آية ٢٧

٥ - قال الشاعري معيقباً على قوله تعالى : « قَالَ رَبِّ إِنِّي دُعُوتُ قَوْمِي لِيَلَّا وَنَهَارًا » هذه المقالة قالمها نوح عليه السلام بعد طول عمره ويأسه من قومه تفسير الشاعري ٤ / ٣٤٣ وانظر البحر المحيط ٥ / ٢١٤ حتى ٥٢١ .

٦ - سورة هود من الآية ٤١ - ٤٤ .

وعندما نقف مع المعجزة السابقة ، نلحظ أنها خارقة للقوانين العامة للطوفان ، حيث يحدث الطوفان لسبب معين كالفيضان ولعله محمد إذ لا يعم الأرض كلها ولا يصل الماء إلى الأماكن العالية كقمم الجبال ولكنها معجزة الله لأنبيائه .

ويرى الحافظ أنَّ الله سبحانه وتعالى يأتي بالمعجزات متالية على الأنبياء قال : « وضع الله لنا على رأس كل فترة علامة وعلى غاية كل مدة إمارة تعيد قوة الخير ويجدد ما قد هم بالدروس من أنباء المسلمين عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، لأنَّ نوحًا عليه السلام هو الذي جدد الأخبار التي كانت في الدهر الذي بيته وبين آدم عليه السلام حتى منها الخلل وحاجها التقصان بالشواهد الصادقة والإمارات القادمة .

وليس لأنَّ أخبارهم وحجتهم قد كانت درست ، وأخللت بل حين همت بذلك وكادت ، بعث الله بياته لثلا تخلو الأرض من حججه^(١) .

ثم تحدث عن نوح عليه السلام وقال : « وإن نوحًا عليه السلام هو الذي جدد الأخبار التي كانت في الدهر الذي بيته وبين آدم عليه السلام وكانت آخر آيات نوح الطوفان الذي أغرق الله تعالى به جميع أهل الأرض^(٢) .

ثم تتواتي المعجزات على الأنبياء عليهم السلام ، وجاء هود إلى قوم عاد طالباً هدايتهم داعياً للإيمان بالله عز وجل ، إلا أنهم أبوا ذلك ، فوعدهم بعذاب من ربه ولم يستمعوا لندائه بل زادوا ضلالاً وجاء وعد الله فأرسل عليهم عذابه الشديد » .

قال تعالى : ﴿فَأَمَا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَا
قُوَّةٌ أَوْ لَمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحُدُونَ﴾
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرِصِرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَنَتِ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخَزِيِّ فِي الْحَيَاةِ﴾

١ - رسائل الحافظ حجج النبوة ص ١٣٣ ، ١٣٤ بتصرف .

٢ - رسائل الحافظ حجج النبوة ص ١٣٤ بتصرف وتفسير ابن كثير ٥٥٠ / ٣ ، ٥٥١ وما بعدهما .

الدنيا وبعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرفون^(١)) وتحدث القرآن الكريم عن المدة الزمنية لهذه العاصفة قال : ﴿ سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعاً كأنهم أعماج نخل خاوية ﴾^(٢).

و جاء بعد ذلك صالح عليه السلام إلى ثمود وجاء لهم بمعجزة مادية وهي الناقة إلا أنهم لما لبُثوا أن ضلوا بطغائهم وجبروتهم . قال تعالى : ﴿ كذبت ثمود بطغواها ، إذ انبعث أشقاها ، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوهاها ﴾^(٣) .

ثم أرسل الله إبراهيم عليه السلام لينذر قومه بترك عبادة الأصنام والإيمان بالله عز وجل ، إلا أن قومه لم يستمعوا إلى دعوته ولنقف مع قوله تعالى في نقل الحوار الذي دار بين إبراهيم وقومه في هذا الشأن : ﴿ وأتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرَ لَهَا عَاكِفِينَ ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْتَهُونَكُمْ أَوْ يَضْرُونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِي . وَالَّذِي هُوَ يَطْعَمُنِي وَيَسْقِيَنِي . وَإِذَا مَرَضَتُ فَهُوَ يَشْفِيَنِي . وَالَّذِي يَبْيَتِنِي ثُمَّ يَجْبِينِي . وَالَّذِي أَطْعَمَنِي أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطَايَايَتِي يَوْمَ الدِّين ﴾^(٤) .

فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن يحطم أصنامهم وأثبت لهم أنها لا تنفع ولا تضر ، وهي عبارة عن حجارة صماء وعندما أرادوا عقابه جاءته المعجزات الربانية متلاحقة خاصة عندما أرادوا حرقه إذا قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارَ كُونِي بِرَدًّا وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٥) ويرى أحد العلماء أن الإعجاز في ذلك هو أن

١ - سورة فصلت آية ١٥ - ١٦ وانظر البحر المحيط ٤/٣١٩

٢ - سورة الحاقة آية ٧ .

٣ - سورة الشمس آية ١١ - ١٥ انظر البحر المحيط ٤/٣٢٧ - ٤٣٠ حتى

٤ - سورة الشعراء ٦٩ - ٨٢ وانظر تفسير ابن كثير ٥/١٨٧ واكتشاف ٣/٢١٧

٥ - سورة الأنبياء آية ٦٩

تعطل خاصية الإِحْرَاق ، وتقف قوانين الكون عاجزة أمام قدرة الله وتقف آهاتهم
عاجزة على أن تقول يا نار إحرقي من حطمنا^(١) .

ويرى ابن قيم الجوزية أن الله سبحانه وتعالى أعطى الأنبياء عليهم السلام
قوة المجادلة ، والصبر حتى يصلوا لما يريدونه وقال في هذا الشأن : « عندما إتهم
المشركين إبراهيم عليه السلام بمعرفة التنجيم وإن كان يتعاطى علم النجوم ،
ويأخذ منه أحكام الحوادث ، سبحانهك هذا بهتان عظيم وكان إبراهيم عليه
السلام ينظر إلى النجوم ليصل إلى هدفه » .

ومثل ذلك يوسف عندما بدأ المفتش بأوعية إخوته مع علمه أنه ليس فيها
وآخر دعاء أخيه مع علمه أنه فيها^(٢) قال تعالى مصوراً ذلك المشهد : ﴿فَبَدَا
بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءَ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدَنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ
لِيَأْخُذُ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلَكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ درجاتَ مِنْ نَشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي
عِلْمٍ عَلَيْهِمْ قَالُوا إِنْ يُسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخُوهُ لَهُ مِنْ قَبْلِ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلِمْ
يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصْفُونَ﴾^(٣) .

وتأتي معجزة إبراهيم خارقة عندما طلب من ربه أن يرى إحياء الموتى
فكان له ذلك . قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىَ قَالَ
أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلِّي وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي . قَالَ فَخَذْ أَرْبَعَةَ مِنَ الطِّيرِ فَصَرَهُنَ إِلَيْكَ
ثُمَّ إِجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَ جَزْءاً ثُمَّ إِدْعَهُنَ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾^(٤) . ونلحظ أن إبراهيم عليه السلام قد إقتربت رسالته بذكر تنزيل
الصحف عليه قال تعالى : ﴿إِنْ هَذَا لِفِي الصُّفَحِ الْأُولَى صَحْفٌ إِبْرَاهِيمِ
وَمُوسَى﴾^(٥) وحدد الزمخشري صحف إبراهيم بعشر فقط قال : روى عن أبي ذر

١ - معجزة القرآن ص ٨ للشيخ محمد متولي شعراوي .

٢ - مفتاح دار السعادة ١٩٧ / ٢ ، ١٩٨ بتصريف وإحياء علوم الدين ٢ / ٢٨٥

٣ - سورة يوسف آية ٧٦ ، ٧٧ .

٤ - البقرة آية ٢٦٠

٥ - الأعلى آية ١٨ - ١٩

رضي الله عنه أنه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب؟
فقال: مائة وأربعة كتب، منها على آدم عشر صحف وعلى شعيب خمسون
صحيفة وعلى أخوه وهو إدريس ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحف
والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان «وقيل إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل
أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمامه مقبلًا على شأنه»^(١).

وهذا موسى عليه السلام إذ جاء لقومه يدعوهم للإيمان قال تعالى: ﴿تَلَوَّا
عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفَرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنْ فَرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنَرِيدُ أَنْ تَنْعِذَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَغَنَّكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ فَرِيْسُ فَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنْوَدَهُمَا مِنْهُمْ مَا
كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٢).

ونرى الإعجاز واضحاً في نشأة موسى عليه السلام منذ ولادته حتى ماته
فاسمع لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنْ أَرْضُعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي
الْبَيْمَ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمَرْسِلِينَ فَالْتَّقَطَهُ آلُ فَرْعَوْنَ
لِيَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزْنًا إِنْ فَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنْوَدَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتْ إِمْرَأَةُ
فَرْعَوْنَ قَرْةُ عَيْنِي لِكَ لَا تَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
وَأَصْبَحَ فَوَادُ أَمْ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطَنَا عَلَى قُلُوبِهَا لِتَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ قَصِيَّهُ فِي بَصَرَتْ بِهِ عَلَى جَنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحْرَمَنَا
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ
نَاصِحُونَ فَرَدَدَنَا إِلَى أَمَهُ كَيْ تَقْرَءُ عَيْنَاهَا وَلَا تَحْزَنْ وَلِتَعْلَمْ أَنْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

١ - الكشاف ٤ / ٧٤١ وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١ / ١٤٠ إذ قال: «وإذ آتينا موسى الكتاب
والفرقان» الكتاب بالإجماع وانظر تفسير البيضاوي ص ٧٩٥ وتفسير ابن كثير ١٨٧ / ٥ .

٢ - القصص آية ٦ - ٣

٣ - القصص آية ٧ - ١٣

و عندما أصبح موسى عليه السلام شاباً أراد الله أن ينجيه من الموت وذلك في رأينا إعجازاً إعجازاً .

﴿ و جاءَ رجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكُ فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَبَّ قَالَ رَبُّ نَجْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) . و عندما عاد إلى مصر وفرعون كان واثقاً بقدرة الله على النصر وكانت معجزته في ذلك قاطعة حيث أخرس السحرة وبعضاً من قومه ويصور الخالق العظيم ذلك في قوله تعالى « ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَيَ أَتُوكَأَعْلَمُ بِهَا عَلَى غَنْمِي وَلِي فِيهَا مَآربُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَةٌ تَسْعَى قَالَ خَذْهَا وَلَا تَخْفَ سَعْيَهَا سِيرَتْهَا الْأُولَى وَأَضْصَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بِيَضَاءِ مِنْ غَيْرِ سَوَءٍ آيَةً أُخْرَى لِنَرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكَبِيرِ ﴾^(٢) .

و عندما ضاق موسى عليه السلام ذرعاً بفرعون وعمله كانت المعجزة الكبرى وهي إنشقاق البحر أمام موسى وقومه . ولتفنف مع قوله تعالى مصورة عاقبة فرعون وقومه ومعجزة موسى عليه السلام في هذا الشأن : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبْسَأُ لَا تَخَافَ دَرِكًا وَلَا تَخْشِيَ . فَأَتَبْعِهِمْ فَرَعَوْنَ بِجَنْوَدِهِ فَغَشِّهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِّيَهُمْ وَأَضْلَلْ فَرَعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هُدِيَ ﴾^(٣) .

وهذه الدكتورة عائشة عبد الرحمن تقول في هذا الشأن : « أن معجزات الأنبياء سايرت تدرج البشرية في مراحل تطورها من قديمها البدائي إلى عصر رشد الإنسان : فلقد نلحظ أن موسى عليه السلام تلقى رسالته وقد آن للبشرية أن

١ - سورة القصص آية ٢٠ - ٢١ - ينظر في هذا الشأن تفسير ابن كثير ٣/٤٢٠، رج ٤/٤٩٧ والبحر المحيط ٥/٣٥٧ والكشف ٣/٣٩١ ، ٣٩٣ وروى ابن كثير في البداية والنهاية ١/٢٨٣ « وفي الكتب المتقدمة إن الله قال يا موسى لن يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تهدم .

٢ - سورة طه آية ١٧ - ٢٣

٣ - سورة طه آية ٧٧ - ٧٩

تجاوز عصر السحر فكانت معجزته التي غلت أفنين السحرة في زمنه وتحدىت براعة المهرة منهم ليؤمّن أن ما جاء به «موسى» ، ليس في طاقة البشر ويصدقوا بنبوته فيهدّيهم برسالته إلى عصر جديد .

ولكن اليهود ما لبثوا أن زيفوا الرسالة الموسوية وحرفوا كلمات الله عن مواضعها ، «فوويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فوويل لهم مما يكتبون»^(١) .

ومضى حين من الدهر ضجّت البشرية فيه من شر العصابات من يهود وتزيفهم رسالة نبيهم فكانوا كما قال الله فيهم : «مُثُلَ الَّذِينَ حملوا التوراة ثُمَّ لَمْ يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بشّش مثل القوم الذين كذبوا آيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين»^(٢) (الجمعة ٥) .

وتتوالى المعجزات على الأنبياء عليهم السلام وذكر الله العظيم أسماء الكتب السماوية فنزلت التوراة على موسى عليه السلام وقيل أن معنى التوراة النور أو الضياء^(٣) .

قال ابن قتيبة : «فإن الفراء يجعلها من ورى الزند يرى إذا خرجت ناره يريد أنها ضياء»^(٤) . قال تعالى : «إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَعْكِمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا»^(٥) وهذا داود عليه السلام فقد وهبَ الله الحكمة قال تعالى : «وَلَمَّا بَرَزَ وَا جَالَوْتُ وَجْنُودَهُ قَالُوا أَنْرِغْ عَلَيْنَا صِرَاطَ أَقْدَامِنَا وَأَنْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُتِلَ دَاؤِدُ جَالَوْتُ وَأَنَّاهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحَكْمَةُ وَعَلِمَهُمْ مَا يَشَاءُ»^(٦) . وأعطاه من المعجزات بأن تسبح له الجبال

١ - الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ٤٨ .

٢ - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦ .

٣ - تفسير غريب القرآن ص ٣٦ .

٤ - سورة المائدة آية ٤٤ وانظر الكشاف ٦٣٦ / ١

٥ - سورة البقرة آية ٢٥١ - ٢٥٠

والطير وتلين الحديد له إذ قال بعض المفسرين أنَّ الحديد كَانَ في يده كالشمع .
وإعطائه الحكمة وتعليمه منطق الطير^(١) .

قال تعالى في سورة سباء ١٠ - ١١ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاؤِدَ مَنَا فَضْلًا يَا جَبَالُ أَوْبِي
مَعَهُ وَالظِّيرُ وَأَنَّا الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدْرًا فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ وَقَالَ تَعْالَى فِي سُورَةِ ص ١٧ - ٢٠ ﴿ إِصْبَرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ
عَبْدَنَا دَاؤِدَ ذَا الْأَيْدِيْ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَرْنَا الْجَبَالَ مَعَهُ يَسْبَحُنَ بالْعَشَيْ وَالإِشْرَاقِ
وَالظَّرِيْرِ مُحْشَوْرَةً كَلَّا لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَّدْنَا مَلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخَطَابَ ﴾ .

وقوله تعالى في سورة النمل (١٥ - ١٦) ﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوِدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهَا قَالَا
الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلٰى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاوِدَ وَقَالَ يٰأَيُّهَا
النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطَقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ .

كما ذكر الله تعالى إسم الكتاب الذي أنزله على داود عليه السلام وهو الزبور قال تعالى : « وَاتَّيْنَا دَاوِدَ زُبُورًا » ^(٢).

قال صاحب تفسير غريب القرآن : « الزبور هو بمعنى مكتوب من » زَبَرْ الكتاب يزبره إذا كتبه وهو بمعنى فَعُولٌ بمعنى مفعول .

كما يقال : « جلوب وركوب في معنى مجلوب ومرکوب »^(٣).

وقد حاول الزمخشري أن يوضح بين ما جاء من قوله تعالى «زبور والزبور» أي معرفاً بالٍ وبدونها قال: «يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل»^(٤).

وتحدث القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام وعن المعجزات التي وهبها

١ - تفسير البيضاوى سورة سبأ آية ١٠

٢ - سورة النساء آية ١٦٣

٣٦ - تفسير غريب القرآن ص

٦٧٣ / ٢ - الكشاف

الله إليه . . وقد طلب سليمان من ربه مطالب كبيرة قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ إِغْفَرْ
لِي وَهُبْ لِي مَلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنْكَ أَنْتَ الْوَهَابُ ﴾^(١) وقد استجاب
الله عز وجل إلى طلبه وأنعم الله عليه من نعمه فأنعم عليه بالعلم : « ولقد آتينا
داود وسليمان علماً »^(٢) فقد سخر له الربيع تسير بأمره وهذا إعجاز لا نظير له في
القوانين الوضعية ، قال تعالى : ﴿ وَلِسَلِيمَانَ الرِّبْعَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى
الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا وَكَنَا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾^(٣) وحكم الجن والطير قال
تعالى : ﴿ وَحَسْرَ لِسَلِيمَانَ جِنَوْهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ وَالْطِيرِ فَهُمْ يَوزِعُونَ ﴾^(٤) فهذا
إعجاز أيها إعجاز^(٥) . ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم معجزة يونس
عليه السلام حيث ابتلعه حوت ثم ألقاه بعد ذلك على الشاطئ^(٦) .

واستمع لقوله تعالى لترى المعجزة واضحة قال تعالى في سورة الصافات :
﴿ وَإِنْ يُونَسَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبْقَى إِلَى الْفَلَكِ الْمُشْحُونَ فَسَاهَمَ فِي الْمَدْحُضِينَ
فَالْتَّقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مَلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْبِحِينَ لَلْبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ
فَنَبْذَنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مائَةِ أَلْفِ أَوْ
يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ . الصافات (١٣٩ - ١٤٨)

أما عيسى عليه السلام فقد كانت حياته مليئة بالمعجزات الإلهية منذ حمله
حتى ولادته في حلته وترحاله . ولنقف مع قوله تعالى مصوراً تلك المعجزات^(٧)
﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيمَ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلْمَةٍ مِّنْهُ .. اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مُرِيمٍ وَجِيَهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ وَيَكْلِمُ النَّاسَ فِي الْمَهَدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبُّ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسِسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ

١ - سورة ص آية ٣٥

٢ - سورة التمل آية ١٥

٣ - سورة الأنبياء آية ٨١

٤ - سورة التمل - آية ١٧

٥ - أنظر قصص الأنبياء ص ٣٦١ وما بعدها

٦ - آل عمران - ٤٥ - ٤٨ وانظر تفسير ابن كثير ٢/٤٠ ومج ٣/٥٥ ومج ٤/٤٤ وروح المعاني ٥/٢
والبحر المحيط ٣/٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ والكتاف ١/٣٩١

الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرًا فلئنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة
والتوراة والإنجيل ^(١)

وقال تعالى : ﴿ وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ مَرِيمَ إِذَا اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِقًا
فَأَخْذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلَنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سُوِّيًّا قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَأَهُبُّ لَكَ غَلَامًا زَكِيًّا
قَالَتْ إِنِّي يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَلَمْ يَسْسِنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بِغَيْرِهِ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ
عَلَيَّ هِينَ وَلَنْ جُعِلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنْهَا وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا ^(٢) .

ثم جاءت المعجزة عند ولادته فكيف لامرأة أن تهز النخلة القوية ليتساقط
التمر فوقها وهي في حالة الولادة والإعياء أنها معجزة الله لأنبيائه . قال تعالى :

﴿ فَحَمَلَهُ فَأَتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ
يَا لَيْتِنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ، فَتَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزِنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ
تَحْتَكَ سَرِيًّا ، وَهَزَّ إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تِسْاقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ، فَكَلَّى وَاشْرَبَ
وَقَرِيَ عَيْنَاهُ فَإِلَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صُومًا فَلَنْ أَكُلَّ
الْيَوْمِ إِنْسِيًّا ^(٣) .

ثم جاء المولود ومعه المعجزة التي أخرست كل الفرقاء الذين ظنوا بمريم
عليها السلام الطعون فتكلم الصبي وهو في المهد ، يا لها من معجزة الحال
العظيم فاقرر وا قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرِيمَ لَقَدْ جَئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا ، يَا أَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ إِمْرَأًا سُوءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِغَيْرِهِ ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ
قَالُوا كَيْفَ نَكْلُمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ، وَجَعَنِي مَبَارِكًا أَيْنَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دَمْتُ حَيًّا ، وَبِرَا
بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلْدَتْ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبَعْثَرُ

١ - الإنجيل من نجلت الشيء إذا أخرجته ولد الرجل نجله تفسير غريب القرآن ص ٣٦

٢ - مريم ١٦ - ٢١

٣ - مريم ٢٣ - ٢٦

حيأً^(١).

وأضحت عيسى عليه السلام شاباً نبياً والله يرعاه ويحميه ويؤيده بعجزاته كإحياء الموتى وشفاء الأكمة والأبرص ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ اذْكُرْ نَعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى الَّذِنَّكَ إِذْ أَيْدَتْكَ بِرُوحِ الْقَدْسِ تَكَلُّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ، وَإِذْ عَلِمْتَكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتُّورَاةَ وَالْإِنْجِيلِ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينَ كَهْيَةَ الطِّيرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طِيرًا بِإِذْنِي وَتَبَرِّئُ أَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرُجُ الْمَوْتَسَ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَّتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جَتَّهُمْ بِالْبَيْنَاتِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سُحْرٌ مُّبِينٌ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيْنَاتِ قَالَ قَدْ جَتَّكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يَنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِينَ تَخْلُقُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ^(٣) .

وعقبت بنت الشاطئ على رسالة عيسى عليه السلام : « حتى تلقى عيسى عليه السلام » رسالته وقد آن للبشرية أن تنتقل من عصر عبادة الأبطال البديل لعصر تعدد الآلهة ، وإذا كانت البطولة في ذلك الزمان تقترب بالخوارق جاءت معجزة المسيح الخارقة لكي يؤم من الناس بنبوته المؤدية بما يجاوز خوارقهم البطولية فيتباهو وهو يخلصهم من عبادة الأبطال ويهديهم إلى التوحيد لكن معجزة المسيح الخارقة ما لبثت أن التبست على كثير من أتباعه فقالوا بألوهيته وهو الذي بعث لينسخ عصر الشرك وعبادة البشر ويدعو إلى عبادة الخالق وحده^(٤) .

وعندما نقف مع معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نلحظ أن هذه المعجزات ما هي إلا خوارق لنوميس الحياة لامت لصنع البشر مطلقاً إنما هي من الوهاب العظيم » .

١ - مريم ٢٧ - ٣٣

٢ - المائدة آية ١١٠

٣ - الزخرف ٦٣ - ٦٤

٤ - الإعجاز البياني ص ٤٨

الفَصْلُ الثَّالِثُ

آرَاءُ الْعُلَمَاءِ

تحدثنا في الفصل السابق عن الإعجاز لدى الأنبياء السابقين لمحمد عليهم الصلاة والسلام ، وبيننا أن المعجزات السابقة كانت مناسبةً لعصر كلنبي وانتهت في حينها ، أما معجزة محمد عليه السلام فهي معجزة خالدة أبداً الدهر فهي معجزة القرآن الكريم نظماً وفكراً وحياةً وتاريخاً ومستقبلاً وإن الله لحافظه حتى يوم القيمة قال تعالى : ﴿إِنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

قال الزمخشري : « إننا نَحْنُ ، فَأَكْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ هُوَ الْمَنْزُولُ عَلَى الْقُطْعَعِ وَالْبَتَاتِ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ جَبَرِيلَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدَ حَتَّى نَزَلَ وَبَلَغَ مَحْفُوظًا مِنَ الشَّيَاطِينَ وَهُوَ حَافِظُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ كُلِّ زِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ وَتَحْرِيفٍ وَتَبَدِيلٍ بِخَلَافِ الْكِتَابِ الْمُتَقْدِمَةِ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَوَلَّ حَفْظَهَا ، وَإِنَّا إِسْتَحْفَظُهَا الرَّبَانِينَ وَالْأَحْجَارَ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ فَكَانَ التَّحْرِيفُ »^(٢).

وعقب الزمخشري حول قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَضَلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَىٰ بَعْضٍ آتَيْنَا دَاوِدَ زَبُورًا﴾ قال إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « آتَيْنَا دَاوِدَ زَبُورًا » دلالة على وجه تفضيله ، وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا في

١ - سورة الحجر آية ٩

٢ - الكشاف ٥٧٢/٢

الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» وهم محمد وأمته ^(١).

أما البيضاوي فقد قال في هذا الشأن : «يريد الله بالفضائل النفسانية والتبرئ من العلاقة الجسمانية لا بكثرة الأموال والإتباع حتى داود شرف بما أوحى إليه من الكتب لا بما أوتيه من الملك وقيل هو إشارة إلى تفضيل رسول الله عليه السلام قوله : ﴿آتینا داود زبوراً﴾ تنبية على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته خير الأمم » .

أما السيوطي فقد قال : «وأكثر معجزاتبني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لف्रط ذكائهم وكمال إفهمهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر » ^(٢).

إن القرآن الكريم مختلف عن الكتب السماوية السابقة من حيث التخصيص لأمة معينة أو لشعب محدد بل جاء القرآن للعالم قاطبة رحمة بهم من عذاب أليم قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بُشِّرِّاً وَنذِيرًا﴾ ^(٣).

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رحمةً لِلْعَالَمِين﴾ ^(٤). وجاء بلغة عربية تشريفاً لها وتقديساً ، إذ جعلها لغة خالدة حية بين النفوس يرددتها الملايين من البشر كل حين وقد يشرف من لفظها ويقرأ بها أو من يتقرب إليها » .

قال المبرد : « وإنما يقال بنو فلان أفعى منبني فلان أي أشبه لغة بلغة القرآن » ^(٥).

١ - الكشاف ٦٧٣ / ٢ وتفسير ابن كثير ٢٣٤ / ٣

٢ - الإنegan في علوم القرآن ١١٨ / ٢

٣ - سورة سباء ٢٨

٤ - سورة الأنبياء ١٠٧

٥ - الفاضل ص ١١٣ للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمني ط دار الكتب

كما لم يجيز العلماء قراءة القرآن إلا بالعربية قال أحمد بن فارس : « وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية لأن الفارسية ترجمة غير معجزة » ^(١) .

العلماء والإعجاز :

لم يختلف أحد من المؤمنين على أن القرآن هو المعجزة الحقيقة لمحمد عليه السلام ، جاء بها للعرب خاصة والعالم عامة ، وجاء ذلك واضحًا في آيات التحدي بأن يأتوا بسورة من مثله كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رِبِّ مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة البقرة ٢٣) . ثم زاد التحدي ، قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلَهِ ﴾ (هود ١٣) وكان التحدي عاماً يعني أنه جاء لكل من دبَّ على هذه الأرض من الإنس والجن معاً .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونُوْنَ وَالْجِنُوْنُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانُ بَعْضُهُمْ لَبِعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء ٨٨) .

آمن العلماء بالقرآن كمعجزة حقيقة وبدأوا يبحثون عن أوجه إعجازه ، ونحن نقرر في هذا الشأن بأن العلماء لم يصلوا إلى معرفة أسرار الإعجاز الحقيقة ، منها أتوا من العلم والمعرفة وإنما جاءت دراساتهم مبينة لجزء يسير من إعجازه لأن القرآن الكريم كتاب معجز خارق للعادات والقوانين الكتابية ، فهو معجز في كل نبرة وحرف وكلمة مركبة في آياته وجمله وفي حديثه عن المستقبل ، وحديثه عن الماضي وحديثه عن الحاضر وحديثه عن النفس وأسرارها يقتضي القلب ويهز الوجدان يبعث الطمأنينة والسكينة لمن قرأ فيه ، أو سمع آياته أو تقرب إليه أو عاش في كنته ، أو تحت ظلله ، إنه قرآنا العظيم الذي أخرجنا من

الظلمات إلى النور ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، يبهر سامعه بأسلوبه الأخاذ ، وببلاغته ونظمها وقد يعجز القلم عن كتابة وصف حقيقي في ذكر الصفات الخلاقة لبيان إعجازه .

قال ابن سرaque : « إحتفل أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهًا كثيرة كلها حكمة وصواباً وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معاشره »^(١). وهذه عالمة جليلة تقول : « من إعجاز القرآن أن يظل مطروحاً على الأجيال توارد عليه جيلاً بعد جيل ثم يظل أبداً رحباً المدى سخياً المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء مطعم ، عالياً يفوت طاقة الدارسين »^(٢).

وتحديث الدكتورة عائشة عبد الرحمن عن تاريخ الدراسات التي تخص الإعجاز فقالت : « في القرن الثالث للهجرة ، كانت البيئة الإسلامية تمر بآقوال في الإعجاز أخذت وضعاً حاداً في صراح الفرق الإسلامية فانتصر أعلام كل فرقة لرأيهم تصدوا لنقض آراء مخالفיהם . ولم تنفرد قضية الإعجاز في أول الأمر بالبحث والنظر وإنما عولجت مع غيرها من القضايا التي احتمد فيها الكلام وتجادلت الفرق ، وبخاصة تلك التي تتصل بالنبوة والمعجزة ، كالذى في (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة و(مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري و(حجج النبوة للجاحظ) و(الانتصار) لأبي الحسن الخياط الذى نقض كتب « ابن الروندي » ومنها (الزمرد) في إبطال الرسالة ، والداعف والفريد) في الطعن على نظم القرآن .

أو تناولها المفسرون في سياق التفسير كالذى في (جامع البيان) للطبرى

١ - الاتقان في علوم القرآن / ٢١ ، ١٢٢

٢- الأعجاز البیانی ص ١٥ بنت الشاطئ و انظر مقدمة تفسیر شبر لمحمد جواد النجفی ص ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ . إذ يرى أنه معجز من وجهة التاريخ والاحتجاج والإستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض والتشريع العادل ونظام المدنية والأخلاق وعلم الغيب . و تفسیر المدارج ١٩١ وما بعدها حتى ٢٢٩ .

(وجاز القرآن) لأبي عبيده و (معاني القرآن) للفراء . على أن القضية لم تثبت أن إستقلت بالتأليف المفرد : « ففي القرن الثالث ظهرت كتب في الإعجاز تحمل في الغالب عنوان (نظم القرآن) وللباحث (ت ٢٢٥ هـ) كتاب بهذا الاسم لم يصل إلينا . وإن كان الجاحظ أشار إليه في كتابه (الحجج) كما أشار إليه الباقلاني في كتاب (إعجاز القرآن) ^(١) .

ويقول الرافعي في هذا الشأن « بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبيسط القول فيه على طريقتهم في التأليف ، إنما هو فيها نعلم كتاب (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة ٣٠٦ هـ وهو كتاب شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحاً كبيراً سهلاً المعتصم ، وشرحاً آخر أصغر منه ولا نظن الواسطي بنى إلا على ما إبتدأه الجاحظ ، كما بنى عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) على الواسطي ، ثم وضع أبو عيسى الرماني المتوفي سنة ٣٨٢ هـ كتابه في الإعجاز فرفع بذلك درجة ثلاثة ، وجاء القاضي أبو بكر الباقياني المتوفي سنة ٤٠٣ فوضع كتابه المشهور (إعجاز القرآن) الذي أجمع المؤخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز على حده والغريب أنه لم يذكر فيه كتاب الواسطي ولا كتاب الرماني ولا كتاب الخطابي الذي كان يعاصره وسنشير إليه وأوهماً إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيها فكأنه هو إبتدأ التأليف في الإعجاز بما بسط في كتابه واتسع وفي ذلك ما يثبت لنا أن عهد هذا التأليف لا يرد في نشأته إلى غير الجاحظ » ^(٢) .

ويمكن لنا أن نقسم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم كما جاءت في دراسة العلماء إلى قسمين وإن تداخلت بعض الأوجه إلى حد ما .

القسم الأول : إعجاز أسلوبي

ذهب أكثر العلماء إلى القول بأن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم تعود إلى

١ - الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٥ .

٢ - إعجاز القرآن للرافعي ص ١٧ ، ١٧١ ونحوه مقدمة إعجاز القرآن للباقلاني ص ١٠

أسلوبه الباهر لما فيه من النظم والتأليف والترصيف والفصاحة وعذوبة الأسلوب ، ولهذا ترى البليغ ينفعُ القصيدة أو الخطبةَ حولاً ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلْمَ جَرَّا .

وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظه ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منه لم يوجد^(٢) .

القسم الثاني : إعجاز كلي خارج عن طاقة البشر :

يرى أصحاب هذا الرأي أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم هو إعجاز كُلِّيٌّ فكري بلاغي بياني . الخ خارج عن نطاق البشر كافة وأنه يدرك ولا يمكن وصفه وكونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطاباتهم وألفاظه من جنس كلماتهم^(١) .

ونحب أن نبين في هذه الدراسة أننا قمنا بالتقسيم السابق قياساً على الغالب في المواقيع البينية بمعنى أن التداخل قد يكون واضحاً في مسائل الإعجاز إلا أنها جنحنا إلى التحقيق والتنظيم حتى يتيسر للقاريء الإطلاع على أفكار العلماء في أوجه الإعجاز البياني ونود أن نشير إلى آرائهم بشيء من التفصيل » .

أولاً : أصحاب الرأي الأول^(٢) :

بينما فيها سبق أن الدراسات حول الإعجاز القرآني قد جاءت متباعدة ، ويمكنا حصرها في إتجاهين ، إتجاه يرى أصحابه أن أوجه الإعجاز في القرآن

١ - الإنقاذ في علوم القرآن ٢/١١٨ بتصرف .

٢ - الإنقاذ ٢/١٢٠ بتصرف

٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٦٧ ذهب بعض العلماء - وهم قلة إلى القول بالإعجاز بالصرف (قال ابن منان في سر الفصاحة ص ٩١ وإذا عدنا إلى التحقيق ، وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوa العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت موافتهم ذلك)

الكريم هو إعجاز بياني يعود إلى نظم القرآن وأسلوبه وبلاغته ومعانيه ونود أن نشير إلى آراء العلماء مرتبة ترتيباً زمنياً .

١ - رأي الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ

لم يفرد الجاحظ كتاباً خاصاً بالإعجاز بل تحدث عن إعجاز القرآن الكريم في رسالته : « حجج النبوة » وفي أجزاء يسيرة من كتبه الأخرى كما تحدث عن سبب تأليفه للحجج قال : « والذي دعانا إلى تأليف حجج النبوة ونظمها وجمع وجوهها وتدوينها أنها متى كانت مجموعة منظومة نشيط لحفظها وفهمها من كان عسى أن لا ينشط لجمعها ولا يقدر على نظمها وجمع متفرقها وعلى اللفظ المؤثر عنها^(١) .

ويرى أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في نظمه وفصحته قال : « لأن رجالاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورةً واحدة طويلة أو قصيدة لتبيّن له في نظامها وخرجها وفي لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنّها وليس ذلك في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين .

ألا نرى أن الناس قد كان يتھيأ في طباعهم ويجري على أفهم أن يقول رجل منهم « الحمد لله » وإنما الله ، وعلى الله توكلنا وربنا الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا كله في القرآن غير أنه متفرق غير مجتمع ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيدة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه وخرج له لما قدر عليه ، ولو إستعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان^(٢) .

١ - رسائل الجاحظ « حجج النبوة » ص ١٢٣ وما بعدها وانظر إعجاز القرآن الكريم للرافعي ص ١٧٠ بتصرف

٢ - رسائل الجاحظ « حجج النبوة » ص ١٢٠ وانظر تفصيلاً رأي الجاحظ في (إعجاز القرآن) لعبد الكريم الخطابي ص ١٣٤ وما بعدها والإعجاز البياني لبنت الشاطئي ص ١٦٠ وما بعدها .

٢ - رأي الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ :

تحدث أبو سليمان الخطابي عن إعجاز القرآن في كتاب أسماءه «كتاب بيان إعجاز القرآن» ، وقد تحدث محقق الكتاب عن رسالة الخطابي ومنهجه في إعجاز القرآن قال : «في هذه الرسالة يقرر الخطابي أن الناس قدّيماً وحديثاً ذهبوا في الموضوع كل مذهب من القول ولم يصدروا عن رأي . ويناقش فكرة الصرف ، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلة ، ولا يرتضيها شرعاً لأسرار الإعجاز ثم ينتقل إلى موضوع البلاغة ، ويعيب على القائلين بها إعتمادهم على التقليد وعدم تحقيقاتهم وقصور كلامهم عن الإيقاع . ويعالج هو الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة للكلام المحمود . ويقر أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم من هذه حصة ومن كل نوع شعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف غلط من الكلام يجمع صفاتي الضخامة والعنوية وهما على الإنفراد في نعمتها كالمتضادين لذلك كان إجتئاعهما في نظم القرآن فضيلة خص بها يسرها اللطيف الخير لتكون آية بينة لنبيه وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة وأوضاعهم ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جم النظوم التي بها إئتلافها وارتباطها بعضها بعض وإنما صار القرآن معجزاً لأنه جاء بأفضل الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمداً أصل المعاني من توحيد وتحليل وتحريم .. إلخ . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتضم وتنسق أمر تعجز عنه قوى البشر .

وعمود البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكال به . ومن هنا كاع القوم وجبوا عن معارضة القرآن لما قد كان يؤرّد لهم ويتصعد لهم منه^(١) . ونحب أن نقف قليلاً مع بعض ما جاء في رسالته عن الإعجاز النظمي للقرآن الكريم .

١ - مقدمة ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن الكريم ص ١١ ، ١٢ ، وانظر الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٩ وما بعدها ، وانظر الإنقاذ في علوم القرآن ١٢٠ / ٢

قال الخطابي : « وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور : منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية (وبالفاظها) التي هي ظروف المعاني والحوامل ، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون إتلافها وارتباط بعضها ببعض . فيتوصلوا باختيار الأفضل على الأحسن من وجهاتها إلى أن يأتوا بكلام مثله ، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباطها ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفحص ولا أجزل ولا أذنب من الفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاوةً ما وتشاكلاً من نظمه ، وأما المعاني فلا خفاء على ذل عقل أنها هي التي تشد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نوعتها وصفاتها »^(١).

كما تحدث عن سر نظمه وهيبته وإعجازه للعلماء قال : « قلت : ومن ها هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن . وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد ، وإن كانوا علماء باللسان ، فقهاء في الدين فكان الأصمعي - وهو أمام أهل اللغة - لا يفسر شيئاً من غريب القرآن وحکى عنه أنه سئل عن قوله سبحانه « قد شغفها حباً » فسكت وقال : هذا في القرآن ، ثم ذكر قولًا لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها : أتبיעونها وهي لكم شغاف ؟ ولم يزد على ذلك أو نحو هذا الكلام .

قلت : « وهذا حث صل الله عليه وسلم على تعلم إعراب القرآن وطلب معاني الغريب منه حَدَّثَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُحَمَّدَ الصَّفَارَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبٍ الثَّقْفِيَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ الْعَسْكَرِيَ قَالَ : حَدَّثَنِي إِنْ أَبِي

١ - « رسالة الخطابي » ص ٢٣ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

زاد عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعرّبوا القرآن والتمسوا غرائبه »^(١). ونحب أن نبين في هذا الشأن أن الخطابي قد رد على كثير من الآراء التي زعمت أن إعجازه في الصرف^(٢) أو فيها تضمنه من الأخبار عن الكوازن في مستقبل الزمان^(٣).

أما فيما يخص البلاغة في إعجازه فقال : « وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة وهم الأكثرون من علماء أهل النظر»^(٤) ويتهمهم بأنهم لم يحملوا كما هو مفروض وقال : « وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم ولا يشفى من داء الجهل وإنما هو إشكال أحيل على إيهام»^(٥).

ولكنه يعود فيقرر أوجه الإعجاز بما يلي :-

وإنما تذرع على البشر الآتيان بمثله لأمور منها : « أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبالفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لا تدرك أفهمهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ»^(٦). أما بالنسبة للتراكيب اللفظية فقال : « وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفحص ولا أجزل ولا أعزب من ألفاظه ، ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاثاً وتشاكلاً من نظمه .

وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفصل من نعمتها وصفاتها »^(٧).

١ - رسالة الخطابي ص ٣١ .

٢ - ثلاث رسائل ص ٢٠

٣ - ثلاث رسائل ص ٢١

٤ - ثلاث رسائل ص ٢١

٥ - ثلاث رسائل ص ٢٢

٦ - ثلاث رسائل ص ٢٤

٧ - المرجع السابق ص ٢٤

وختتم رسالته في إعجازه النفسي « وذلك صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس »^(١) وقد روى « فتحت الأ MCSar بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن »^(٢).

٣ - الراغب الأصفهاني المتوفي سنة ٣٩٦ هـ

من العلماء الذين تحدثوا عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم الإمام أبو القاسم محمد المعروف بالراغب الأصفهاني صاحب كتاب مفردات غريب القرآن وقد تحدث عن رأيه في الإعجاز جلال الدين السيوطي^(٣) ونقله الأستاذ عبد الكريم الخطيب وعقب عليه قال السيوطي : « يقول الراغب الأصفهاني في تفسيره : « الإعجاز المتعلق بنفسه .. أما أن يتعلق بفصاحته وبلاعنته أو بمعناه أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاعنته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى « فإنَّ الفاظهُ الفاظهمْ : قال الله تعالى : « قرآناً عربِيًّا » « بلسانِ عربِي مبين » .. ولا بمعانِيه ، فإنَّ كثِيرًا منها موجود في الكتب المتقدمة . قال تعالى : « وإنَّ لِفِي زِبْرِ الْأَوَّلِينَ » . »

ولا بما هو في القرآن عن المعارف الإلهية ، وبيان المبدأ والمعد والأخبار بالغيب ، فإعجازه من هذا الوجه ، ليس براجع إلى القرآن بل لكونها حاصلة بغير تعليم وتعلم ، ويكون الإخبار إخباراً بالغيب ، سواءً أكانَ بهذا النظم أو بغيره مؤدي باللغة العربية أو بلغة أخرى ، بعبارة أو إشارة »^(٤) .

ويعقب الخطيب على القول السابق : « يريد الأصفهاني أن يقرر هنا أن الأخبار بالغيب معجزة في ذاته ، وليس في ذات القرآن لأن من يخبر بالغيب بأنه

١- المرجع السابق ص ٦٤

٢- المرجع السابق ص ٥

٣- الإتقان في علوم القرآن / ٢ / ١٢٠

وسيلة من وسائل الأخبار يكون معجزاً : وإنذن فليس للقرآن هنا فضل على غيره من حيث هو كلام ، وإنما الفضل للأخبار الغيبية التي فيه^(١) .

ثم يقول الأصفهاني : « فإنذن ، النظم المخصوص صورة القرآن ، واللفظ والمعنى عنصره » . وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء وإسمه لا بعنصره . « كالخاتم والقرط والسوار ، فإنه باختلاف صورها إختلفت أسماؤها : لا بعنصرها الذي هو الذهب أو الفضة أو الحديد »^(٢) .

وواضح من هذا أن الأصفهاني يجعل إعجاز القرآن في نظمته على تلك الصورة التي جاء بها ، والتي تبدو أكثر ما تكون في بنائه على آيات ، مختتمة بفواصل ذات نظم خاص ، تختتم بها الآيات ، وتترابط وتتواءن^(٣) .

ويقول السيوطي « وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مختلف لنظم ما عداه .

فتقول : « مراتب تأليف الكلام خمس :

١ - ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض ، لتحصل الكلمات الثلاث :
الاسم ، الفعل ، الحرف .

٢ - تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجملة المفيدة وهو النوع الذي يتناوله الناس جيئاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم .. ويقال له المنشور من الكلام .

٣ - ضم بعض هذه الكلمات إلى بعض ضمها له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج

١ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٥٥

٢ - الإنegan / ٢ ١٢٠

٣ - إعجاز القرآن للخطيب ص ٣٥٧

ويقال له المنظوم .

٤ - أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ، ويقال له السجع .

٥ - أن يجعل له مع ذلك وزن ، ويقال له الشعر ..^(١)

« والقرآن جامع محسن الجميع ، على نظم غير نظم منها . فالأصفهاني إذ يكشف عن وجه الإعجاز في القرآن ، يراه في هذا النظم الذي تفرد به ، على نظام لم تألف العرب في كلامها من شعر ونثر ونظم وسجع بل حواها جميعها وجاء بها على أعدل الوجوه وأتمها . ولا شك أن مجرد مخالفة العرب في أساليب كلامها لا يجعل الكلام معجزاً ولا يخلص إليه من تلك المخالفة - مجرد مخالفة - مزايا تعلو به على سائر الكلام فقد تكون هذه المخالفة - كما قلنا من قبل - إلى ما هو أحسن أو إلى ما هو أسوأ .

ولكن المخالفة التي باب بها القرآن على سائر الكلام مخالفة في الأسلوب^(٢)

٤ - عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ

تحدث عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن في رسالة أسمها « الرسالة الشافية » . ذكر المحققان تحميلها إذ قالا : -

تحليل الرسالة^(٣): تناول عبد القاهر في هذه الرسالة بعض نواح من فكرة

١ - الإنقان / ٢ ط (٤)

٢ - الإنقان / ٢ ١٢٠ والإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٣٢ بتصرف

٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٥ وما بعدها وقد تحدث عبد القاهر عن إعجاز القرآن في مقدمة كتابه دلائل الإعجاز ص (٧) إذ قال : « إنما إذا كانا نعلم أن الجهة التي فيها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وشهرت ، هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى الشر ومنتهيًا إلى غاية لا يطمع إليها بالفکر »

الإعجاز ، أخصها إثبات الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن ، وفي هذا يقرر أن العبرة بعجز العرب المعاصرين للرسول عليه السلام دون المتأخرین من الخطباء والبلغاء عن زمانه وعلى هذا الأصل ينتقل عبد القاهر إلى النظر في دلائل أحوال العرب وأحوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحدوا إليه .

أما الأحوال فدلالتها من حيث كان المتعارف من عادات الناس أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة وهم يجدون سبيلاً إلى دفعها . وعبد القاهر يطيل في هذه النقطة مستشهاداً بالمؤلف في أحوال الاجتماع والمعروف في أحوال الشعراء . وأما الأقوال فكثيرة يروي منها عبد القاهر حديث ابن المغيرة وحديث عتبة ابن ربيعة وحديث أبي در وينتهي من هذا إلى القول بأنه على أساس دلالة الأحوال والأقوال وجوب القطع بأن القرآن معجز ناقص للعادة وأنه في معنى قلب العصاية وإحياء الموتى في ظهور الحججة على الخلق كافة ، وي تعرض عبد القاهر في سياق الرسالة لنواح في الميدان الأدبي بين فيها تفاوت الشعراء في أقدارهم واشتمال كلامهم على البليغ وغير البليغ ثم يناقش في نهاية رسالته فكرة الصرفة ويفند رأي القائلين بها ويلحق بالرسالة فصولاً قصيرة مستقلة يزيد فيها بعض جوانب الموضوع شرحاً ويجيب فيها على بعض الاعتراضات «^(١)».

ونحب أن نقف مع بعض أقواله في الرسالة ذاتها قال في ذلك : « إنَّ الذي سمعوه فائق للقوى البشرية ومتجاوز للذى يتسع له ذرع المخلوقين »^(٢).

ويرى أن الأعجاز قد ثبت للأولين والمعاصرين لنزول القرآن تعجز من جاء بعدم أولى وأيسر لأنَّ علم ذلك علم يختص أهله والأصل والقدوة فيه العرب ومن عدامهم تبع لهم وقاصر فيهم عنهم »^(٣).

١ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن المقدمة ص ١٥ ، ١٦

٢ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠٧

٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠٧ وما بعدها بتصرف وانظر الباقلانى وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٩٠

ثم يتحدث في رسالته عن محمد عليه السلام ورسالته الخالدة ، فيقول :

« إنَّهُ خاتم النَّبِيِّنَ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيٌّ بَعْدَهُ ، إِلَى آخِرِ مَا صَدِعَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَقُولُ : وَحْجَتِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا عَرَبِيًّا مِّبْيَانًا ، تَعْرِفُونَ الْفَاظَةَ وَتَفَهُّمُونَ مَعْانِيهِ إِلَّا أَنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَا بِعَشْرِ سُورٍ مِّنْهُ وَلَا بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَوْ جَهَدْتُمْ جَهَدَكُمْ وَاجْتَمَعْتُمْ مَعَكُمُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ »^(١) . ثُمَّ جاءَ بِأَدْلَةٍ عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ إِذْ نَقْلَ كَلْمَةَ الْجَاحِظِ عَنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ وَعَدَمِ قَدْرَةِ الْعَربِ عَلَى تَقْليِدِهِ كَمَا تَحْدَثَ عَنْ قَصَّةِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغْرِيْرِ عِنْدَ سَمَاعِهِ الْآيَاتِ مِنَ الذَّكَرِ الْحَكِيمِ : « رَوِيَ أَنَّهُ جَاءَ حَتَّى أَتَى قَرِيشًا فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ غَدَّاً بِالْمَوْسِمِ ، وَقَدْ فَشَّا أَمْرُ هَذَا الرَّجُلِ فِي النَّاسِ فَهُمْ سَائِلُوكُمْ عَنْهُ فَهَذَا تَرْدُونَ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالُوا : مَجْنُونٌ يَخْنُقُ ، فَقَالَ : يَأْتُونَهُ فَيَكْلُمُونَهُ فَيَجْدُونَهُ صَحِيحًا فَصَحِيحًا عَادِلًا فَيَكْذِبُونَكُمْ قَالُوا نَقُولُ : هُوَ شَاعِرٌ قَالَ : هُمُ الْعَربُ وَقَدْ رَوَوْا الشِّعْرَ ، وَفِيهِمُ الشِّعْرَاءَ وَقَوْلُهُ لَيْسَ يُشَبِّهُ الشِّعْرَ ، فَيَكْذِبُونَكُمْ .. قَالُوا نَقُولُ : هُوَ كَاهِنٌ قَالَ : إِنَّهُمْ لَقَوْا الْكَهَنَاءَ فَإِذَا سَمِعُوا قَوْلَهُ لَمْ يَجْدُوهُ يُشَبِّهُ الْكَهَنَةَ فَيَكْذِبُونَكُمْ .. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالُوا : صَبَا الْوَلِيدُ ، يَعْنُونَ أَسْلَمَ - وَلَئِنْ صَبَا لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صَبَا ، فَقَالَ لَهُمْ أَبْنَى أَخِيهِ أَبُو جَهَلَ بْنَ هَشَامَ بْنَ الْمَغْرِيْرِ : أَنَا أَكْفِيكُمُوهُ ، فَقَالَ فَأَتَاهُمْ مَحْزُونًا فَقَالَ : مَالِكٌ يَا إِنْ أَخْ ? قَالَ : هَذِهِ قَرِيشٌ تَجْمَعُ لَكَ صَدَقَةً يَتَصَدَّقُونَ بِهَا عَلَيْكَ تَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى كَبِرِكَ وَحَاجَتِكَ قَالَ : أَوْلَى سُلْطَانٍ أَكْثَرَ قَرِيشٌ مَالًا ؟ قَالَ : بَلٌ وَلَكُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ صَبَّاتٌ لِتُصَبِّبُونَ مِنْ فَضْلِ طَعَامِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا يَشْبَعُونَ مِنَ الطَّعَامِ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُمُ الْفَضْلُ ؟ ثُمَّ أَتَى قَرِيشًا فَقَالَ : أَتَرْعُمُونَ أَنِّي صَبَّاتٌ وَلِعُمْرِيِّ مَا صَبَّاتٌ ، إِنَّكُمْ قَلْتُمْ : مُحَمَّدٌ مَجْنُونٌ ، وَقَدْ وَلَدَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ لَمْ يَغْبُ عَنْكُمْ لَيْلَةٌ وَلَا يَوْمًا فَهُلْ رَأَيْتُمُوهُ يَخْنُقُ قَطْ ؟ .

وقلتُم : شاعرًا ؟ وأنت شعراء فهل أحدٌ منكم يقول ما يقول ؟ وقلتُم
 كاهن فهل حدّثكم محمد في شيءٍ يكون في غدٍ إلا أنْ يقول إنْ شاءَ الله .. قالوا :
 فكيف تقول يا أبا المغيرة ؟ قال : أقول هو ساحر ، فقالوا : وأيُّ شيءٍ السحر ؟
 قال : شيءٌ يكون ببابل ، من حذقه فرق بين الرجل وامرأته والرجل وأخيه
 (أليسَ مَا تَعْمَلُونَ) أَنَّ مُحَمَّدًا فرق بين فلان وفلاه زوجته ، وبين فلان وابنه ،
 وبين فلان وأخيه ، وبين فلان ومواليه ، فلا ينفعهم ولا يلتف إليهم ولا يأتِيهم ؟
 قالوا : بل فاجتمع رأيُهم على أن يقولوا إنه ساحر ، وأن يردوا الناس عنه بهذا
 القول . وانصرف فَمَرَّ بِاصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْتَلِقًا إِلَى رَحْلَةٍ وَهُم
 جلوسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالُوا : هَلْ لَكِ يَا أَبَا الْمَغِيرَةِ وَلِيٌّ خَيْرٌ ؟ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا
 ذَلِكَ الْخَيْرُ ؟ فَقَالُوا : التَّوْحِيدُ ، قَالَ : مَا يَقُولُ صَاحِبُكُمْ إِلَّا سَحْراً وَمَا هُوَ إِلَّا
 قَوْلُ الْبَشَرِ يَرْوِيهُ عَنْ غَيْرِهِ وَعَبْسٌ فِي وُجُوهِهِ وَبَسْرٌ ، ثُمَّ أَدْبَرَ إِلَى أَهْلِهِ مَكْذِبًا ،
 وَاسْتَكْبَرَ عَنْ حَدِيثِهِ الَّذِي قَالُوا لَهُ وَعَنِ الْإِيمَانِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : هُوَ إِنَّهُ فَكَرَ
 وَقَدْ فُقِلْتَ كَيْفَ قَدْرَكَ^(١) .

وقد ذكر عبد القاهر موقف الوليد بن عقبة عند سماعه آية من القرآن ومن
 ذلك ما روى أن الوليد بن عقبة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إقرأ فقرأ
 عليه : هُوَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِنَّهُ يَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظِمُكُمْ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٢) ، فقال : أعد فأعاد ، فقال : والله إنَّ
 له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمُعرق وإن أعلىه لمثمر . وما يقول هذا
 بشر^(٣) .

ثم يتحدث عن الصرف^(٤) ويرى أنَّ آيات التحدي تبطلها ويعقب محققا

١ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١١٠ ، ١١١

٢ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١١٤

٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٣٧

الكتاب إلى القول عن رسالة عبد القاهر في هذا الشأن « وظاهر من نظام هذه الرسالة أنَّ عبد القاهر كتبها ليثبت حقيقة الإعجاز لا لبيان أسراره . أمَّا تفصيل القول في أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه فقد فصلَ عبد القاهر القول فيه في كتابه الكبير المستقل الذي سماه « دلائل الإعجاز »^(٣) .

وعلل الأستاذ عبد الكريم الخطيب عدم إكمال عبد القاهر لهذه الرسالة في بيان أوجه الإعجاز قال : « إنَّ أسرار البلاغة مقدمة للدلائل الإعجاز ودلائل الإعجاز مقدمة للرسالة الشافية والرسالة الشافية مقدمة لكتاب في الإعجاز كان في عزم المؤلف أنْ يفرغ له ويتوفر عليه ولكنَّ حالت دون ذلك منيته أو شيخوخته^(٤) .

أمَّا الدكتورة بنت الشاطيء فقد قالت حول الرسالة الشافية : « قدم الجرجاني « الرسالة الشافية » في عِجَاز القرآن - ونشرت ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز - وحسب أنه أتى فيها « بما يشفي من له طبع إذا قدحته أورى ، وقلب إذا أريته رأى . . . فاما من لا يرى ما تريه ولا يهتدى للذى تهدى به فأنت معه كالنافخ في الفحم من غير نار وكالمتمس الشم من أخشى وكما لا يقيم الشعر في نفس من لا ذوق له لا يفهم هذا الباب من لم يؤت الآلة التي بها يفهم إلا أنه إنما يكون البلاء إذ ظن العادم لها أنه قد أوطاها ، وأنه من يكمل للحكم ويصح منه القضاء ، فجعل يختبئ ويخلص ويقول القول لو علم عيه لاستحيا منه »^(٥) .

ويقول محققاً الرسالة : « أمَّا تفصيل القول في أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه فقد تعرض له في كتابه الكبير المسمى دلائل الإعجاز »^(٦) .

١ - مقدمة ثلاثة رسائل في الإعجاز ص ١٦ وما بعدها

٢ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢٤٣

٣ - مقدمة الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ٢٠

٤ - مقدمة ثلاثة رسائل ص ١٦ وانظر الباقلانى وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٩٥ بتصرف .

والحقيقة عندما نعود إلى دلائل الإعجاز للحظة أن عبد القاهر قد تحدث فعلاً عن ظواهر الإعجاز البلاغية في القرآن الكريم وبخاصة عند حديثه عن الإعجاز بنظم الكلام والتحدي بالقرآن والتثنيع عن القائلين بأنَّ الإعجاز بالصرفة »^(١).

٥ - الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ

لم يُؤلف الزمخشري كتاباً خاصاً بالإعجاز ولكن ذكر أحد الباحثين أنه تحدث عن الإعجاز من خلال تفسيره المشهور بالكشاف قال : « ولَمْ يُؤلف » الزمخشري » مؤلفاً خاصاً بالإعجاز وإنما قام بمحاولة في هذا الباب لم يسبقها إليها أحد ولا نظن أنه جاء من بعده من جرى معه في هذا الطريق ذلك أنه أراد أن يقيِّم أدلة الإعجاز وشهادته من آيات القرآن الكريم وأن يجعل القرآن كله مجالاً للناظرين في الإعجاز ، والباحثين عن موقعه في كتاب الله وهذا فقد جعل تفسيره المعروف باسم : « الكشاف عن حقائق غوماض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لتحقيق هذه الغاية التي جعلها كل همه وغايته وهو ينظر في كتاب الله ولم يأخذ الطريق الذي سار فيه المفسرون من قبله وهو شرح مفردات القرآن أو إعرابه أو إستخلاص الأحكام الشرعية منه أو بيان أسباب النزول ، أو التعريف بالنسخ والمنسوخ إلى غير ذلك من مذاهب المفسرين ومناهجهم في تفسير القرآن وفي غایاتهم التي يقيِّمون عليها وجهة نظرهم في التفسير .

كان منهج الزمخشري في تفسيره هذا ، أنه يستعرض القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره ، سورة سورة ، كما يفعل المفسرون ولكن ما كان يقف عند كل آية وإنما كانت عينه دائياً - كما كان قلبه - متطلعة إلى ما عسى أن يكتشف له من

- دلائل الإعجاز ص ٧ و ٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ وما بعدها خاصة ٢٩٩ .

إعجاز النظم القرآني وأسراره في المفردات والتركيب على السواء^(١).

ثم يحاول الأستاذ عبد الكريم الخطيب أنْ يعلل منهجه الزمخشري في الإعجاز وتساءل : لماذا اختار الزمخشري هذا المنهج ؟ ولعله من المناسب هنا أن نكشف عن السبب الذي من أجله إتجه « الزمخشري » هذا الإتجاه في التفسير فسلك فيه مسلكاً لم يطرقه أحد قبله : وأول ما يلقانا من « الزمخشري » ونحن نتلمس سبيلاً أو أسباباً لهذا المنحى الذي إنتحاه في التفسير - على مذهب المعتزلة . . وللمعتزلة كما نعلم مفارقates كثيرة خرجوها فيها عن طريق الجماعة وساروا في إتجاهات منحرفة ، مقاربة أو مباعدة - من الوجهة العامة التي سارت عليها الجماعة الإسلامية فهل لنا أنْ نحسب هذا الضرب من التفسير خطوة معتزلية اختطها الزمخشري كما كان لأصحابه أقوال ومتوجهات إنفرد فيها كل واحد منهم بقول أو متوجه ؟ .

وقد يكون هذا الإستنتاج مسلباً به لو أن الزمخشري أغرب في التأويل لآيات الله فذهب بها مذهباً لا يرضاه المسلمون كما فعل الباطنية في تفسيرهم لكتاب الله ، ولكن « الزمخشري » لم يخرج في تفسيره عن الدلالات اللغوية لكلمات القرآن ولم يتجاوز المضمون البياني لآياته كما يقع مفهوم أهل اللغة وأصحاب البيان . وكل ما كان من الزمخشري في تفسيره إنما كان في المنهج الذي انتهجه وفي الخطة التي سار ليها حيث لم يقف عند كل كلمة أو كل آية وإنما كان همه البحث عن مظان الإعجاز فيما ينكشف له من رواشע البيان وعجب النظم في تقديم كلمة على كلمة أو اختيار كلمة بدل كلمة أو حرف مكان حرف^(٢) .

وعندما نقف مع الكشاف نلحظ أن الزمخشري يعترف بإعجاز القرآن وتحديه للبشر كافة وقال في ذلك « أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه ، قاطعاً برهانه ، وحياناً ناطقاً ببيانات وحجج قرآننا عربياً غير ذي عوج ، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنوية مصداقاً لما

١ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢٩٨ و ٢٩٩

٢ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢٩٩ وما بعدها .

بين يديه من الكتب السماوية ، معجزاً باقياً ، دون كل معجز على وجه كل زمان . دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحى به من طُولِبَ بمعارضته من العرب العرباء ، وأيّكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للإِتِّيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغاتهم^(١) .

٦ - ابن عطية^(٢) الغرناطيي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ

من العلماء الذين تحدثوا عن إعجاز القرآن ابن عطية الغرناطيي الذي لم يُلْف كتاباً مستقلاً في إعجاز القرآن وإنما جاء ذلك في أثناء تفسيره للقرآن^(٣) .

ويرى هذا العالم أنَّ إعجاز القرآن هو بنظمه وصحة معانيه وتواتي فصاحة ألفاظه ، وهو بهذا يجمع وجوهاً من آراء من سبقه من العلماء^(٤) .

٧ - الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

تحدث الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر عن الإعجاز في كتابه «نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز»^(٥) .

وذكر السيوطي أوجه الإعجاز عند الإمام الرازي قال : «إن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم عند الفخر الرازي » الفصاحة وعدابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب^(٦) .

١ - مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري «ع»

٢ - انظر ترجمة لحياته في البرهان في علوم القرآن ٨٠ / ١

٣ - إسم كتابه «الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير القرآن العزيز» .

٤ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٩ .

٥ - مقدمة الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ٢٢ .

٦ - الإنegan في علوم القرآن ١١٩ / ٢

وعقب الأستاذ عبد الكريم الخطيب على رأي الرازى بقوله : « وهذا تعميم وإطلاق للحكم بحيث يدخل مع القرآن غيره من كل كلام بلين . فما هي حدود الفصاحة التي إذا تجاوزها الكلام وعلا عليها كان معجزاً ؟ » .

وما هي مواطن الحسن في غرابة الأسلوب حتى تنتهي به إلى الإعجاز ؟ فهل كل أسلوب غريب يكون بليناً ؟ ثم معجزاً ولقد تكون غرابة الأسلوب داعية إلى سقوطه ، كما تكون وجهاً جديداً من وجوه البيان ولواناً متفرداً من ألوان البلاغة .. ثم ما هي العيوب التي إذا سلم منها الكلام كان بليناً ؟ . وهل تكفي السلامة من العيوب ليكون الكلام على درجة من البلاغة توفي به إلى مطالع الإعجاز ؟ .

كنا نود أن يكون « للرازى » صولة وجولة في هذا المجال فهو خير من يقوم لهذا المقام ويحسن القول فيه ولكن يبدو أنه لم يشأ أن يشغل بهذا عن القرآن نفسه وأن يفتح باباً للمجادل حول معانى القرآن وألفاظه فيعيد بذلك الحرب .

جذَّعه في القول : فإن القرآن مخلوق أو غير مخلوق^(١) . وكان الرازى كما يبدو ويخاول إستدراك ما فات في هذا الشأن : « يرجو به أن يستدرك ما فات غيره وأن يهذب ما قالوه وبخاصة عبد القاهر الجرجاني الذي قال فيه الرازى في مقدمة كتابه إنه « أهمل في رعاية ترتيب الأصول والأبواب وأطنب في الكلام كل الأطباب ولما وفقني الله لمطالعة كتابه - دلائل الأعجاز والشفافية - التقطت منها معاقد فوائدهما ومقاصد فرائدهما وراعيت الترتيب مع التهذيب والتحريير مع التقرير وضبط أوابد الإحالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الإجتناب عن الإطباب الممل والإحتراز عن الاختصار المخل »^(٢) .

١ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٣٤

٢ - مقدمة الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ٢٢

٨ - حازم القرطبي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ

تحدث العالم الجليل أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي القرطبي عن أوجه الإعجاز في منهاج البلغاء قال : « وجه إعجاز القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه إستمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالم منه إلا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه ولا تستمر الفصاحة لذلك في جميعه ، بل توجد في تفاصيل وأجزاء منه »^(١).

وعقب الأستاذ الخطيب حول الرأي السابق قال : « وهذا كلام قد سبق به « الجاحظ » ثم تابعه فيه من جاء بعده من تكلموا في الإعجاز ثم إن هذا الوجه من وجوه الإعجاز لا ينكشف إلا بعد النظر في القرآن الكريم كله ، وهو لا يكون إلا بعد أن يتم نزوله جميعه على الرسول الكريم ولقد تحدى القرآن الكريم العرب وأعجزهم ولم يكن قد نزل منه إلا قدر يسير ، فالمعجزة والإعجاز قائمين في القرآن الكريم في أقصر سورة منه »^(٢) .

٩ - المراكشي المتوفى سنة ٧٢١ هـ

من العلماء الذين تحدثوا عن الإعجاز أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بالمراكشي .

قال السيوطي : « وقال المراكشي في شرح المصباح ، الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية

١ - منهاج البلغاء نقلًا عن الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٥٩

٢ - الإعجاز في الدراسات السابقين ص ٣٥٩

تطبيقه لقتضى الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإنما كانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها وإنما كان كل تأليف معجزاً ولا إعراها وإنما كان كل كلام معرب معجزاً ولا مجرد أسلوبه وإنما كان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً والأسلوب الطريق ولكن هذيان مسلمة معجزاً وأن الإعجاز لا يوجد دونه أي الأسلوب في نحو فاما يستأسوا منه خلصوا نجياً فأاصدع بما تؤمر ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته وأن مسلمة وابن المقفع والمعربي وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما توجه الأسماع وتتفرّد منه الطياع ويوضحك منه في أحوال تركيه وبها أي بتلك الأحوال أعجز البلغاء وأخرص الفصحاء فعل إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أخرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكير في خواص تركيه و نتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علىٰ^(١).

١ - الاتقان في علوم القرآن ١١٩ / ٢ وانظر توضيحاً لرأي المراكشي في كتاب «الإعجاز في دراسات السابقين» ص ٣٦١ .

القسم الأول

الإعجاز اللفظي

ذهب مجموعة من العلماء إلى القول بأنَّ أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ليس وقفاً على النظم والبلاغة بل يتعداه إلى أوجه أخرى تكاد تكون شاملة فكراً وعلمياً وبياناً وغير ذلك . ونحب أن نقدم بعض الآراء التي ذكرها هؤلاء العلماء بشيء من الإعجاز :

١ - الرماني المتوفى سنة ٣٨٦ هـ

تحدث أبو الحسن علي بن عيسى الرماني عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في كتاب «سماه» النكت في إعجاز القرآن وهو منشور ضمن كتاب «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» والرماني عالم من علماء النحو أيضاً وقد شرح كتاب سيبويه^(١) . وذكره ياقوت في معجمه «كان إماماً في علم العربية علامة بالأدب»^(٢) . أمّا كتابه في الإعجاز فقد كان عملاً رائعاً ، قال أبو حيان التوحيدي «وقد عمل في القرآن كتاباً نفسياً»^(٣) واعتبرته بنت الشاطئ من أشهر كتب الإعجاز في القرن الرابع قالـت «من أشهر ما وصل إلينا من مصنفاتهم في

١ - الرماني النحوي د . مازن المبارك ص ١ دمشق .

٢ - معجم الأدباء ٤٧ / ١٤

٣ - الإيقاع والمؤانسة لأبي حيان ط لجنة التأليف ١٩٤٢ مصر

٤ - مقدمة الإعجاز البيني في القرآن ص ١٨

الإعجاز » النكت في إعجاز القرآن ». أما وجهة نظره في أوجه الإعجاز في القرآن الكريم فيقول محققاً الرسالة « تأخذ الرسالة شكل الجواب على سؤال وجه المؤلف عن « ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج » وهذا الجواب يتلخص في أن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفه والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ونقض العادة وقياسه بكل معجز . ويوجه المؤلف هذه من هذه الجهات السبع إلى البلاغة فيذكر أنها على ثلاثة طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ، ومنها ما هو في أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسائل بين أعلى طبقة وأدنى طبقة . وبعد أن يشرح المؤلف كل واحدة من هذه يحصر البلاغة في عشرة أقسام أو أبواب هي : الإيجاز والتشبيه والإستعارة والتلاؤم والفوائل والتتجانس والتصريف والتضمين والمبلاحة وحسن البيان . ثم يستمر فيفسر هذه بابا بابا بتعريف الموضوع ثم بتقسيمه إلى نواحيه مستشهدًا لكل ناحية بالأية تلو الآية من القرآن ، وندر أن يستشهد ببيت من الشعر أو قول مأثور من النثر إلا ما استلزمته الموارنة بين الآية وما في معناها من كلام العرب .

وبعد أن انتهى من مقصوده - وهو التعريف بأبواب البلاغة العشرة خصص بعض صفحات في آخر كتابه للتعریف بالوجوه الأخرى الستة التي أشار إليها في أول الكتاب والتي تؤلف مع البلاغة وجوه الإعجاز في نظرة وأسلوب المؤلف في معالجة موضوعه علمي منطقي »^(١) .

ونحب أن نقف مع بعض الآراء ضمن رسالته فيتحدث عن التحدي ويقول في هذا الشأن بعد أن يستعرض آيات التحدي « بيان الإعجاز عند مقدار السورة من القرآن الكريم »^(٢) . وحاول أن يبين أوجه الإعجاز البياني في بعض الآيات القرآنية : قال تعالى : ﴿ إِنَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجَالاً صَرِصِراً فِي يَوْمٍ نَحْسُن

١ - مقدمة ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ص ١٤

٢ - ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٢

مستمر تنسّع الناس كأنهم أعزاز نخل منقرع ^(١).

قال الرمانى : « وهذا بيان قد أخرج مالم تجربه عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا في قلع الريح لها وإهلاكه إياها وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة والتخييف من تعجيل العقوبة » ^(٢).

وقال الله عز وجل : ﴿فِإِذَا أَنْشَقْتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْدَهَانِ﴾ ^(٣).

قال الرمانى : « فهذا تشبيه قد أخرج مالم تجربه عادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمعا في الحمرة وفي لين الجوادر السائلة وفي ذلك الدلالة على عظيم الشأن ونفوذ السلطان » ^(٤) وقوله تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت » ^(٥).

فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبداهة إلى ما يعلم بالبداهة وقد اجتمعا في ضعف المعتمد ودهاء المستند » ^(٦) وتحدث عن الإستعارة في بعض الآيات الكريمة نختار بعضًا منها كقوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَا طَفَىَ الْمَاءَ حَمْنَاكِمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ^(٧). وبين الإستعارة في « طَغَىَ » وقوله تعالى : ﴿سَمِعُوا هَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمْيِيزَ مِنَ الْغَيْظَ﴾ ^(٨) وقوله تعالى : ﴿وَلَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَىَ الْغَضَبُ﴾ ^(٩) وقوله تعالى : ﴿إِشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَبِيَّاً﴾ ^(١٠) وقوله تعالى : ﴿فَبَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيُدْفِعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ^(١١).

١ - سورة القمر آية ١٩ - ٢٠

٢ - ثلات رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٧

٣ - سورة الرحمن آية ٣٧

٤ - ثلات رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٧

٥ - العنكبوت = ٤١

٦ - ثلات رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٨ وما بعدها ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١

٧ - الحقة آية ١١

٨ - الملك آية ٨

٩ - الأعراف آية ١٥٢

١٠ - مريم آية ٤

١١ - الأنبياء آية ٨

٢ - الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

من العلماء الذين كتبوا عن الإعجاز في القرآن الكريم في كتاب منفرد القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ^(١) وكتاب إعجاز القرآن من أشهر الكتب التي تحدثت عن الإعجاز قال محقق كتابه : « وإعجاز القرآن هو أول كتاب الباقلاني نسراً ، وأشهرها ذكراً وهو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى اليوم » ^(٢) .

وكان الباقلاني عالماً مشهوراً شهد له كثير من العلماء بأمانته وورعه وقد وصفه صاحب شذرات الذهب « أوحد وقته في فنه وكانت له بجامع المنصور حلقة عظيمة ، وكان ورعاً لم تحفظ له زلة ، ولا نقية وكان باطنه معموراً بالعبادة والديانة والصيانة » ^(٣) . وقال صاحب الواقي بالوفيات « بأنه سكن بغداد وكان في فته أوحد زمانه وكان ثقة عارفاً بالكلام » ^(٤) .

وقد حاول الباقلاني أن يبين أن العلماء الذين سبقوه في الكتابة عن إعجاز القرآن ومعانيه لم يتناولوه بالشرح كما ينبغي . قال محقق كتاب الباقلاني : « ذكر الباقلاني في مقدمته أن الذين ألفوا في « معاني القرآن » من علماء اللغة والكلام ، لم يبسطوا القول في الإيابة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أمسٌ والإشتغال به أوجب فهو أحق بالتصنيف من الجزء والطفرة والأعراض وغريب النحو وبديع الإعراب وأن ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه وقد أخلَّ به تهذيبه وأهمل ترتيبه ، وقد التمس لبعضهم العذر فيما وقع من تفريط لأن بيان وجه الإعجاز « مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار - دقique المثلذ » . وقال : إن « الجاحظ » صنف في

١ - الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٧١ مكتبة الحياة - لبنان ١٩٧٨

٢ - مقدمة كتاب إعجاز القرآن للباقلاني ص ٦٧ دار المعارف ١٩٦٢ .

٣ - شذرات الذهب ٣/١٦٩ ط مكتبة القدس هـ ١٣٥٠ .

٤ - الواقي بالوفيات ٣/١٧٧ تحقيق صلاح الدين الصفدي ص دمشق ١٩٥٣ .

نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عنها يتبع في أكثر هذا المعنى .

ثم قال : إنَّ سائلاً سأله أنْ يذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال وتنتهي إلى ما يخطر لهم ، ويعرض لِإفهامهم من الطعن في وجه المعجزة فأجابه إلى ذلك . وألف هذا الكتاب وذكر أنه أشار إلى ما سبق بيانه من غيره ، ولم يبسط القول فيه ، لثلا يكون ما ألفه مكرراً . ومعقولاً وقال : « إنَّه لا يزعم أنَّه يمكنه أنْ يبين ما رام بيانه وأراد شرحه وتفصيله إلا من كان من أهل صناعة العربية وقد وقف على جملة من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه وعرف جملة من طرق المتكلمين ونظر في شيء من أصول الدين »^(١) .

ويجدر بنا أن نقف قليلاً مع كتاب الباقلاني في إعجاز القرآن وذلك لتوضيح فكرة الإعجاز في نظره والحقيقة أننا نعرض للموضوع عرضاً مناسباً لما يتطلبه مقام البحث .

تحدث في الفصل الأول^(٢) عن نبوة محمد عليه السلام وبين أنها مبنية على دلالة معجزة القرآن وبين في الفصل الثاني^(٣) بيان وجه دلالة معجزة القرآن على نبوة محمد عليه السلام وذكر أن النبي عليه السلام عرف كون القرآن معجزاً حين أُوحى إليه من قبل أنْ يقرأه على غيره أو يتحدى الله سواه وهاجم القائلين بالصرفة وذكر أن التوراة وإنجيل وغيرها من الله يشارك القرآن في الإعجاز بما تضمنه من الأخبار عن الغيوب وبيانه في أنه ليس بمعجز في النظم وحدد أسباب ذلك .

١ - مقدمة إعجاز القرآن للباقلاني ص ٦٧ ، ٦٨ للسيد صقر

٢ - إعجاز القرآن للباقلاني ص ٣ وما بعدها ومقدمة السيد صقر ص ٦٨

٣ - إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢١ وما بعدها وانظر الباقلاني وكتاب إعجاز القرآن ص ١٨٩

وتحدث في الفصل الثالث^(١) في جملة وجوه إعجاز القرآن وقد ذكر في بدايته أن الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك ثلاثة أوجه وحاول أن ينافق الأوجه الثلاثة بشيء من^(٢) المنطق ، وكانت الأوجه التي تحدث عنها الأشاعرة تدور في فلك ما تضمنه القرآن من الأخبار عن الغيب . وأنه أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور منذ آدم وأنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه^(٣) .

وقال في نهاية الرد : « وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد ، فإنما جمعنا بين أمور ، وذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الأمور مما يمكن إعتماده في إظهار الإعجاز فيه ثم ختم كلامه في هذا الفصل بالإجابة على سؤال هام وهو : « فإنه قيل : فهل ترعمون أنه معجز ، لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟

قيل : « لستا نقول بأن الحروف قديمة فكيف يصبح التركيب على الفاسد ؟ ولا نقول أيضاً : أن وجه الإعجاز في نظم القرآن من أجله أنه حكاية عن كلام الله ، لأنه لو كان كذلك ل كانت التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف . وقد بينما أن إعجازها في غير ذلك ، وكذلك يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومفردها وقد ثبت خلاف ذلك »^(٤) .

في الفصل الرابع بين ما فيه من وجوه إعجاز القرآن الثلاثة سابقة الذكر^(٥) . كما نفى في الفصل الخامس الشعر من القرآن^(٦) وكذلك فعل في الفصل السادس

١ - إعجاز القرآن للباقلاني ص ٤٨

٢ - إعجاز القرآن ص ٥١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٠ بتصرف .

٣ - مقدمة إعجاز القرآن للسيد صقر ص ٦٩ بتصرف .

٤ - إعجاز القرآن ص ٧٠ ، ٧١ ومقدمة الإعجاز للسيد صقر ص ٧٢

٥ - إعجاز القرآن ص ٧٢ بتصرف .

٦ - إعجاز القرآن ص ٧٦ بتصرف .

إذ نفى السجع من القرآن ورد على القائلين بذلك .

قال : « وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ». ولو كان القرآن سجعاً^(١) لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؟ لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤوه وكلموه في شأن الجنين : كيف ندی من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يطبل ؟ فقال : « أَسْجَاعَةً كَسْجَاعَةَ الْجَاهِلِيَّةِ » ؟ وفي بعضها : « أَسْجَعَةً كَسْجَعَ الْكَهَانِ » ؟ فرأى ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته .

والذي يقدروننه أنه سجع فهو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق ما هو في تقدير السجع لأن اللفظ يقع فيه تالياً للمعنى « ثم قال : « ويقال لهم : لو كان الذي في القرآن على ما تقدروننه سجعاً لكان مذموماً مرذولاً ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه ، كان قبيحاً من الكلام ، وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ونسب إلى الخروج عن الفصاحة » .

ثم قال : « فلو رأوا أن ما تلي عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فترى بد في الفصاحة على طريقة القرآن وتتجاوز حده في

١ - يرى الدكتور مخلوف أن الباقلاني تبع الرمانى في ذلك انظر الباقلانى وكتابه إعجاز القرآن ص ٥٠٧ .

البراعة والحسن^(١) ثم تابع حديثه عن السجع وقال : « وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ الَّذِي هُوَ فِي صُورَةِ السَّجْعِ مِنْهُ لَمَا تَحِيرَا فِيهِ وَلَكَانَتِ الْطَّبَاعُ تَدْعُ إِلَى الْمُعَارَضَةِ لِأَنَّ السَّجْعَ غَيْرَ مُمْتَنَعٍ عَلَيْهِمْ بَلْ هُوَ فِي عَادَتِهِمْ ، فَكَيْفَ تَنْقِضُ الْعَادَةَ بِمَا هُوَ نَفْسُ الْعَادَةِ وَهُوَ غَيْرُ خَارِجٍ عَنْهَا وَلَا مُتَمِيزٌ مِنْهَا^(٢) . »

ويقول السيد صقر : « ثم مضى في حديثه عن السجع وذكر فيها ذكر اختلاف العلماء في الشعر وكيف إنفق للعرب قوله أولاً ؟ وهل كان إنفاقاً غير مقصود إليه ؟ أم تواضعوا على هذا الوجه من النظم ؟ وإن الله عرفهم حماسن الكلام ودهم على كل طريقة عجيبة ثم أعلمهم عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن » ووجدوا أن هذا لما تعذر عليهم مع التحدي والتقرير الشديد والحاجة الماسة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنشر وتكامل أحواهم فيه - دل على أنه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومعجزة على الرسالة » .

ويقول السيد صقر معيقاً : « وختم الباقلانى كلامه في هذا الفصل بإلزام عجيب لمخالفيه حيث يقول في ص ٩٩ : « ولا بد من جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه النظام وعبد بن سليمان وهشام القوطى ويدهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز وإنه يمكن معارضته وإنما صرفاوا عنه ضرباً من الصرف ويتضمن كلامه تسلیم الخطبى طريقة النظم ، وإنه مننظم من فرق شتى ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ويستهين ببديع نظمه وعجب تأليفه الذي وقع التحدي إليه وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه وقد علمنا عادتهم في خطابهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة فإذا أدعوا على القرآن ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين » .

١ - مقدمة إعجاز القرآن للسيد صقر .

٢ - إعجاز القرآن للباقلاني ص ٩٠

أما الفصل السابع فقد خصصه في ذكر البديع من الكلام وهل هو من دلائل الإعجاز؟

قال الباقلاني : « إنْ سأَلْ سَائِلٍ فَقَالَ : هَلْ يَمْكُنْ أَنْ يَعْرَفَ إِعْجَازُ الْقُرْآنِ
مِنْ جَهَةِ تَضْمِنَتِ الْبَدِيعَ ؟ قَالَ : ذَكْرُ أَهْلِ الصِّنْعَةِ وَمِنْ صِنْفِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ
صَفَةِ الْبَدِيعِ أَلْفاظًا نَحْنُ نَذْكُرُهَا ثُمَّ نَبْيَنُ مَا سَأَلُوا عَنْهُ ، لِيَكُونَ الْكَلَامُ وَارْدًا عَلَى
أَمْرِ مَبْيَنٍ وَبَابٍ مَقْرُرٍ مَصْوُرٍ »^(٢) ثُمَّ نَقْلٌ جَلَّةً مِنْ بَدِيعِ الشِّعْرِ ، بَعْضُهَا مِنْ كَتَابِيِّ
الْبَدِيعِ لَابْنِ الْمُعْتَزِ وَنَقْدِ الشِّعْرِ لِقَدَّامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَقَالَ : « وَقَدْ قَدْرٌ مَقْدُرُونَ أَنَّهُ
يَمْكُنْ إِسْتِفَادَةُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الَّتِي نَقْلَنَا هَا وَأَنَّ ذَلِكَ مَا يَمْكُنْ
الْإِسْتِدَالَلُّ بِهِ عَلَيْهِ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ عَنْدَنَا لَأَنَّ هَذِهِ الْوِجْهَاتِ إِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهَا
أُمُكْنَنُ التَّوَصِّلِ إِلَيْهَا بِالْتَّدْرِيبِ وَالتَّعُودِ وَالتَّصْنِعِ لَهَا وَالْوِجْهَاتِ الَّتِي نَقُولُ : « إِنْ
إِعْجَازُ الْقُرْآنِ يَمْكُنْ أَنْ يَعْلَمَ مِنْهَا فَلَيْسَ مَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى التَّصْنِعِ لَهُ وَالتَّوَصِّلِ
إِلَيْهِ بِحَالٍ » وَخَتَمَ كَلَامَهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ بِقَوْلِهِ : « إِنَّا لَا نَجْعَلُ إِعْجَازًا مُتَعَلِّقًا
بِهَذِهِ الْوِجْهَاتِ الْخَاصَّةِ وَوَقْفًا عَلَيْهَا وَمَسْافًا إِلَيْهَا وَإِنْ صَحَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْوِجْهَاتِ
مُؤْثِرَةً فِي الْجَمْلَةِ ، أَخْذَهُ بِحُظْطَهَا مِنَ الْحَسْنِ وَالْبَهْجَةِ مَتَى وَقَعَتْ فِي الْكَلَامِ عَلَى غَيْرِ
وَجْهِ التَّكْلِفِ الْمُسْتَبْشِعِ وَالْمُتَعَلِّمِ الْمُسْتَشْنَعِ »^(٤) . وَيَعْقُبُ الدَّكْتُورُ مُخْلُوفُ حَوْلِ
الْفَصْلِ السَّابِقِ قَالَ : « وَهُوَ فِي هَذَا الْفَصْلِ يَنْقُلُ - فِيمَا أَرَى - عَنْ أَبِي هَلَالِ
الْعَسْكَرِيِّ فِي كِتَابِهِ الصَّنَاعِيَّتِينَ وَيُكَادُ يَكُونُ النَّقْلُ حِرْفَيًّا فِي هَذَا الْبَابِ .

وَتَحْدُثُ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ عَنْ كِيفِيَّةِ الْوَقْوفِ عَلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ . قَالَ
الْأَسْتَاذُ سِيدُ صَفَرَ : « وَعِنْهُ أَنَّ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ لَا يَخْفَى عَلَى الْعَرَبِيِّ الْبَلِيغِ الَّذِي

١ - مقدمة إعجاز القرآن الكريم ص ٧٣

٢ - مقدمة إعجاز القرآن ص ٧٤ وانظر رد الأستاذ سيد صقر في ذلك ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧

٣ - إعجاز القرآن للباقلاني ص ١١٠ ونحوه مقدمة إعجاز القرآن ص ٧٧

٤ - الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٥٠٨ بتصرف

قد تناهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذاهبها ولا يشتبه على ذي بصيرة ولا يخيل عند أخي معرفة وأما من لم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة ، فهو كالأعمامي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بأن يعلم أن العرب قد عجزوا عنه ، وإذا عجز هؤلاء عنه فهو عنه أعجز^(٤) .

وهكذا بدأ الباقياني يناقش مسألة الإعجاز في القرآن الكريم ثم عقد باباً لبيان أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ثم عرض لنقد كلام مسيلمة الكذاب ومعلقة إمرئ القيس قال : « ونظم القرآن جنس مميز ، وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص فإذا شئت أن تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرئ القيس في أجود أشعاره وما نبين لك من عواره على التفصيل » ثم مضى في نقد المعلقة وانتهى منه في ص ٢٧٧ بعد أن بين أن « هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وأبيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بديعة وأن وحشيتها مستنكرة يروع السمع ويهول القلب ويکد اللسان ويعبس معناه في وجه كل خاطر ويکفهر مطلعة على كل متأمل أو ناظر ولا يقع بثله التمدد والتفاصيل^(٥) .

ثم ذكر آيات كثيرة وبينَ أسرار إعجازها بياناً شافياً قال محقق الكتاب : « ما رأيك في قوله تعالى : ﴿إِنْ فَرَّعُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلُ أَهْلَهَا شَيْعَأْ يَسْتَضْعُفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحِي نَسَاءُهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين﴾ » القصص ٤ ؟ هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضياؤها على ما ترى وسلامتها ومؤاها على ما تشاهد ورونقها على ما تعain ، وفصاحتها على ما

١- مقدمة إعجاز القرآن للسيد صقر ص ٧٨

٢- إعجاز القرآن للباقياني ص ٢٤٣ ونحوه مقدمة إعجاز القرآن ص ٧٩ .

تعرف ، وهي تشمل على جملة وتفصيل وجامعة وتفسير ، ذكر العباد في الأرض باستضاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء ، وإذا تحكم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونها ؟ لأن النفوس لا تطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجحور . ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد وكفت في التظليل وردت آخر الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره . ثم ذكر وعد تخليصهم بقوله : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » (القصص ٥) وهذا من التأليف بين المؤتلف والجمع بين المستأنس^(١) . ونحب في هذا الشأن أن نوضح بعض الآراء التي قيلت عن كتاب الباقلاني وذلك بشيء من الإيجاز » .

وقد أفرد الدكتور عبد الرؤوف مخلوف دراسة تحليلية قيمة للباقلاني وكتابه إعجاز القرآن .

ويرى الدكتور مخلوف أن الباقلاني قد اعتمد في أوجه الإعجاز على أوجه ثلاثة : قال : إذا كان الباقلاني قد جعل الإعجاز في القرآن من ثلاثة وجوه هي الإناء عن الغيوب وأمية الرسول وبديع النظم وتقرير واقع الأمر أنه جعل الوجه الثالث إبداع النظم هو الوجه الذي استثار بجهوده وانعقدت له أكثر فصول كتابه إعجاز القرآن^(٢) . كما بين الدكتور مخلوف مواطن النقل عند الباقلاني وعقد مقارنات فنية بينه وبين سابقه في دراسات الإعجاز^(٣) كما بين أن بعض العلماء المحدثين قد تأثروا بالباقلاني يرى أنه قد فتح الباب لهؤلاء .

ويقول في هذا الشأن : « إن علماء محدثين قد يستجابوا لدعوة الباقلاني وأخذدوا يمضون على المنهج الذي فتح بابه ويمشون في الطريق الذي رسم معالمه

١ - إعجاز القرآن الباقلاني ص ٢٩٤

٢ - الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ١٨٣

٣ - الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن أنظر مثلاً ص ٥١٢ ص ٥٢٢

ولكنا ما زلنا في أول الطريق ، إن من هذا القبيل كتاب من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي وكتاب التفسير البياني للقرآن الكريم لبنت الشاطئ و يمكن أن نلحظ بذلك ما جاء في كتاب « الظاهرية القرآنية » ، « مالك بن نبي »^(١) . ويقرر الدكتور مخلوف حقيقة حرية بالإعتبار وهي أن النقل عن العلماء ليس عيّاً في شريعة العلم ويقول : « على أنه حيث ثبت أن الباقلانى إطلع على كتابات السابقين وأخذ عنها فإن ذلك لا يضره ، ولا يمنع أن يكون أصيلاً في كثير مما كتب لأنه وإن سبق بأصل الفكرة فإنه قد أعمل عقله فيها فأضاف وجده وانقضى وأنكر والأصالة ليست إختراعاً فقد وإنما هي إنتفاع بما كتب الأولون »^(٢) .

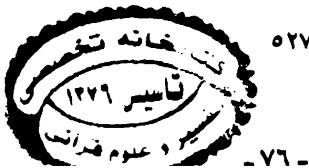
وتحدث الرافعى عن كتاب الباقلانى قال : « على أن كتاب الباقلانى وإن كان فيه الجيد الكثير وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواه ، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الحاظ لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » فإن مرجع الإعجاز فيه إلى الكلام وإلى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول ، ونوع آخر من فنونه وقد حشر إليه أمثلةً من كل قبيل من النظم والثر ، بأكثره وغمرت جملته وعدها في محسنه وهي من عيوبه .

وكان الباقلانى رحمه الله وأثنابه - واسع الحيلة في العبارة مبسوط اللسان إلى مدى بعيد ، يذهب في ذلك مذهب الحاظ ومذهب مقلبه .

وما زال الباقلانى - رحمه الله - على أن ضمن كتابه روح عصره وعلى أن جعله في هذا الباب كالمستحب للخواطر الواقية والهمم المتأصلة في أهل التحصيل والإستيعاب الذين لم يذهبوا عن معرفة الأدب ولم يغفلوا عن وجه اللسان ولم ينقطعوا دون محسن الكلام وعيونه ، ولم يضلوا في مذاهبه وفنونه حتى قال : إن

١ - الباقلانى وكتابه إعجاز القرآن ص ٥٢٣ - ٥٢٧

٢ - الباقلانى وكتابه إعجاز القرآن ص ٥٢١



الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشادي^(١) فيها كالبائن منها ، وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهده .

٣ - القاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ :

من العلماء الذي تحدثوا عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم أبو الحسين عبد الجبار الأستاذ أبادي وكان معاصرًا للباقلاني ويرجع الدكتور مخلوف أن القاضي عبد الجبار قرأ كتاب الباقلاني وقال : « وأرجح أنه قرأ ذلك الكتاب واطلع عليه^(٢) ولم يعرض عبد الجبار رأيه مباشرة في الإعجاز بل قدم دراسة لإسرار البلاغة و حول الكلام الفصيح . أما رأيه في أوجه الإعجاز فقد تحدث عنه في كتابه المسمى المغني في أبواب التوحيد وخاصة في الجزء السادس عشر^(٣) من الكتاب . وقدم الأستاذ عبد الكريم الخطيب تلخيصاً لوجهة نظر القاضي عبد الجبار في أوجه الإعجاز .

نحب أن نشير إليه بشيء من الإعجاز .

قال : « وبعد أن انتهى « عبد الجبار » من تقرير هذه الحقيقة ، وهي أن نظم الكلام يقع فيه التفاوت بحسب علم الناس بمواقعات اللغة ثم بما في نفوسهم من إستعدادات ذاتية موهوبة غير مكتسبة بعد أن انتهى من هذا وصل إلى نتيجة كان يمهد لها هذا التمهيد الطويل ، وهي أن النظم القرآني قد جاء على هذا الإتجاه الذي يتفضل فيه الكلام ويتقدم بعضه على بعض .. ثم حيث انتهت غيات البيان العربي وحيث لم يكن للبلاغاء والفصحاء مذهب وراء هذا

١- إعجاز القرآن للرافعي ص ١٧٢ ، ١٧٣ وانظر رأي بنت الشاطئ في كتابها الإعجاز البشري في القرآن الكريم ص ١٨ وما بعدها .

٢- الباقياني وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٧٥

٣- المغني في أبواب التوحيد ١٦/٤٢ وما بعدها تحقيق أمين الخولي .

أخذ القرآن الكريم رأية البيان وسار بها أصواتاً بعيدة وأرباب البلاغة والبيان واقفون مشدوهين مأخوذين ، كأنما أمسكت الأرض بهم لا يتحركون قيداً نثرة يدخلون بها هذا الحمى ، الذي لا تقوم بينهم وبينه حواجزاً وحوائل .

يقول عبد الجبار بعد أن ذكر معجزات موسى وعيسى ، وأنها جاءت على سمت أقوامهم ، وفي إتجاه منازعهم التي كانوا يتوجهون إليها يقول : « وعلى هذا الوجه أجري الله تعالى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم في أن خصه بالقرآن ، الذي هو مشاكل لصناعتهم وطريقتهم ، غير خارج عن الأمر الذي يشتند به إهتمامهم ، ويقوى له إفتعارهم وتظهر فضائلهم ومحاسنهم لكي تقل الشبه للعارف المقدم ، فيعرف أضرار المبaitة ، والإتباع فيعرفون بعجز الرؤساء منهم ، مع توافر الدواعي ، مثل ما يعرفه ذوو البصيرة منهم وتقوى دواعيهم إلى النظر حالاً بعد حال ، من حيث لا يغيب عن الإسماع على طول الدهر ولدخوله في جملة الباب الذي يقع منهم فيه التنافس ولأن وجه الإعجاز فيه لا يتغير على الأيام ، كما أن شريعته لا تزول على الأوقات »^(١) .

ويعد « عبد الجبار » فصلاً طويلاً يحاول أن يجيب فيه على هذا السؤال : هل يصلح الكلام أن يكون مادة للتحدي ؟ وإذا صلح فهل يتسع هذا التحدي لقيام معجزة ؟ . وكان « عبد الجبار » ي يريد بهذا أن يكشف شبهة ربما قامت في بعض العقول وهي « الإعجاز بالكلمة » إذ ما عرف من المعجزات قبل القرآن كان يقوم على أشياء مادية محسوسة ، تحدى قوى الناس جميعها . فتبهرهم بأفعالها وتخرسهم بآثارها وأعاجيبها .. أما أن يكون الكلام مادة للتحدي فذلك ما لم يرده الناس قبل القرآن ، ولم يتصوروا وقوعه في الحياة يوماً من الأيام . يقول « عبد الجبار » « إن الكلام الفصيح مراتب ومهابيات وأن جملة الكلمات ،

١ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢١٠

وإن كانت مخصوصة - فتأليفها يقع على طرائق مختلفة من الوجه .. فتختلف لذلك مراتبه في الفصاحة فيجب ألا يمتنع أن يقع فيه التفاضل ، وتبين بعض مراتبه من بعض ، ويزيد عليه قدرأً يسيراً أو كثيراً . « وما هذا حاله ، فالتحدي صحيح فيه .. لأن فيه مقادير معتادة تصح فيها زيادات في الرتب غير معتادة ، وصار ذلك في بابه بمنزلة مقادير معتادة تصبح فيها زيادات في مرتب غير معتادة فكما صحي فيها حل هذا المحل التحدي به ، فكذلك القول فيها ذكرناه في الكلام » .

يريد عبد الجبار أن يقول : إنَّ الكلام الفصيح مراتب ، يعلو بعضها بعضاً أشبه بالمقادير المحسوسة يزيد بعضها في جنة على بعض وهي بهذا صالحة لأن يتحدث بها ، وذلك لأن يكون المعتمد أن يحمل الناس ما وزنه قطراً أو قنطرارين^(١) .

ويحاول الدكتور عبد الرؤوف مخلوف أن يقارن بين البابلاني والقاضي عبد الجبار في أوجه الإعجاز فيقول : « إن الفرق بين كتاب البابلاني وبين كتاب عبد الجبار هو أن « كتاب البابلاني قصر على قضية الإعجاز من الناحية الفنية بينما كتاب عبد الجبار يتناول طائفة من قضایا التوحيد والعدل ويناقش كثيراً من القضایا المتصلة بالقرآن وإن لم تكن من الإعجاز الفني في الصميم »^(٢) .

٤ - القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ :

قد تحدث عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم القاضي عياض وقد حصر أوجه الإعجاز في القرآن الكريم بأربعة أوجه^(٣) .

١ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢١١

٢ - البابلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٧٥

٣ - الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض ٢١٧/١ وما بعدها

إذ جعل الأول لحسن تأليفه والثامن كلمة وفصاحته ، والثاني لنظمه وأسلوبه القريب المخالف لأساليب العرب والثالث لما انطوى عليه من غيبيات والرابع لما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة^(١) .

وقد ذكر جلال الدين السيوطي رأي القاضي عياض ملخصاً في كتابه الإتقان . قال السيوطي : « وقال القاضي عياض في الشفا أعلم أن القرآن منظو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولاً حسن تأليفه والثامن كلمة وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاوغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن ، والثاني صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنها نظمها ونشرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له قال : وكل واحد من هذين النوعين الإعجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاتها نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منها إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها خلافاً لمن زعم أن الإعجازاً في مجموعة البلاغة والأسلوب ، الوجه الثالث ما انطوى عليه من الأخبار باللغيبات وما لم يكن موجوداً كما ورد . الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيوردده صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب قال بهذه الوجوه الأربع من إيجازه بينه لا نزاع فيها ، ومن الوجوه في إعجازه غير ذلك أي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فيما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود : فتمنا الموت إن كنتم صادقين ولن تمنوه أبداً فما تمناه أحد منهم وهذا الوجه داخل في الوجه الثالث ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم

١- الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٦ حتى ص ٣١١ بتصرف

والهيبة التي تتعزز بهم عند تلاوته وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبار بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور قال فلما بلغ هذه الآية : أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالقُونَ إِلَى قَوْلِهِ الْمُسِيَطِرُونَ . كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف ثم قال ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه ومنها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يجهه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادي إذا أعيد ويل مع الترديد وهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد من كلمات قليلة وأحرف معدودة قال وهذا الوجه داخل في بلاغته فلا يجب أن يعد فناً مفرداً في إعجازه قال والأوجه التي قبله تعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجه الأربع الأول فليعتمد عليها »^(١) .

٥ - السكاكي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ :

من العلماء الذين تحدثوا عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم أبو يعقوب يوسف بن البكر بن علي السكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم في البلادة « وقد نقل رأيه في الإعجاز جلال الدين السيوطي في كتابه الأنقان قال السيوطي : « يقول السكاكي في المفتاح : « اعلم أن الإعجاز يدرك ، ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن .. تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة .. وكما يدرك طيب النغم العارض للصوت ، ولا يدرك تحصيله لغير ذي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي البيان والمعانوي والتمرين فيها »^(٢) . ويعقب الخطيب على القول السابق

١ - الأنقان في علوم القرآن / ٢٢٢ ، ١٢٣

٢ - الأنقان في علوم القرآن / ٢٠١

ويقول : « وما يقوله السكاكي عن إعجاز القرآن هنا هو مقطع القول كله في هذا الأمر إذ ليس الإعجاز الذي رأه الناس من أمر القرآن إلا روعة تملّكهم ، وإنما جللاً يحيط بهم إنما معان تدرك وتستشعر ولا توصف ..

ولهذا فإن الناس من القرآن الكريم على منازل ودرجات وحظوظ كلٍ ينال منه بقدر ما عنده من إستعداد لل التجاوب العقلي والروحي والنفسي معه .. إنه كما يقول الرسول الكريم : « مأدبة الله » ينال كل منها بقدر ما تصل إليه يده ، ومتى إليه عينيه ، وتشتهيه نفسه »^(١) .

٦ - الزملکاني المتوفى سنة ٦٥١ هـ :

تحدث العالم الجليل الشيخ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بالزمکاني عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى رأيه من خلال كتابه « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » وقد حققه عالمان جليلان من العراق الشقيق ، هما : الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديشي .

وقد لخص العلامة رأي الزملکاني في أوجه الإعجاز وذلك في تقديمها للكتاب والذي يهمنا في هذا الشأن ما قيل في الإعجاز حيث تحدث المؤلف في القسم الأول من الكتاب في إعجاز القرآن الكريم قال المحققان : « والقسم الأول من الكتاب في إعجاز القرآن الكريم ، وقد تحدث به عن الآراء المختلفة في هذه المسألة وعرض رأيه ، ثم تحدث عن المقاصد وهي أربعة : معرفة الله تعالى ، وذكر الطريق المسلوك إليه ، والغاية التي ينتهي إليها السالكون ، وأحوال السالكين »^(٢) . وتحدث في القسم الثاني فيما يتعلق بالدلائل الإفرادية ، وقد

١ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٢٣

٢ - مقدمة البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ٢٧

تكلم فيه على مادة الكلمة وهيئتها وجهة دلالتها وفيما يجب من مراعاة موارد القرآن وهي ما يتصل بالحقيقة والمجاز من مباحث كال المجاز الإفرادي والكتابية والإستعارة والتشبيه والتمثيل والمعرفة والنكرة . وختم هذا القسم بالحديث عن مفردات لم تدخل تحت الضبط مثل : كل وجميع وجملة واسم الإشارة واللهم والأسماء المضافة إلى الجمل وكاد وفعل وفاعلت وأ فعل «أن» والهمزة وما النافية وما وإلا ولوً ولاً ولنً وأماً . والقسم الثالث فيما يتعلق بمراعاة أحوال التأليف وقد بدأ بالحديث عنها يجب على الناشر والناظم مراعاته ، وذكر أمثلة تدل على غور النظم ودقة رموزه . ثم تحدث عن تقديم الاسم على الفعل وتأخيره وخبر المبدأ وتقديم بعض الأسماء على بعض والإيجاز والتأكيد والمحذف والمفعول به وتناظر الفعلين والحال والتمييز والفصل والوصل وأسباب التقديم والتأخير وما يتحقق به تفاضل العبارات ودلالة الكلام ، وصلة الألفاظ بالمعاني ، والإفراط والنزول والإعراض عن صريح الحكم واللف والنشر والإلتغات والتفسير وختم الكتاب بخلاصة لفكرة النظم التي شرحها عبد القاهر في دلائل الإعجاز^(١) . وقد تحدث السيوطي عن رأي الزملکاني في الإعجاز قال الزملکاني : «وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص لا مطلق التأليف .. لأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة ، وعلت مركباته معنى بأن يقع كل من في مرتبة العليا في اللفظ والمعنى»^(٢) .

وعقب الخطيب قال : « وهذا تعميم أيضاً .. إذ ما هو التأليف الخاص وما حدوده ؟ وهل كل كلام إعتدلت مفرداته تركيباً وزنة يجوز البلاغة كلها ، ويستولي على زمام البيان ثم الإعجاز ؟

و واضح هذا الرأي أن اللفظ والمعنى معاً قد كانوا مناط الإعجاز في القرآن

١ - مقدمة البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ٢٧

٢ - الإنقاذ في علوم القرآن ٢ / ١١٩

حيث ارتفع بها النظم القرآني إلى المرتبة العليا التي لا ينادها أحد^(١).

٧ - جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ :

تحدث جلال الدين السيوطي عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وذكر آراء العلماء وذلك من خلال كتابه الإتقان في علوم القرآن.

ويلحظ القارئ أن السيوطي قد نسب بعض الآراء لأصحابها في الإعجاز كالباقلاي والزمليكانى وابن عطية والرازى والأصبهانى والمراسى والزرتشى والسكاكى^(٢). أما بقية الآراء فلم ينسبها لأصحابها نحو قوله : حيث استخدم « زعم قوم » أو « آخرون » ومثالاً على ذلك قال : « زعم قوم أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات وأن العرب كلفت فى ذلك ما لا يطاق به وقع عجزها^(٣). وقال : « وقال قوم وجميع إعجازه ما فيه من الأخبار عن الغرب المستقلة ولم يكن ذلك من شأن العرب » .

وقال آخرون : « ما تضمنه من أخبار عن قصص الأولين وسائل المقدمين حكاية من شاهدها وحضرها ». وقال آخرون : « ما تضمنه من أخبار عن الضماير من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل »^(٤).

وقد تحدث عن الإعجاز في مواطن متفرقة من كتابه الإتقان ويرى أن القرآن معجز في شتى المجالات تحت عنوان ، فائدة : قال : الحكمة في تسوير القرآن سورة تحقيق كون السورة معجزة^(٥). ويرى أن كل سورة معجزة بصرف

١ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٣٧

٢ - الإتقان ١١٨/٢ وما بعدها

٣ - الإتقان ١١٨/٢

٤ - الإتقان في علوم القرآن ١١٨/٢

٥ - الإتقان ٦٦/١

النظر عن العدد الكمي للآيات القرآنية وسورة الكوثر ثلاثة آيات معجزة إعجاز سورة البقرة » ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسراً من الله على عباده «^(١).

فاما عن بيان القرآن فقال : « فهو أشرف بيان وأهداء وأكمله وأعلاه وأبلغه »^(٢). وحاول السيوطي أن يجمع آراءه فيما بعد في كتابه « معرك الإقران في إعجاز القرآن إذ ذكر أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم تشمل على خمسة وثلاثين وجهًا كتصرف الكلمات والنظم والبلاغة والأخبار عن الغيب والمستقبل وروعته وهيبته وحب سماعه وتيسره تعالى لحفظه ووقوع الحقائق »^(٣).

ويجدر بنا قبل أن يتهمي بنا المطاف حول آراء العلماء في أوجه الإعجاز في القرآن الكريم أن نشير إلى رأي أبي حيان التوحيدي وبندر الفارسي قال السيوطي : « وقال أبو حيان التوحيدي سئل بندر الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن فقال هذه مسألة فيها حيف على المعنى وذلك أنه شبيه بقولك ما وضع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولة وهدى لقائله وليس من طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده »^(٤).

وقد نقل الأستاذ عبد الكريم الخطيب رأي أبي حيان قال : « وأبو حيان وإن يكن يروي هذا الرأي رواية ، وبنسبة إلى غيره فهو في الواقع رأيه هو أو أنه

١ - الإنقان ٦٦ بتصرف

٢ - الإنقان ٢/١٧٩

٣ - معرك الإقران في إعجاز القرآن ص ١/١٥ وما بعدها .

٤ - وانظر خاصة ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ حتى ٥١٤ الإنقان في علوم القرآن ١٢٠/٢١ -

أخرج هذا الرأي على الوجه الذي يرضاه ، وبأسلوبه الفلسفى الذى عرف به وعلى أي فإنَّ أبا حيان إنْ لم يكن قائل هذا الرأى فهو راض عنه ، معتقد له والرأى الذى يذهب إليه أبو حيان أو بندر الفارسي في إعجاز القرآن هو أن القرآن معجزة في ذاته ، فلا يمكن أن يقال : أين المعجزة فيه ، أو منه ؟ فكأن القائل بهذا يقول : أين المعجزة في المعجزة ؟ أو أين الإنسان في الإنسان ؟

ولا شك أن هذه مغالطة من أبى حيان .. فإن كون القرآن هو معجزة بحد ذاته لا يمنع أن يعرف الناس وجه الإعجاز في المعجزة وذلك فيما يبدو للناس منها حسب وقوعها عليهم . . . إذ أنهم لا محالة حين يواجهون المعجزة القرآنية - يعرفون أين مكان « الضغط » منها على قلوبهم وعقولهم ؟ وطبعيًّا لا يكون ذلك مكاناً واحداً ولا جهة واحدة ، بل هو أمكنة لا تعد وجهات لا تختصى وهذا اختلفت الآراء فيها وتعددت ومع هذا الإختلاف وهذا التعدد فإن الإعجاز مطلب لا يفتر الناس أبداً عن البحث عنه ، والتهدي إليه إذ يجدون دائماً آثاره مشتملة عليهم كلما قرأوا شيئاً من كتاب الله أو استمعوا له »^(١) .

وعندما نقف مع الرد السابق ورأى أبى حيان ^(٢) نلحظ أن أبا حيان لا يريد أن يمنع القارئ أو الباحث من البحث عن الإعجاز فهو يرى أن الإعجاز واضح كوضوح الشمس ساطح البرهان يستطيع أن يلمع إعجازه .

الخلاصة :

نلحظ أن العلماء الذين درسوا أوجه الإعجاز قد اتفقوا على كونه معجزاً

١ - الإعجاز في دراسات الصابقين ص ٣٣٠

٢ - الإنفان ٢/١٢٠ ، ١٢١

واختلفوا في التفاصيل فقط ف منهم من رکز على بلاغته و عجیب نظمه و بداع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين وإنما هو على حد واحد في حسن النظم و بداع التأليف والوصف خارج عن وحشی الكلام و غریبة وعن التکلف يسیر إلى القلب شفاء و رحمة بينما قد يتفاوت کلام الناس عند إعادة القصة الواحدة إن کلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً . ولكن القرآن الكريم يسمو في ذلك سمواً منقطع النظير كما كان للمعنى دوراً بارزاً في إعجازه فقد وضع أصل الشريعة والأحكام والإحجاجات والرد على الملحدين . فقد بهر العرب وهم أصحاب بيان وبلاحة ، وجعلهم عاجزين أمامه ومنهم من ذهب إلى القول بأن إعجازه في أخباره عن الغيوب والمستقبل وتفرد به هذه الأخبار الصادقة وهم في الوقت ذاته لا ينكرون بلاغته وروعة أسلوبه وما اشتمل عليه النظم من خصائص وصفات انفرد بها عن المؤلف في أساليب العرب وعلمائهم .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

مَوْقِفُ الْعُلَمَاءِ الْمُحْدِثِينَ مِنَ الْإِعْجَازِ

ذهب بعض العلماء المحدثين إلى ما ذهب إليه القدماء من دراسات حول الإعجاز القرآني، وأوجه الإعجاز فيه : ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى آرائهم بشيء من الإيجاز طبقاً لما يتطلبه مقام البحث ولتصبح الرؤيا واضحة أمامنا حول هذه الدراسة .

١ - الرافعي المتوفى سنة ١٩٣٧ م

تحدث الرافعي عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وبدأ في أول مؤلفه الحديث عن مؤلفات العلماء السابقين في الإعجاز^(١) . أما وجهة نظره في أوجه الإعجاز فقال : « أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حفقناه بعد البحث وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وإنضاج الرؤية ، وما يستخرجناه من القرآن نفسه في نظمته ووجهه تركيبه واطراد أسلوبه ، ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير والمقابلة واكتفاء الروح التاريخية في أوضاع الإنسان ، وأثاره وما نتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يقصد إليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوي التي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة

١ - إعجاز القرآن للرافعي ص ١٦٩ وما بعدها .

التأليف وأحكام الوضع وجمال التصوير ، وشدة الملاعنة ، حتى يكون أصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه - نقول إن الذي صهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا ، إن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن ، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة ، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها وما نظمه إلا الصورة الروحية للإنسان ، إذ كان الإنسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله .

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الإنساني ومعجز كذلك في حقيقته ، وهذه وجوه عامة لا تختلف الفطرة الإنسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت^(١) .

ثم بدأ الرافعي يتحدث عن إعجاز القرآن مبيناً مفرداته اللغوية وتأثيره على اللغة العربية قال : « وإنما شباب هذه الحياة اللغوية أن تكون اللغة لينة شديدة كما يكون كمال الإنسان بقوه الخلق والخلق وهذا وجه لولم يقمها عليه القرآن لما استقامت أبداً ، ولا وقفت على طريقة ، ولا تلقي فيه آخرها بأوها ، لما أومنا إليه ، وسنزيد هذا المعنى بياناً إن شاء الله ، وبقي وجه آخر من تأثير القرآن في اللغة ، وهو إقامة أدائها على الوجه الذي نطقوا به ، وتيسير ذلك لأهلها في كل عصر ، وإن ضعفت الأصول واضطربت الفروع ، بحيث لو لا هذا الكتاب الكريم لما وجد على الأرض أسود ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم كيف كانت تنطق العرب بألسنتها وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها^(٢) .

وقال في موضع ثان : « لا نتكلم في هذا الفصل عن الوجوه اللغوية التي

١ - إعجاز القرآن للرافعي ص ١٧٥

٢ - إعجاز القرآن للرافعي ص ٨٤

ابتدعها القرآن في الكلام فصارت من بعده نهج الألسنة والأقلام ولا عن وجوه تأثيره باللغة فإنَّ لكل من ذلك موضعًا هو أملك به وإنما نقص لك طرفةً من القول في هذه اللغة كيف ظهرت في آياته للزمان حتى لا يظن أنها لغة عصرها ، وكيف بشرت بغاياته في البيان حتى ليقال إنها لغة دهرها وكيف جاوز بها قدرها الطبيعي بعد أن صار هو من قدرها نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نطف يعجز قليله وكثيرة معاً فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه ، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته ، وهو في كل جزء من أجزاءه وفي أجزاءه جملة لا يعارض شيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء وبدلت الأرض غير الأرض وإنما كان ذلك لأنَّه صفي اللغة من أكدارها ، وأجراتها في ظواهرها على بواعظن أسرارها ، فجاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب ، هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز ، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز ، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب ، وتحول التراكيب إلى التراكيب ، فقد أظهرها مظهراً لا يقضي العجب منه ، لأنَّه جلالها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاسته ، وهذا بهتوا لها حتى لم يتبنوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنَّها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمض لها شيخ ولا قيسوم »^(١).

ثم تحدث بعد ذلك عن النتيجة قال : « وليس في تاريخ العرب اللغوي من ذلك بالتحقيق قبل القرآن ولا بعده غير القرآن » تلك سياسة هذا القرآن جمع العرب لذهب الأقدار وتصارييف التاريخ : رأي أستهم تقود أرواحهم ، فقادهم من أستهم وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبد بالتكوين

١ - إعجاز القرآن للرافعي ٨٦ يقال فلان : يضع الشیع والقیصوم إذا كان عرباً خالص البداؤة وهما بنیان من بنیات البدایة .

العقل في كل أمة ، فتجعل الأمة كأنما تحمل من هذا العقل مفتاح الباب الذي تلنج منه إلى مستقبلها فإن كل أمة تستفيد عقلها الحاضر من ماضيها ، لتنفيذ مستقبلها من هذا العقل بعينه ، فلما استقاموا له أقامهم على طريق التاريخ التي مرت فيها الأمم ، وطرحـتـ عـلـيـهاـ نـقـائـصـهاـ فـكـانـتـ غـبـارـهاـ وـأـقـامـتـ فـضـائـلـهاـ فـكـانـتـ آـثـارـهاـ ، فـجـعـلـوـاـ يـبـنـونـ عـنـدـ كـلـ مـرـحـلـةـ عـلـىـ آـنـقـاضـ دـوـلـةـ دـوـلـةـ ، وـيـرـفـعـونـ عـلـىـ أـطـلـالـ كـلـ مـذـلـةـ صـوـلـةـ وـيـخـيـطـوـنـ جـوـانـبـ الـعـالـمـ المـزـقـ يـاـيـرـ مـنـ الـأـسـنـةـ وـرـاءـهـاـ خـيـوطـ مـنـ الـأـغـنـةـ ، حـتـىـ أـصـبـحـ تـارـيـخـ الـأـرـضـ عـرـبـاـ ، وـصـارـ بـعـدـ الـذـلـةـ وـالـمـسـكـنـةـ أـبـيـاـ ، وـاسـتوـسـقـ لـهـمـ مـنـ الـأـمـرـ مـاـ لـمـ تـرـوـ الأـيـامـ مـشـلـ خـبـرـهـ لـغـرـ هـؤـلـاءـ الـعـربـ ، حـتـىـ كـانـاـ ذـوـيـتـ لـهـمـ جـوـانـبـ الـأـرـضـ ، وـكـانـاـ كـانـوـاـ حـاسـيـنـ يـسـحـونـهاـ لـاـ غـزـاءـ يـفـتـحـوـنـهاـ ، فـلـاـ يـبـتـدـئـ السـيفـ حـسـابـ جـهـةـ مـنـ جـهـاتـهـاـ حـتـىـ تـرـاهـ قـدـ بـلـغـ بـالـتـحـقـيقـ »^(١).

ويرى الرافعي أن من أوجه إعجاز القرآن أنه جمع العرب ومزنق العصبية الجاهلية وجعلها عصبية روحية قال : « ولقد كان من إعجاز القرآن أن يجمع هؤلاء الذين قطعوا الدهر بالتقاطع على صفة من الجنسية لا عصبية فيها إلا عصبية الروح إذ أخذهم بالفطرة حتى ألف بين قلوبهم وساوى بين نفوسهم »^(٢). كما تحدث عن أثر القرآن في العلوم »^(٣). وخاصة الآيات الكونية والعلمية .

قال الرافعي : « ثم أن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلاً على إعجاز آخر فهو بذلك يومئ إلى أن الزمن متوجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل ، وأن الإنسانية ذاهبة في أرقى عصورها إلى هذا المذهب وأن الدين سيكون عقلياً وأن العقل هو آخر أنبياء الأرض ، فوجود ذلك فيه قبل

١ - إعجاز القرآن للرافعي ص ٨٧

٢ - إعجاز القرآن للرافعي ص ٩٢

٣ - إعجاز القرآن للرافعي ص ١٢٧

أن يوجد ذلك في الزمن بأربعة عشر قرناً ، شهادة ناطقة من الغيب لا يبقى عليها موضع شبهة فإن أسفر الصبح وبقي بعض الناس نياماً لا يرونـه وقد ملأ الدنيا بذلك من عـمـى النـومـ فيـ أـعـيـنـهـمـ ، وآخـرـونـ لاـ يـرـونـهـ منـ نـومـ العـمـىـ فيـ أـعـيـنـهـ والـصـبـحـ فـوـقـ هـؤـلـاءـ وـهـؤـلـاءـ وـمـنـ أـبـصـرـ فـلـنـفـسـهـ وـمـنـ عـمـىـ فـعـلـيـهـاـ »^(١).

أما الأسلوب القرآني وصور إعجازه فكان له حظ وافر من الدراسة^(٢) ويحاول الرافعي في تبيان حقيقة الإعجاز أن يعترف قائلاً : « ولستا ندعى أننا أشرفنا على الأمد وأوفينا على معجزة الأبد ، فإن هذا أمر ضيق كثير الإلتواء لمن تلمس جوانبه واقتصر مصابعه وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة ، وتعاونوا عليه .

٢ - الشـيـخـ مـحـمـدـ أـبـوـ زـهـرـةـ :

تحـدـثـ الشـيـخـ مـحـمـدـ أـبـوـ زـهـرـةـ عـنـ أـوـجـهـ إـعـجازـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـذـلـكـ فـيـ كتابـ أـسـهـاـهـ «ـ الـمـعـجـزـةـ الـكـبـرـىـ »ـ .

تحـدـثـ الشـيـخـ أـبـوـ زـهـرـةـ عـنـ الـكـوـنـ وـسـتـنـهـ وـنـظـامـهـ وـبـيـنـ أـنـ هـنـاكـ أـمـورـاـ تـحـدـثـ خـارـقـةـ لـلـعـادـةـ وـهـنـهـ خـارـقـةـ لـلـعـادـةـ وـهـنـهـ هيـ الـمـعـجـزـةـ^(٣)ـ .ـ ثـمـ تـحـدـثـ عـنـ الـمـعـجـزـاتـ السـابـقـةـ لـلـأـنـبـيـاءـ خـاصـةـ إـبـرـاهـيمـ وـمـوسـىـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ^(٤)ـ .ـ وـهـيـ مـعـجـزـاتـ حـسـيـةـ وـيـسـأـلـ الشـيـخـ أـبـوـ زـهـرـةـ عـنـ كـوـنـ مـعـجـزـةـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـعـنـوـيـةـ وـمـعـجـزـاتـ الـأـنـبـيـاءـ السـابـقـينـ مـادـيـةـ حـسـيـةـ وـيـقـولـ فـيـ ذـلـكـ ،ـ وـمـعـجـزـةـ

١ - إعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٦

٢ - إعجاز القرآن للرافعي ص ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩

٣ - المعجزة الكبرى ص ٨ بتصرف

٤ - المعجزة الكبرى ص ٩ بتصرف

محمد صلى الله عليه وسلم معنوية فقد كانت بياناً يتلى ، وذكر أحياناً يحفظ في بيان الشرائع المحكمة الخالدة .

قبل أن نخوض في الإجابة عن السؤال الوارد في موضعه ، نقرر أن كون المعجزة مادية حسية تبهر الأعين بادئ الرأي لا يدل على علو المنزلة أو عكسها ولكنها حكمة الله تعالى العليم بكل شيء القادر على كل شيء والله تعالى فضل بعض الرسل على بعض فمنهم من كلام الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، ولكن ليست الرفعة بكون الآيات مادية حسية ، بل بأمور قدرها الحكيم العليم الذي له وحده حق نوع التفضيل والرفعة »^(١) .

والحقيقة أن الشيخ أبي زهرة قد أجاب على سؤاله السابق وأعاد ذلك لإرادة الله وحكمته إلا أنه أخذ في شرح المعجزات ويناقش معجزة موسى عليه السلام وأنها كانت مناسبة لأهل مصر وإن السحر والكهانة كانا منهم ، ثم تحدث عن معجزة إبراهيم وعيسى وذكر أن عصر عيسى عليه السلام شاع في علم الطب^(٢) ويقول في هذا الشأن : « وهكذا نجد أن معجزات عيسى عليه السلام ورسالته كانت يُقاظاً شديداً لعصره ، وتنبيهاً لمكان الروح ، وسلطانها وبياناً لقدرة الله تعالى ، وأنه الفعال لما يريد ، فكانت رسالته ومعجزاته مناسبة لعصره »^(٣) ..

أما معجزة محمد عليه السلام فكانت خالدة إذ يرى لما فيها من أخبار السابقين مناسبة لكل عصر ولا يستقبل . إنما المعجزة الخالدة فيقول في هذا الشأن « ولكن معجزة محمد عليه السلام كانت من نوع آخر ، لم يكن حادثة تقع وتزول من غير بقاء لها إلا بالخبر بل كانت قائمة تناطح الأجيال ، يراها ويقرؤها الناس

١ - المعجزة الكبرى ص ١٠

٢ - المعجزة الكبرى ص ١١

٣ - المعجزة الكبرى ص ١٢

في كل عصر ونقول إنها مناسبة لرسالة النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لعمومها في الأجيال ولمكانته بين الرسل ومقامه في هذا الوجود الإنساني إلى يوم القيمة .

إن معجزات الأنبياء السابقين لا يعلم وقوعها على وجه اليقين إلا من القرآن فهو الذي سجل معجزات نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، ولو لا أنه سجلها ما علمها الناس ، وإذا كانت بعض الكتب القائمة اليوم ذكرت بعضها فقد ذكرته مشوباً بأمور غير صادقة كأخبارهم بأن لوطاً كان خموراً فوقع على ابنته ، وما يكتب فيه مثل هذا عن بعض النبيين لا يمكن أن يكون مقبول الخبر عن سائرهم ومعجزاتهم .

ونقول : إنَّ معجزة محمد عليه السلام كانت القرآن لقد أحرى الله تعالى على يديه خوارق عادات أخرى مثل إخباره عن بعض ما يغيب عن حسه ، ومثل حنين الجنع إليه ، ومثل بكاء الناقة عنده ومثل الإسراء والمعراج ، ولكن لم يتحدد إلا بالقرآن الكريم ولم يرى المشركون صرحاً شامخاً يتحداهم به سوى القرآن الكريم^(١) ويقرر : تلك المعجزة الخالدة هي القرآن الذي يتحدى الأجيال كلها أن يأتوا بمثله ، « ولو اجتمع الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » كما ذكر الله سبحانه وتعالى في حكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو وجدة الله على خلقه ، وجدة النبي في رسالته وسجل الشريعة المحكم في بيانه ، وهو المرجع عند الاختلاف والحكم العدل عند الافتراق وهو الطريق المستقيم المرشد عند الاعوجاج من سلكه وصل ، ومن جأ إليه اهتدى^(٢) .

١ - المعجزة الكبرى ص ١٤

٢ - المعجزة الكبرى ص ١٥ طبعة بيروت

ويرى الشيخ أبو زهرة وجهاً آخر للإعجاز وهو العلوم القرآنية التي لا تختص ويقول في هذا الشأن : « والعلماء يجدون فيه المعين الذي لا ينضب ، والثورة الإسلامية التي لا تنفذ فيه حكم الأمور كلها ما وقع ، وأن كل ما فيه حق ، وأنه مصلحة الدنيا والآخرة ، ما من خبر إلا له في القرآن أصل معتمد ، ونص يمكن الحمل عليه فما ترك الله الإنسان سدى ، وقد قال تعالى وقوله الحق : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وفيه عبر الماضين وأخبار كل النبئين فهو كتاب الله الكامل فيه معاني كل الكتب المنزلة على الرسل وفيه أخبار أولئك الرسل مع أقوامهم وفيه المثلث المرشدة ، والعظات الموجهة ، وفيه أعلى الآداب الإنسانية وأقوم السلوك الكامل للخلق أجمعين ، وفيه تعليم الإنسان الاتجاه إلى الكون وتعرف ما فيه ، والأخذ بالعلم من قوادمه وخوافيه وفيه الدعوة إلى العلم بكل ضروربه ، علم الإنسان ، وعلم النفس وعلم الكون ، والعلم بالنجوم في مسالكها ، والسموات في أفلاتها والأرض في طبقاتها ، فيه الدعوة إلى العلم بما لا يعلم ، وطلب في كل مدارته »^(١) .

بعد أن بين الشيخ أبو زهرة أوجه الإعجاز الفكري أخذ يتحدث عن إعجاز القرآن متتحدثاً عن أحوال العرب في تلقي رسالات الأنبياء وكيف تلقوا القرآن الكريم^(٢) وبين سر الإعجاز وذكر الصرف وبطளتها ورأي النظام ورد المحافظ عليه وتحدث عن وجوه الإعجاز ورأي القرطبي والرد عليه^(٣) .

ثم انتقل إلى الحديث عن أوجه الإعجاز البلاغي حيث تحدث عن وجوه الإعجاز البلاغي وألفاظ القرآن وحروفه كما تعرض لرأي عبد القاهر الجرجاني ورأي الباقلاني ثم وقف وقفة المتأمل مع ألفاظ القرآن وحروفه كما تعرض لرأي

١ - المعجزة الكبرى ص ١٦ ، ١٧ ،

٢ - المعجزة الكبرى ص ٦٣ ، ٧٤ ،

٣ - المعجزة الكبرى ص ٧٧ - ٩٦

عبد القاهر الجرجاني ورأي الباقلاني ثم وقف وقفة المتأمل مع ألفاظ القرآن مبيناً فصاحتها نحو قوله تعالى : « والصبح إذا تنفس » ثم انتقل إلى الأسلوب القرآني والتالف بين الألفاظ^(١).

٣ - الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » :

تحدثت الدكتورة عائشة عبد الرحمن عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في كتاب أسمته : « الإعجاز البياني في القرآن الكريم » وترى الدكتورة الفاضلة أن دراسة الإعجاز تفوق كل محاولة لتحديد إلا أن ذلك في رأينا - لا يمنع من التعرف على ما يستطيع الإنسان أن يصل إليه » .

وقالت في هذا الشأن : « ومع إدراكي أن الإعجاز بالبياني للقرآن يفوق كل محاولة لتحديداته أتقدم في خشوع إلى الميدان الجليل فأضع إلى جانب محاولات السلف الصالح ما هدى إليه عكوف الطويل على تدبر كلمات الله من وجه في هذا الإعجاز »^(٢). وإن الإعجاز ليس وقفاً على فئة معينة من الناس أو على عصر معين بل أنه خالد أبد الدهر ، وقالت بنت الشاطئ : « من إعجاز القرآن أن يظل مطروحاً على الأجيال توارد عليه جيلاً بعد جيل ثم يظل أبداً رحب المدى سخياً المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطعم ، عالياً يفوق طاقة الدارسين »^(٣).

ونحب في هذا الشأن أن نقف قليلاً مع كتاب الإعجاز البياني في القرآن الكريم لتشير إلى رأيها في أوجه الإعجاز تحدثت في مقدمة الكتاب عن العلماء

١ - المعجزة الكبرى أنظر مثلاً ص : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٥٢

٢ - الإعجاز البياني للقرآن الكريم بنت الشاطئ ص ٢٩ ، ١٢٦

٣ - الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٥

الذين درسوا الإعجاز وبدأت ذلك بدراسة العلماء منذ القرن الثاني تقريرًا حتى انتهت إلى العصر الحديث متحديثة عن الرافعي وكتابه في الإعجاز وأطلالت في الحديث عنه مع اعتذارها للقارئ عن تلك الإطالة إذ قالت : « وأعتذر عن هذه الإطالة في نقل فقرات من مقدمة السيد الرافعي لكتاب الإعجاز » فعباراته فيها تعكس صدى رأي علماء جيله في هذا الكتاب بقدر ما تكشف لنا عن طريقته في النظر والتناول ، ومنطقة في البرهنة والإحتجاج وأسلوبه في المناقشة والجدل .

فمثل هذا التدفق جرى قلمه في موضوع الإعجاز ، وبمثل هذه الطوعية البلاغية صالح وجال في الميدان كمن يقول : كم ترك الأول للآخر .. واستراح من حيث ظن أنَّ القسم الأوائل والأواخر حجرًا وقال : « في غير الجهات التي كتب فيها كل من قبله »^(١) . ثم بدأت تتحدث عن الإعجاز فبدأت الحديث عن المعجزة ، والشركين والقرآن ، والمعجزات والجدل والتحدي ووجوه الإعجاز والبيان القرآني و موقف البلاغيين من الإعجاز البياني كالخطابي والرماني والقاضي عبد الجبار والباقلياني والجرجاني »^(٢) .

وترى الدكتورة بنت الشاطئ أن من أسرار الإعجاز البياني في اللفظ مع النظم وتقول في هذا الشأن : « وسبق القول أن الخطابي لمح الإعجاز في اللفظ في مكانه فإذا أبدل فسد معناه أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة » .

وهذه اللمحـة الدقيقة هي كما قلت من قبل محور فكرة عبد القاهر الجرجاني في النظم ولعلها أيضًا تلتقي مع جانب من فكرتنا في الإعجاز البياني ثم نختلف بعد ذلك في إدراك مغزاها ولمح أبعادها ، وطريق الاحتكاك لها والإستدلال عليها .

١ - مقدمة الإعجاز البياني للقرآن الكريم بنت الشاطئ ص ٢٧

٢ - الإعجاز البياني للقرآن الكريم بنت الشاطئ ص ٣٤ ، ١٦٦ طدار المعارف

لقد شغل البلاغيون عن الإعجاز بباحث بلاغية قدموها بمعرض عن العجز لأنهم رأوا أن علوم البلاغة هي دلائل الإعجاز وسبيل فهمه على حين نعلم نحن البلاغة من هذا القرآن ونخلص إليه لنتدبّر أسرار بيانه المعجز .

ثم تحدثت عن فوائح السور وسر الحرف وتکاد تستعرض آراء كثیر^(١) من العلماء والمفسرين في هذا الشأن وترى أن هذه الفوائح هي إعجاز وترى أن الفوائح بدأت في السور الثلاث الأول بحرف واحد « ن ، ق ، ص » لافتا إلى سر الحرف ثم نزلت سورة الأعراف ويس ومريم وطه والشعراء والنمل والقصص بفوائح من حرفين يس ، طه ، طس ، وثلاثة طسم وأربعة : « المص » وخمسة كهيعص » وألفاظ العربية مبنية على مثل هذا العدد من الأحرف التي نزل بها الكتاب العربي المبين فلفتت إلى أن الحروف قد تتألف منها ألفاظ عجاء فإذا أخذ الحرف موضعه في البيان تحلي سره^(٢) .

ثم تحدثت عن الحروف الزائدة والباء في خبر ما وليس والحروف التي أولها العلماء ثم دلالات الألفاظ والأساليب البيانية كالاستغناء عن الفاعل ورعيانة الفاصلة والسجع^(٣) .

٤ - الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

من العلماء الذين تحدثوا عن أوجه الإعجاز القرآني الأستاذ عبد الكريم الخطيب وجاء ذلك في كتاب سماه « أتعجز القرآن » طبع بمصر عام ١٩٦٤ ونشرته دار الفكر المصرية تحدث الخطيب عن العلماء السابقين وأرائهم في أوجه الإعجاز

١ - الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٢٧ ، ص ١٣٩

٢ - الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٥٣

٣ - المصدر السابق ص ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ .

القرآنی ونحب في هذا الشأن أن نقدم بعض النهاذج لإبراز رأي الباحث في هذا الشأن ، قال الخطيب تحت عنوان « المعجزة الخالدة » وإذا كان لكل نبی آياته ومعجزاته التي يؤید بها دعوی نبوته ورسالته فما هي المعجزة أو المعجزات التي جاء بها محمد بن يدی رسالته لقطع علی الناس طريق الشک فيه ، وفيما يدعیه ؟ لا شك عندنا في أن معجزة محمد صلوات الله وسلامه عليه هي القرآن الكريم . كما صرخ بذلك القرآن نفسه في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مِّنْ بَيْنَ أَنْذِيرِنِي أَوْ لَمْ يَكُفِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ يَتْلُى عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لِرْحَمَةٍ وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنکبوت ٥٠-٥١) فهذه الآية صريحة في قطع الكافرین عن البحث في آيات أخرى غير القرآن « إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ». فهو الرحمة والذكرى معاً .. هو المعجزة وهو الشریعة .. ففي الشریعة يجدون الرحمة وفي الآيات التي نزلت بهذه الشریعة يرون الذکرى والمعجزة لقوم يؤمنون .. وكذلك يقول الله سبحانه وتعالی عن القرآن وموقف قریش منه : ﴿ أَوْلَمْ يَكُنْ لَّهُ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عِلْمٌ بَنِ إِسْرَائِيلَ ، وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ، فَقَرَأُهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ، كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ .

تلك هي معجزة الرسول كما ينطق بها القرآن الكريم ومع هذا فقد حاول
كثير من العلماء أن يضيّفوا إلى تلك المعجزة مُعْجزات أخرى للرسول الكريم
مصورة في أحداث نقلها بعض الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعلوها
من معجزاته كاشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وكتكثير الطعام القليل حتى
يطعم منه الأعداد الكثيرة من الناس »^(١) .

^١ - إعجاز القرآن ص ٩٦ ، ٩٧ للخطيب .

وبعد أن ناقش بعض القضايا الفكرية وخاصة فيما يرى أن إعجاز القرآن إنما هو حجة على من يحسن العربية ويطلب للإعان بالدعوة معجزة شاهدة لها^(١).

ويخلص رأيه أخيراً بهذا القول : « ونستطيع بعد هذا أن ننتهي إلى مقررين : أولاً : أن القرآن الكريم معجزة في ذاته ، وأن معجزته محمولة في كلماته التي نزل بها .

ثانياً : أن المعجزة القرآنية جاءت في زمانها ومكانها ، ونزلت في أهلها الذين هم أقرب الناس إليها ، وأعرفهم بها . . إذ كانت بلاغتهم قد بلغت الغاية وكانت الكلمة في أفواههم قد أعطت كل ما يمكن أن تعطيه لإنسان فلما أخذ القرآن هذه الكلمات على صفتها تلك نفع فيها نفع من روح الحق فجاءت بشمر جديد وبخير كثير ، ولم يكن لها أن تعطيه أبداً في صنعة إنسان على أي لسان ولعل في قوله تعالى ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ ما يشير إلى هذا المعنى فإن كلمة حيث يعبر بها عن المكان ، والمكان يحويه زمان ويعيش فيه أشخاص وبهذا يكون إستعمال القرآن لهذه الكلمة « حيث » معجزة تتطلق منها إشارات مضيئة تشير إلى الرسول وإلى المرسل إليهم وإلى زمن الرسالة ومكانها^(٢) .

فقد أصابت الرسالة مكانها في شخص الرسول ، وفي العرب المرسل إليهم في زمان ومكان معلومين .

ثالثاً : أن الأدب الجاهلي وخاصة الشعر هو المنظور إليه في معرض التحدي وهو الذي وقع الإعجاز عليه إذ كان هذا الأدب وهذا الشعر غاية ما يمكن أن يرقى إليه فن القول ، في مجال العمل الإنساني في إستصحاب الكلمة والتعامل بها^(٣) .

١ - إعجاز القرآن ص - ظلل الخطيب

٢ - إعجاز القرآن ص ١٣٩

٣ - إعجاز القرآن للخطيب ص ١٤٠

ونقد نكتفي بهذا القدر من رأي الأستاذ الخطيب وقد قدم المزيد من الدلائل البينية والفكرة على أوجه الإعجاز^(١). وأراء العلماء السابقين في الإعجاز .

٥ - الشيخ محمد متولي شعراوي :

وقد تحدث عن معجزة القرآن من العلماء المحدثين الشيخ محمد متولي شعراوي في مقالات كتبها في أخبار اليوم عن إعجاز القرآن كما أذيعت هذه المقالات في حلقات في برامج التلفاز وأخيراً جمعها في كتاب^(٢) ذكر فيه إعجاز القرآن منذ خلق الله الدنيا ورأيه في الإعجاز « خرق القوانين الكون » بداية بأدّم وتعلّمه الأسماء وسر نزول القرآن ككتاب جامع للبشرية كلها ، مقارناً بينه وبين الكتب السماوية السابقة التي نزلت إلى أمة معينة أو شعب معين بينما جاء القرآن للبشرية جميعها فتحدث عن معجزات الأنبياء عليهم السلام فبدأ بمعجزة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعبادة الأصنام وكيف أُلقي بالنار وتعطل قانون الإحرار عندما قال تعالى : قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم^(٣) فالنار مع إبراهيم تعطل إحرارها « ثم تحدث عن معجزة عيسى عليه السلام الذي جاء لقوم يعلمون الطب فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه فأبراً الأكمة والأبرص وتسامي إلى شيء آخر لم يصلوا به إليه فأحياناً الموتى .

ثم تحدث عن موسى عليه السلام وكيف أن الماء فقد قوانينه حيث ضرب

١ - إعجاز القرآن للخطيب ينظر ص ١٤٠ وما بعدها ونحب أن نشير في هذا الشأن إلى أن كتاب إعجاز القرآن يحمل إسماً آخر « دراسات السابقين في إعجاز القرآن » وهو الكتاب ذاته دون تغيير أو تبدل ولذا لزم التنوية^(٤) .

٢ - معجزة القرآن « الناشر المختار الإسلامي للطباعة والنشر القاهرة ٢٩٧٨ م »

٣ - معجزة القرآن ص ٦ ، ص ٧ بتصرف قدم هذه الأحاديث المذيع أحد فراغ في برنامج « نور على نور » .

بعصاه في البحر وانشق وأصبح كل فرق كالطود العظيم وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن معجزة القرآن فهي معجزة عقلية باقية خالدة يستطيع كل واحد أن يقول : محمد رسول الله وهذه معجزته ، وهي القرآن بينما المعجزات السابقة حديث ولم تعد وانتقل إلى إعجاز القرآن الكلي فهو معجز للعالم كله فأول من أعجزهم هم العرب ببيانه وفصاحته وأعجز العالم والعرب معاً حيث مرق حواجز الغيب^(١) وحواجز الزمن الماضي ويقرر أن الإعجاز جاء لتصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية السابقة^(٢). ومرق حاجز النفس كما مرق حجاب المستقبل ، واستشهد بكفر أبي هب وكيف أن القرآن قرر كفر هذا الرجل وعدايه » ولم يؤم من كما فعل غيره من آمنوا بعد كفرهم كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب « المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع^(٣) .

كما تحدث عن إعجاز القرآن في إخباره عن الأمم الأخرى وموافق العذاب في الآخرة وقد تحدى القرآن العالم كله بخمس مغيبات .. قال تعالى : « إنَّ اللَّهَ عِنْهُ عِلْمٌ السَّاعَةِ .. وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا .. وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ » كما أخبرنا القرآن بحقائق الكون ككروية الأرض^(٤) ويعلم ما في الأرحام والنظام الكوني للفلك ودوران الأرض^(٥) ثم الظاهرة الإنسانية والسلوكية للمجتمع من تعاون وحب وإخلاص .

١ - معجزة القرآن ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٤ يتصرف

٢ - معجزة القرآن ص ١٦ وذكر العلماء بعض الأحاديث عن صور للإعجاز المادي لرسولنا العظيم محمد عليه السلام ، انظر حديث إنشقاق القمر وإطعام النفر الكبير ونبع الماء وغيره إحياء علوم الدين ٣٤١ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

٣ - معجزة القرآن ص ٢٠

٤ - معجزة القرآن ص ٤٥

٥ - المصدر السابق ٤٦ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١

وتحدث الشيخ الشعراوي عن الأسلوب البياني للقرآن الكريم في كتاب آخر قال : في قضية الإعجاز البياني أو إعجازه حين يعجز اللسان عن إستيعاب البيان » إذ يطرح نماذج وأمثلة بيانية خالدة^(١) ويقول : « الأسلوب البياني في القرآن تجليه حيناً يعرض قضية من القضايا يعرضها الله عرض الخبر بحقائق النفس وال قادر على إيراد الخصائص الكلامية التي تعبّر عن حقائق النفس^(٢) ولذا في إثباته للإعجاز ببعض الآيات القرآنية المختصة بال موضوع الواحد نحو « قضية قتل الأولاد خشية إملاق^(٣) .

ثم يتعرض لموضوع السمع والبصر ، وكيف خلق الله لنا وسائل العلم كالسمع والبصر ويسير الشيخ الشعراوي في حديثه عن الإعجاز مبيناً أن الإعجاز البياني والفكري يسيران في خطين متوازيين^(٤) . كما تحدث عن زيادة الحروف في القرآن فنفي أن تكون في القرآن حروفاً زائدة^(٥) وتحدث عن صور العذاب في الآخرة وكيف تتبدل جلود المشركين^(٦) .

٦ - نعمت صديقي :

تحدثت عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم نعمت صديقي في كتاب أسمته « معجزة القرآن »^(٧) . ولكن هذه الباحثة لم تأتِ بالظواهر البيانية لأوجه الإعجاز بل ذهبت إلى النواحي الفكرية وظواهر الكون العلمية إذ رأت أن لها

١ - القضاء والقدر ص ٣٤ وما بعدها بتصرف ص ٣ دار الشروق - بيروت ١٩٧٥

٢ - القضاء والقدر ص ١٠٤ بتصرف

٣ - القضاء والقدر ص ١٠٦ بتصرف

٤ - القضاء والقدر ص ١٠٨ بتصرف

٥ - القضاء والقدر ص ١١٧ بتصرف

٦ - القضاء والقدر ص ١٢١ - ١٢٠ بتصرف

٧ - معجزة القرآن تأليف نعمت صديقي الناشر عالم الكتب المصرية

دليلًا واضحًا على أوجه الإعجاز فتحدث عن الأرض ودوراتها والجاذبية الأرضية والماء والرياح والغلاف الجوي ثم انتقلت بعد ذلك في الحديث عن الغرائز الحيوانية فبدأت بالإنسان ثم الطير والحيوان ثم تحدثت عن التركيب الجسمي للإنسان وتخرج بذلك إلى القول بأن ذلك إعجاز أيمًا إعجاز^(١).

وقد تحدث بعض العلماء عن أوجه الإعجاز القرآني الكريم في بعض كتبهم وذلك كما فعل الأستاذ محمد فريد وجدي إذ يرى أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ليست في بلاغته بل يرى ذلك في تأثيره النفسي ويقول الخطيب في ذلك : « ولكن فريد وجدي جعل أمر النظم هذا في موضع غير الصدارة أو البؤرة في مقام الإعجاز ، بل أنه كاد يخليه عن هذا المقام ، ويندرج من هذه القضية كلها»^(٢) ، يقول في هذا : « حصر المتكلمون في إعجاز القرآن كل عنايتيهم في بيان الإعجاز من جهة بلاغته فكتبوا في ذلك فصولاً ضافية الذبول وبعضهم خصها بالتأليف وإنما وإنْ كنا نعتقد أنَّ القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة ، إلا أننا نرى أنها ليست الجهة الوحيدة لِإعجازه ، بل ولا هي أكثر إعجازه سلطاناً على النفس ، فإنَّ للبلاغة على الشعور سلطاناً محدوداً ، لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه ، ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال يضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه فيه في مبدأ توارده عليها .

وليس هذا شأن القرآن فإنه قد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثيراً ولكنه تسلط على النفس والمدارك فوجب على الناظر في ذلك أن يبحث عن وجه إعجازه في مجال يكفي لتعليل ذلك السلطان البعيد المدى^(٣) .

١ - معجزة القرآن ص ٥ ، وما بعدها بتصريف .

٢ - أنظر مثلاً ، الإعجاز في دراسات السابقين ص ١٩ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٦١ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، بتصريف .

٣ - إعجاز القرآن للخطيب ص ٣١٨

وعقب فريد وجدي على قوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا » يكفي وحده في إرشادنا إلى جهة إعجاز القرآن وقصور الإنسان والجن عن الإتيان بمثله وبقائه إلى اليوم معجزة خالدة تتلألأ في نورها الإلهي وتتألق في جمالها القدسي ذلك لما كان القرآن روحًا من أمر الله ، فلا جرمَ كانت له روحانية خاصة هي عندنا جهة إعجازه والسبب الأكبر في انقطاع الإنسان والجن عن محاكاة أقصر سورة من سورة ، وارتقاء فرائص الصناديد والجبارية عند سماعه وناهيك بروحانية الكلام الإلهي .

نعم إن جهة إعجاز الكتاب الإلهي الأقدس هي تلك الروحانية العالية التي قلبت شكل العالم وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه وأرغمت لهم معاطس الجبارية والقساورة ووطأت لهم عروش الأكاسرة والقياصرة حتى صاروا ملوك الملوك ، وإخوانه الملائكة في مدة لا يصعب عد سنينها على الأصابع .. « يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده » .

١ - دائرة معارف القرآن العشرين مادة قرأ « مج ٦٦٦ / ٧ ، ٦٧٧ نقلًا عن إعجاز القرآن للخطيب ص ٣١٩ .

البَابُ السَّادِسُ

الإعْجَازُ النَّحْرِيُّ

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

النَّحَاةُ وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

لا ريب أن النحاة قد اهتموا بالقرآن الكريم إهتماماً يفوق الوصف فقد كان القرآن مصدراً لدراساتهم وفكراً ينهلون من معينة الذي لا ينضب ولن نغالي إذ نقرر أن الدراسات اللغوية كافة جاءت نتيجة حتمية لخدمة القرآن وعاشت في ظله .

ولم تكن ظاهرة التخصص في الدراسة العربية واضحةً المعالم ، فكل عالم خدم القرآن بطريقة معينة وبأسلوب خاص فمنهم من اهتم بالشرح والتفسير والحفظ والتعليم ومنهم من اهتم بال نحو والإعراب ومنهم من اهتم بالقراءات^(١). ومنهم من اهتم باللغة والغريب ومنهم من جمع أكثر من علم في خدمة القرآن .

وكان للنحاة شرف المشاركة في خدمة القرآن ولن نغالي إذ نقرر أن النحاة

١ - أبو الأسود الدؤلي ص ٣٣ وانظر البحث القيم « جهود علماء النحو في القرن الثالث المجري للزميل الدكتور يوسف المطوع » ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ حتى ٨٤ وص ٤٣١ حتى ٤٥٩

العرب كانوا من أوائل العلماء الذين لهم شرف السبق في هذا الميدان الشريف وهو خدمة القرآن الكريم فأول عالم نقط القرآن وأعربه هو أبو الأسود الدؤلي^(١). وقد حث رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم على تعلم القرآن وتفهم معانيه إذ قال القرآن « مأدبة الله فتعلموا من مأدبه » وركز عليه السلام على القراءة السليمة إذ قال : « رحم الله إمرئ أصلح من لسانه » .

وقوله عليه السلام « وأعربوا الكلام كي تعربوا القرآن »^(٢) وقال : أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه^(٣) .

وتتابع الصحابة عليهم السلام حث المسلمين على تعلم القرآن وقراءته إذ يروى أن أبي بكر رضي الله عنه قال : « لأن أقرأ فاسقط أحب إلى أن أقرأ فالحن » وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . تعلموا الفرائض والسنن والحنون كما تعلموا القرآن^(٤) .

وقد وقعت بعض الأخطاء اللغوية والإعرابية في قراءة القرآن الكريم وكان ذلك نتيجة حتمية لا بد أن توجد ذلك بسبب التوسيع الإسلامي وخروج الإسلام الحنيف من الجزيرة العربية من جهة ودخول أقوام غير غربية فيه هذا الدين العظيم من جهة أخرى ونحب أن نشير إلى بعض الروايات التي تخص هذا الموضوع وجهود العلماء^(٥) في هذا الشأن وذلك على سبيل الإشتهداد لا على سبيل الحصر .

١ - أبو الأسود الدؤلي ص ٩٠ وما بعدها

٢ - الحصائر ٢٤٦ / ٣ والأضداد ص ٢٤٤

٣ - إيضاح الوقف والإبتداء ص ١٥

٤ - الأمالي ص ٥ والعقد الفريد ٤٧٨ / ٢

٥ - جهود علماء النحو ص ٥٢ وما بعدها والحنون في اللغة ص ٩ .

قال السيوطي^(١) : « وروى أنه قد قدم أعرابي في زمان عمر فقال : « من يقرئني مما أنزل الله على محمد ﷺ فاقرأه رجل براءة ، فقال : إنَّ اللَّهَ بِرِّيْءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ بِالْجَرِّ » ، فقال الأعرابي أو قد بريء الله من رسوله ؟ أن يكن الله قد بريء من رسوله فأنَا أَبْرَأُ مِنْهُ فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه . فقال : يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنِّي قدمت المدينة ، ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ؟ فاقرأني هذه السورة براءة فقال : إنَّ اللَّهَ بِرِّيْءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ فقلت : أو قد بريء الله من رسوله ؟ إن يكن الله قد بريء من رسوله فأنَا أَبْرَأُ مِنْهُ فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنَّ اللَّهَ بِرِّيْءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ورسوله فقال الأعرابي وأنا والله أَبْرَأُ مَا بَرِّيْءَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ .. فأمر عمر بن الخطاب أن لا يُقْرَأُ القرآن إلا عَالَمٌ باللغة وأمر^(٢) أبا الأسود فوضع النحو» .

ثم يتبع السيوطي روايته ويقول « وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي في أماليه : حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبراني حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي حدثنا سعيد بن سالم الباهلي حدثنا أبي عن جدي أبو الأسود عن أبيه رضي الله عنه قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فرأيته مطرقاً مفكراً فقلت : فيما تفكرا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني سمعت في بلدكم هذا لحنًا فاردت أن أضع كتاباً في أصول العربية فقلت : إن فعلت هذا أحيلتنا وأبقيت هذه الدنيا علينا ». فلم نعلم نوع اللحن الذي سمعه الإمام علي إن كان في اللغة أم في الدين وجعله مفكراً مطرياً

١ - رسالة السيوطي من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية ، الرسالة الرابعة ص ٤٩ وما بعدها طبع في القسطنطينية سنة ١٣٢٠ هـ . وانظر اللحن في اللغة ص ٤٩ .

٢ - انظر رسالة السيوطي من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية الرسالة الرابعة ص ٤٩ ، ص ٥٣ طبع في قسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ وانظر الأغاني جـ ١٢ ص ٢٩٩ وزهرة الآباء للأبنباري ص ١٣ وإنية الرواة جـ ١ ص ٤ .

ومن الجائز أن يكون اللحن في قراءة القرآن لأنه هز الأمام ، وقول أبي الأسود يرجح هذا الظن لأنه يعتبر تصويب الإمام لهذا الخطأ حياة وبقاء للمسلمين ويررون^(١) : « في عهد زياد بن أبيه عندما كان والياً على البصرة ، يقال إنه أرسل في طلب أبي الأسود النؤلي ، وقال له : إعمل شيئاً تكون في إماماً ينتفع الناس به وتعرف به كتاب الله : فاستعفاه من ذلك ، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ » إن الله برىء من المشركين ورسوله » « بالجزرأي أنه عطف الكلمة رسوله على المشركين ». فقال : ما ظنت أن أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال : (أنا) أفعل ما أمر به الأمير فليبيغني كاتباً ليقاً يفعل ما أقول . فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتى باخراً فقال له أبو الأسود إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه - على أعلى - فإذا خضمت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف فإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف (فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين) .

وفي رواية أخرى ذكرها ابن النديم ، ويقول فيها : « إن أبي الأسود النؤلي سمع قارئاً يقرأ (لا يأكله إلا الخاطئين) « فعمل النحو ، والقراءة الصحيحة لا يأكله إلا الخاطئون » فالقارئ نصب الفاعل .

وهكذا نجد الروايات التي ذكرها القدماء تعلم نشأة النحو العربي وترجعها إلى العامل الديني ، وخاصة قراءة القرآن ، ونجد أنها تختلف في النقل إلا أنها تتفق أن أبي الأسود عندما سمع رجلاً يقرأ آية من القرآن خطأ ، هاله الأمر وقام بهذا العمل الجليل ، ووضع علامات معينة ساعدت العلماء والمسلمين على قراءة القرآن .

١ - أخبار النحوين البصريين للسيرافي ص ١٢ والفهرست لابن النديم ص ٥٩ ونزهة الآباء للأبناي ص ٣ .

وكانت هذه البذور^(١) الأولى لنشأة علم النحو ، إلا أن المشكلة لم تنته بعد ، وبقي اللحن والشك منتشرًا حتى بين العلماء أنفسهم ، « فقد روى حبوب البكري^(٢) عن خالد الحذاء قال : سألت نصر بن عاصم عن قراءة » قال هو الله أحد « كيف نقرؤها ؟ قال : قل هو الله أحد الله الصمد » لم ينون^(٣) قال : فأخبرته أن عروة ينون فقال : بشئما قال : وهو للبس أهل ، فأخبرني عبد الله بن أبي إسحاق بقول نصر بن عاصم ، فما زال يقرأ بها حتى مات ». وال الصحيح^(٤) أن قراءة عروة ليست خطأ فقراءة عامة الأمصار (أحد) الله الصمد بتونين أحد سوى نصر بن عاصم وعبد الله بن أبي إسحاق فإنها تركا التنوين والصواب كما يرى الطبرى إذ يقول^(٥) : « الصواب عندنا : التنوين لمعنىين . أحدهما أفصح اللغتين وأشهر الكلامين وأجودهما عند العرب . والثاني : إجماع الحجة في قراءة الأمصار على إختيار التنوين فيه . ويقال : إن أعرابي سمع إماماً يقرأ قوله تعالى^(٦) : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بفتح ت (تنكروا) ، فقال الأعرابي : سبحان الله : هذا قبل الإسلام ، فكيف بعده القراءة الصحيحة » ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » بضم التاء وقيل للحسن : إن إماماً لنا يلحن قال^(٧) : أميظوه ، وهكذا نجد اللحن يستمر وينمو ، حتى نجد الحجاج بن يوسف التقفي يقع في الخطأ عندما يقرأ القرآن . وخاصة عندما يسأل يحيى بن يعمر : « أتجدني لحن ، قال : الأمير أفصح من ذلك ، قال عزمت عليك لتخبرني فقال يحيى : نعم في كتاب الله . قال ذاك أشنع له ، ففي أي شيء

١ - الفهرست ابن النديم ص ٥٩ وذكره الأباري في نزهة الآلاب ص ٣ مع اختلاف في التقل . يروى أن الإمام سمع قارئاً يقرأ « لا يأكله إلا الخاطئين »

٢ - أبو الأسود الدؤلي ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، وما بعدها

٣ - أخبار النحوين البصريين للسيرافي ص ١٥ ص ١٦ وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ص ١٥٥ .

٤ - تفسير الطبرى ج ٢٩ ، ٣٠ ص ٣٤٤

٥ - عيون الأخبار لابن قتيبة ص ١٥٥ وانظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١٣ .

٦ - العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٤٧٩ .

من كتاب الله ؟ قال قرأت : ﴿ قل إن كان أباًؤكم وإخوانكم وأزواجهم
وأبناؤكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كсадها ومساكن ترضونها
أحب إليكم من الله ورسوله ﴾ فترفع « أحب » وهو منصوب قال : إذن لا
تسمعني الحن بعدها ، فنفاه إلى خراسان^(١) . ومضى اللحن كذلك يتفاهم
ويستشيري حتى غدا هم ثقيلة ، وخطبا جسما ، فلم يكن بد من التعاون لاجتناب
الجهود لدرثه وإبقاء شره ، غيره على ديننا الحنيف .

وبقي الإهتمام مستمراً حتى^(٢) يأتي بنو أمية ويتبعون المسيرة الخيرة ألا وهي
خدمة القرآن الكريم حتى وصل الأمر إلى أن الحجاج بن يوسف الثقفي بعث إلى
قراء البصرة بجمعهم واختار منهم الحسن البصري وأبا العالية ، ونصر بن عاصم
وآخرين وقال لهم : « عدوا حروف القرآن فبقوا أربعة أشهر ، يعدون بالشاعر
فاجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعين ألفاً وتسعمائة وسبعين وثلاثون كلمة
وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً »^(٣) .

وقد نسب لعبد الله بن مسعود أنه قال : « جردوا القرآن وزينوه بأحسن
الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يجب أن يعرب »^(٤) ولن نغالي إذ نقرر أن هذا
الكتاب العظيم سيبقى خالداً أبداً الدهر محاطاً برعاية الحالق العظيم مصداقاً لقوله
تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

١ - أخبار التحويين البصريين للسيراقي ص ١٧ ، ١٨ ،

٢ - ينظر في هذا الشأن طبقات الشعراء ص ٢ معجم الأدباء ١٢/٣٤ والأغاني ١٢/٢٩٩ وأنباء الرواة

١٦/١ الشعر والشعراء ٢/٧٢٩ سرح العيون ص ٢٧٦ أسد الغابة ٣/٧٠ ، أخبار التحويين

ال بصريين ١٢ ، مراتب التحويين ص ٨ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/١٠٤ ، طبقات

التحويين ص ١٤ التهرست ص ٢٠

٣ - البرهان في علوم القرآن ١/٤٩ وانظر معرن الأقران ١/١٧

٤ - إيضاح الوقف ص ١٦ .

الإِسْتَهْدَادُ الْقُرآنِيُّ فِي كِتَابِ سِيبُوِيْهِ :

لَا شَكَ أَنَّ الْقُرآنَ الْكَرِيمَ مِنْ أَفْصَحِ لِغَاتِ الْعَرَبِ وَأَسْلَمَهَا . قَالَ إِبْنُ خَالْوِيَّهُ فِي شَرْحِ الْفَصِيحِ^(١) . « قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ جَمِيعًا أَنَّ الْلُّغَةَ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْقُرآنِ ، فَهِيَ أَفْصَحُ مَا فِي غَيْرِ الْقُرآنِ ، لَا خَلَفٌ فِي ذَلِكَ » . وَقَدْ بَنَى الْبَصَرِيُّونَ كَثِيرًا مِنْ أَصْوَلِهِمْ عَلَى نُصُوصِ قُرآنِيَّةٍ . وَقَدْ أَحْصَيْنَا مَا اسْتَشَهَدَ بِهِ الْبَصَرِيُّونَ فِي مَجَالِ الْقُرآنِ ، فَوَجَدْنَا أَنَّ سِيبُوِيْهَ قدْ اسْتَشَهَدَ فِي كِتَابِهِ بِآيَاتٍ مِنْ جَمِيعِ سُورَاتِ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ ، مَا عَدَا سُورَتَيْنِ ، هُمَا : سُورَةُ الدَّخَانِ ، وَسُورَةُ الْحَجَرَاتِ .

وَقَدْ أَحْصَيْتَ عَدْدَ الْآيَاتِ الَّتِي اسْتَشَهَدَ بِهَا ، فَقَدْ وَجَدْتَهَا أَرْبَعَمِائَةً^(٢) وَثَلَاثَةً وَعَشْرِينَ آيَةً ، سُوَى الْمُكَرَّرِ مِنْهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْدَّكْتُورُ عَلَيْ نَاصِفِ فِي إِحْصَائِيهِ لِهِ أَنَّهَا ثَلَاثَمِائَةً^(٣) وَثَلَاثَ وَسَبْعُونَ آيَةً .

وَبِرِىْ أَنَّ كَمَالَ الْإِنْفَاقِ فِي إِحْصَاءِ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ غَيْرُ مُرجُوٍّ وَلَا مُكْفُولٍ ، تَقْفَ دُونَهُ عَوَاطِقُ وَعِرَاقِيلَ ، لَأَنَّ نُسُخَ الْكِتَابِ كَثِيرَةٌ وَمُتَعَدِّدةٌ^(٤) وَأَنَا لَا أُمِيلُ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ لِأَنَّ الْكِتَابَ حَقَّ تَحْقِيقًا جَيْدًا وَنُسُخَهُ مَعْرُوفَةٌ خَاصَّةٌ بَعْدَ أَنْ حَقَقَهُ الْعَالَمُ الْجَلِيلُ عَبْدُ السَّلَامَ هَارُونَ مَعْتَمِدًا عَلَى طَبْعَةِ بُولَاقِ وَغَيْرِهَا^(٥) .

وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ عَلَى مَذَهَبِ الْبَصَرِيِّينَ ، بِأَنَّهُمْ اسْتَبَعَدُوا مِنْ مَنهِجِهِمِ الْإِسْتَهْدَادُ بِالْقِرَاءَاتِ .

وَقَالَ فِي ذَلِكَ : « وَقَدْ اسْتَبَعَدَ الْبَصَرِيُّونَ مِنْ مَنهِجِهِمِ الْإِسْتَهْدَادِ

١ - المزهر للسيوطى ج ٢١٣

٢ - قمت بهذا الإحصاء من كتاب فهرس شواهد سيبويه للسيد أحمد راتب النافع

٣ - سيبويه إمام النحو ص ٢٣٥

٤ - الكتاب . تحقيق العالم الجليل عبد السلام هارون

بالقراءات إلا إذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عربي يؤيدها أو قياس يدعمها^(١).

وقد وجدنا ردًا على ذلك الاتهام ذكره الدكتور شوقي ضيف ، نحب أن نشير إليه إذ قال : « كان القرآن الكريم وقراءاته مددًا لا ينضب لقواعدهم ، ووقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجاوز أصابع السيد الواحدة وحدودها لا تتطرق مع قواعدهم بينما تطرد معها قراءات أخرى أثرواها ، وتتوسع في وصف ذلك بعض المعاصرین فقالوا : إنهم كانوا يردون بعض القراءات ويضعونها ، كان ذلك ظاهرة عامة عند نحاة البصرة ، مع أنه لا يوجد في كتاب سيبويه شاهد واحد على هذه التهمة الكبرى^(٢) .

وسنرى الأخفش الأوسط ، يسبق الكوفيين المتأخرین إلى التمسك بشواذ القراءات والإستدلال عليها من كلام العرب وأشعارهم . وفي الحق أن بصریي القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات وهي أمثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة خاصة ولا عامة » ، وقد كانوا يصفونها بالشذوذ وبيؤ ولونها ما جدوا إلى التأويل سبيلاً .

وإذا وقفنا قليلاً مع آراء الأساتذين الفاضلين ، نلحظ أنها متباعدة رأياً وبينهما بون بعيد . فالرأي الأول يرى أن البصرىين قد استبعدوا من منهجمهم القراءات غير المسندة . والرأي الثاني يرى أن آراء الدارسين لهذا الموضوع فيه شيء من المغالاة . ومن ثم أخذ يدافع عن هذه التهمة الذي يصفها بالكبرى .

١ - القرآن الكريم دائرة من الدراسات النحوية ص ٩٧ ، انظر تشابهًا لهذا الرأي في المدرسة البصرية للدكتور عبد الرحمن السيد ص ٢٣٠ وقد اتخذ المبرد المتأخر إماماً .

٢ - المدارس النحوية د . شوقي ضيف ص ١٩ .

كما أنه حدد الآراء المطعون بها بقدر لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة »^(١). يعني حسابة لا يتجاوز الخمسة آراء أو شواهد . وقبل أن نحكم في ذلك الموضوع سلباً أو إيجاباً ، نحب أن نوضح بعض الإلتباسات التي جاء في كلام القولين .

لم يحدد الرأي الأول من هم البصريون ، أهم الممثلون في كتاب سيبويه عمدة النحو البصري أم يعني المتأخرین عنهم ، كالمبرد وغيره من نحاة القرن الثالث الهجري « أي بعد سيبويه » . فإذا كان البصريون الأوائل « وهو الأرجح » الذين يعنيهم فقد يحتاج ذلك الرأي إلى شيء من التعديل كما سنبيّن فيما بعد .

أما الرأي الثاني فقد كان أكثر إيضاحاً من الرأي الأول ، وبخاصة عندما حدد منهج البصريين الممثل في كتاب سيبويه ، كما يؤخذ على الباحثين أنها لم يقدموا دليلاً مادياً لما يقولان .

أما موقفنا في هذا الموضوع فهو كما يلي : إننا نستبعد الرأي القائل بأن البصريين ، استبعدوا من منهجهم الإشتئاد بالقراءات ، وذلك لعدة أسباب :

أولاً : إنَّ معظم البصريين ، وبخاصة النحويون منهم ، هم من قراء القرآن الكريم . ولذا كيف يصح لنا الحكم على مجموعة من القراء بأنهم ابتعدوا عن الإشتئاد بالقراءات هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن البصريين وبخاصة

١- ذكر ابن خالويه القراءة سنة ولا تتحمل على قياس العربية وانظر إعراب ثلاثين سورة ص ٤٢، ٤٣
أنظر ابن الجوزي ص ٦٠٣ وانظر رأي سيبويه في القراءة ١٤٨/١ طهارون . كما قال بوهان فك المستشرق بهذا الشأن « مخالفة القرآن للقواعد ليس شنوداً عن العربية والإستعمالات القرآنية الخاصة التي تحتوي هي أيضاً على مخالفات للقواعد العامة ، نقد في مستوى معايير للشنودة المختلفة المراتب بالنسبة للتصرف الإعرابي في العربية الفصحى والערבية المولدة - أنظر العربية بوهان فك ص ٦ ترجمة التجار .

في كتاب سيبويه ، لم يستشهدوا بأراء مفردء إلا ما ندر ، وقد أخضعوا شواهدهم إن كانت قرآنية أو أدبية لمجموعة من الأمثلة والشواهد المتباعدة ليثبتوا مذهبهم .

ثانياً : عدت إلى كتاب سيبويه ، وتبعط طريقة الإستشهاد بالقرآن ، فوجدت أن سيبويه نقل آراء فردية لا تخضع للقياس أو لشعر يسندها ، أو كلام عربي يؤيدها ، كما ذهب صاحب الرأي الأول . وهذه بعض الآيات القرآنية أقدمها على سبيل الإستشهاد فقط لا على سبيل الحصر ، نحو قوله تعالى : « مثلاً ما بعوضة »^(١) .

إشتهد بها على قراءة من رفع بعوضة وهي قراءة رؤبة بن العجاج ، أما قراءة الجمهور بالنصب . وقوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين »^(٢) .

إشتهد بها على أنه سمع بعض العرب يقولها بنصب « رب » ، وقوله تعالى : « وزلزلوا حتى يقول الرسول »^(٣) .

إشتهد بها على قراءة مع رفع « يقول » ونسبها إلى مجاهد وهي قراءة أهل الحجاز والرفع قراءة نافع ، وقرأ الباقيون بالنصب .

وقوله تعالى : « وإن لا يلبتوا خلافك إلا قليلاً »^(٤) .

إشتهد بها على جواز النصب « إذن » إذ تقدمها واو ، وذكر أنه سمعها من بعض العرب وهي شاذة عن رسم المصحف .

وقوله تعالى « يا جبال أوبني معه والطير »^(٥)

١ - البقرة آية ٢٦ فهرس شواهد سيبويه ص ١٣ وانظر الكتاب ج ١/٢٨٣ ط(١) بولاق .

٢ - الفاتحة آية ٢ فهرس شواهد سيبويه ص ١٣ وانظر الكتاب ج ١/٢٤٨ ط(١) بولاق .

٣ - البقرة آية ٢١٤ فهرس شواهد سيبويه ص ١٥ ، وانظر الكتاب ج ١/٤١٧ ط(١) بولاق .

٤ - الإسراء آية ٧٦ فهرس شواهد سيبويه ص ٣٠ ، انظر الكتاب ج ١/٤١١ ط(١) بولاق .

٥ - سيا ١٠ فهرس شواهد سيبويه ص ٣٨ الكتاب ج ١/٣٥٠ ط(١) بولاق .

إشتهد بها على قراءة من رفع الطير ، مع أن قراءة أبي عمرو بن العلاء
البصري بالنصب على إضمار وسخرنا الطير ..

وقوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾^(١)

إشتهد أن البعضقرأها بالرفع وهي في رأيه « قليلة » وقد زعم جامع
الشواهد أنها قراءة عيسى بن عمرو لم أر ذلك عند سيبويه .

ثالثاً : وجدت بعض الناذج من الآيات الكريمة التي استشهد بها سيبويه
في كتابه ، ومعظمها مأخوذة عن القراءات العشر على سبيل الإشتهد أيضاً ،
وللتوضيح بعض الملابسات التي أحاطت بتلك الموضوع . نحو قوله تعالى « كن
فيكون »^(٢) . بالرفع قرأها العشرة بالرفع وقوله تعالى « ومن كفر فأمته
قليلاً »^(٣) .

ضبطت أمته في الكتاب بفتح الميم وكسر الناء مشددة ، وهي قراءة العشرة
إلا ابن عامر فإنه أسكن الميم وضعف الناء .

وقوله تعالى ﴿ولكن البر من أمن بالله﴾^(٤) بتنصب البر وتشدید لكن وهي
قراءة العشرة غير عامر وابن نافع حيث رفعا « البر » وخففا لكن .

وقوله تعالى ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ عن تراضٍ منكم^(٥) . استشهد بها
على قراءة من رفع تجارة ثم قال ، وبعضهم ينصب والرفع قراءة البصريين
والنصب قراءة الكوفيين .

١ - « ص » فهرس شواهد سيبويه ص ٤١ الكتاب ج ٢٨ / ١

٢ - البقرة ١١٧ أنظر شواهد سيبويه ص ٦٤ والكتاب ج ١ / ٤٢٣

٣ - البقرة ٢٦٦ فهرس شواهد سيبويه ص ١٤ والكتاب ج ١ / ٤٣٨

٤ - البقرة ١٧٧ فهرس شواهد سيبويه ص ١٥ والكتاب ج ١ / ١٠٨

٥ - النساء ٢٩ فهرس شواهد سيبويه ص ١٨ والكتاب ج ١ / ٣٧٧

وقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدَقُهُمْ ﴾^(١). استشهد بها على قراءة من رفع يوم هي قراءة العشرة غير نافع فأنه قرأ بالنصب^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾^(٣). استشهد بها على أن « خالصة » قرأت بالرفع وبالنصب والرفع قراءة نافع وحده ، والنصب قراءة باقي العشرة .

وقوله تعالى ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ﴾^(٤). استشهد بها على قراءة الرفع في معذرة ، وهي قراءة العشرة إلا حفصاً عن عاصم فإنه قرأها بالنصب .

وقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا بِعِلْيٍ شَيْخٍ ﴾^(٥). بالرفع والنصب إستشهد سيبويه في كلام الموضوعين بالرفع على أنها نعت والنصب على أنها حال .

وقوله تعالى^(٦) ﴿ الزَّانِيَةُ وَالْزَّانِي فَاجْلِدُوهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مائَةُ جَلْدٍ ﴾ استشهد بها على قراءة الجمهور بفتح الزانية والزاني « ثم ذكر أن ناساً قرؤوها بالنصب كذلك » السارق والسارقة » .

رابعاً : إذا نظرنا إلى الآيات القرآنية التي استشهد بها سيبويه من حيث الكنم ، فعددها « ٤١٣ » آية (غير المكرر) ، فهذا يمثل كما يبدو مادة غزيرة تعادل أضعاف ما استشهد به من الشعر . والذي يمثل من حيث الكنم « ١٠٥٠ » بيتاً من الشعر الجاهلي والإسلامي .

١ - المائدة ١١٩ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٠ الكتاب ١ / ٤٦٠

٢ - قال سيبويه : « إن القراءة لا تختلف لأن القراءة السنة » أنظر الكتاب ج ١٤٨ / ١ طهارون .

٣ - الأعراف ٣٢ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٢ الكتاب ١ / ٢٦٢

٤ - الأعراف ١٦٤ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٣ الكتاب ١ / ١٦١

٥ - هود ٧٢ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٧ الكتاب ١ / ٢٥٨ ، ٢٦٩

٦ - التور ٢ فهرس شواهد سيبويه ص ٣٥ الكتاب ١ / ٧١ ، ٧٢ وانظر المحتسب ٢ / ١٠٠

وإذا قورنت مع الآيات القرآنية فنرى الآيات تمثل الغلبة العظمىقياساً للشعر الجاهلي ، والإسلامي . وقد ذكرنا ذلك بقول ابن قتيبة^(١) . حين قال : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجahلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أخذ عمره في التنوير عنهم ، واستخرج مجده في البحث والسؤال » .

والخلاصة التي نصل إليها في هذا الشأن أن كتاب سيبويه مملوء بالأيات القرآنية وأن سيبويه استشهد في كثير من الآيات وخاصة القراءات المختلفة وإن ذلك على شيء إنما يدل على إهتمام النحاة بالقراءات القرآنية وأرجح أن أقرر أنَّ الكل القرآني يساوي أضعاف الكل الشعري والشري في الكتاب خاصة لأنَّ الآيات القرآنية مخصوصة من حيث الكلم .

أما النصوص الشعرية فلا يمكن لأي إنسان أن يحيط بها ونحب أن نشير تفصيلاً إلى مواضع الآيات التي يستشهد فيها سيبويه في الكتاب وتخص القراءات فقط وإليك أرقام الصفحات معتمدأ في ذلك على طبعة بولاق : -

١ - الكتاب ج ١

| | | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|
| ٤٢ | ٤١ | ٣٧ | ٣٦ | ٣٣ | ٢٨ | ٢٧ | ٢٤ | ٣ |
| ٢٥٢ | ٢٤٨ | ٢٣٨ | ٢١٥ | ١٩١ | ١٩٠ | ١٧٩ | ١٦١ | ٤٢ |
| ٢٥٢ | ٢٤٨ | ٢٣٨ | ٢١٥ | ١٩١ | ١٩٠ | ١٧٩ | ١٦١ | ١٤٦ |
| ٢٩٢ | ٢٨٨ | ٢٨٧ | ٢٨٥ | ٣٨٢ | ٢٧٨ | ٣٧٢ | ٢٧٠ | ٢٥٨ |
| ٣٨٧ | ٣٨٤ | ٣٧٠ | ٣٦٠ | ٣٥٦ | ٣٢١ | ٣١٦ | ٣٠٦ | ٣٠٥ |
| ٤٣٠ | ٤٢٦ | ٤٢١ | ٤١٧ | ٤١١ | ٤٠٤ | ٣٩٧ | ٣٩٥ | |

١- الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٤ تحقيق أحمد شاكر ١٣٦٤ الحلي .

٤٥٦ ٤٥٣ ٤٥٢ ٤٥١ ٤٤٨ ٤٤٤ ٤٣٨ ٤٣٧ ٤٣٥
 ٤٧٣ ٤٧١ ٤٧٠ ٤٦٩ ٤٦٧ ٤٦٤ ٤٦٣ ٤٦٢ ٤٦١
 . ٤٩١ ٤٨١ ٤٨٠ ٤٧٦ ٤٧٥

٢ - الكتاب ج :

ص ١٧ ١٨ ٢٣ ٢٥ ٢٨ ٣٠ ١٤٩ ١٥٤ ١٦٧
 ٢٠١ ٢١١ ٢٤٤ ٢٤٨ ٢٦١ ٢٦٩ ٢٧١ ٢٧٥ ٢٧٦
 ٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٤ ٢٩٧ ٣٠٦ ٣١٥ ٣٥٨ ٣٨٧
 ٤٠٨ ٤١٠ ٤١٩ ٤٢١ ٤٢٢

وعندما نقف مع الكتاب الثاني في تاريخ النحو العربي وهو كتاب المقتضب للمبرد المتوفى ٢٨٥ هـ للحظ أن الكتاب قد احتوى على كثير من الشواهد القرآنية وقد أحصيَت الآيات القرآنية التي ذكرها المبرد فوجدها ستة وأربع عشرة آية تقربياً وبهذا نختلف مع ما ذكره محقق المقتضب الذي ذكر أنها خمسة وأربعين آية^(١).

وجاءت الشواهد موزعة في ثنايا الكتاب ونود أن نشير إلى بعض منها على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر^(٢).

١ - مقدمة المقتضب ص ١١٥

١ - أنظر مثلاً المقتضب ج ١ ص :

٧ ١١ ٣٧ ٤٢ ٤٠ ٤٠ ٥٠ ٤٩ ٤٢ ٥٤ ٥٠ ١٦٣ ١٥٨ ٢٥٣

وَجَ ٢ ص :

١٨ ٢٠ ٢٨ ٣١ ٣٢ ٣٦ ٤٣ ٥٣ ٥٢ ٥٦ ٦٩ ٧٦ ٧٩

٨٠ ٩١ ٩٠ ١٨١ ٢١٠ ٨٦

وَجَ ٣ ص :

٨ ٢٨ ٧٥ ٩٨ ١٣٤ ٢١٠ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٩ ٣٠٧ ٣٠٨ ٤٣٠

وَجَ ٤ ص :

١٥ ٦٨ ٧٩ ٨٩ ٩٥ ٩٦ ١٠٥ ١٢٠ ١٥٠ ١٦٧

. ٣٠١ ٢٧١ ١٨٣

وقد ظهرت بعض الكتب التي تحمل اسم معاني القرآن وهي تدور في فلك النحو إلى جانب معاني الكلمات القرآنية من حيث التفسير والتوضيح والقراءة والوقف وغير ذلك من فنون العربية نحو معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش ويقول محققو معاني القرآن للفراء : « وقد كتب في معاني القرآن كثير من الفحول يقول الخطيب في تاريخ بغداد في صدر الحديث عن معاني القرآن لأبي عبيده « وأنه احتذى فيه من سبقه ، وكذلك كتابه في معاني القرآن وذلك أن أول من صنف في ذلك - أي في معاني القرآن من أهل اللغة أبو عبيده معمر بن المثنى ثم قطرب ابن المستير ثم الأخفش وصنف من الكوفيين الكسائي ثم الفراء ، فجمع أبو عبيده من كتبهم وجاء فيه بالإشارة وأسانيدها وتفسير الصحابة والتابعين والفقهاء »^(١) كما ظهرت بعض الدراسات الحديثة التي تشير إلى أثر القرآن في الدراسات النحوية^(٢).

فالكتاب الأول هو تأليف الأستاذ الفاضل الدكتور عبد العال سالم الذي يستعرض أثر القرآن الكريم في الدراسات النحوية مستعرضاً كتب التفسير وأشهرها من الوجهة النحوية كتفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان ومعاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للزجاج^(٣).

والكتاب الثاني فهو للأستاذ الكبير الزميل الدكتور محمد سمير اللبني الذي أثرك القراءات مع القرآن وأثر الاثنين معاً في الدراسات النحوية إذ تحدث عن أثر القرآن والقراءات في المدارس النحوية أو المذاهب النحوية كما خصص باباً عن القاعدة النحوية وأثر القرآن والقراءات عليها^(٤). وهذا الكتاب يعدان

١ - مقدمة معاني القرآن ص ١٢ وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٥٠ .

٢ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي .

٣ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٢٢ وما بعدها .

٤ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٢٢ وما بعدها .

من المراجع المفيدة التي تفيد الدارس في هذا الشأن^(١) والحقيقة التي لا مراء بها أن الدراسات النحوية لم تعش إلا في ظل الكتاب الخالد ألا وهو القرآن الكريم لأنه المنبع العظيم الذي لا ينضب وأمّا النحاة والعلماء بفكر خلاق من لدن عزيز حكيم . وبقي الأمر مستمراً حيث نرى النحاة تباعاً يسيرون في فلك القرآن وتحت ظلاله يستشهدون في آياته ويعربون كلماته وينخصصون كتاباً في إعرابه ومعانيه ونحب أن نشير إلى ما ذكره حاجي خليفة حول هذا الموضوع إذ قال :^(٢) .

علم إعراب القرآن : وهو من فروع علم التفسير على ما في ففتح السعادة لكنه في الحقيقة هو من علم النحو وعده علمًا مستقلًا ليس كما ينبغي وكذا سائر ما ذكره السيوطي في الإتقان من الأنواع فإنه عد علوماً كما سبق في المقدمة ثم ذكر ما يجب على المغرب مراعاته من الأمور التي ينبغي أن تجعل مقدمة لكتاب إعراب القرآن ولكنـه أراد تكثير العلوم والفوائد . وهذا النوع أفرده بالتصنيف جماعة منهم الشيخ الإمام مكي بن أبي طالب القيسي النحوي المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربعينـة أوله أما بعد حمد الله جَلَ ذكره الخ وكتابه في المشكل خاصة وأبي الحسن علي بن إبراهيم الحروفي النحوي المتوفى سنة اثنين وستين وخمسينـة وكتابه أوضحها وهو في عشر مجلدات وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي المتوفى سنة ست عشرة وستمائة وكتابه أشهرها وسماه « التبيان » أوله الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه إلخ . . وأبو إسحاق إبراهيم ابن محمد السفاقـي المتوفى سنة اثنين وأربعين وسبعينـة وكتابه أحسن منه وهو في مجلدات سماه « المجيد في إعراب القرآن المجيد » أوله الحمد لله الذي شرفنا بحفظ كتابه

١- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ص ٧٦ وما بعدها وانظر خاصة ص ١٠٣، ٧٨، ١١٤، ١٩١، ١٢٤ .

- كشف الظنون ج ١٢١/١، ١٢٢ -

الخ . . . ذكر فيه البحر لشيخه أبي حيان ومدحه ثم قال لكنه سلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والإعراب فتفرق فيه المقصود فاستخار في تلخيصه وجمع ما بقي في كتاب أبي البقاء من إعرابه لكونه كتاباً قد عكف الناس عليه فضمه إليه بعلامة الميم وأورد ما كان له بقلة^(١) ولما كان كتاباً كبيراً الحجم في مجلدات خصه الشيخ محمد بن سليمان الصرحدى الشافعى المتوفى سنة إثنتين وسبعين وسبعيناً واعترض عليه في مواضع . وأماماً كتاب الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسجين الحلبي المتوفى سنة ست وخمسين وسبعيناً فهو مع إستفاله على غيره أجل ما صنف فيه لأنه جمع العلوم الخمسة الإعراب والتصريف واللغة والمعنى والبيان ولذلك قال السيوطي في الإنقان « هو مشتمل على حشو وتطويل خصه السفاقيي فجوده إنتهى وهو وهم منه لأن السفاقي ما لخص إعرابه منه بل من البحر كما عرفت والسمين لخصه أيضاً من البحر في حياة شيخه أبي حيان وناقشه في كتاب وسأله الدر المصور في علم الكتاب المكتنون أوله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب إلخ . . وفرغ عنه في أواسط رجب سنة أربع وثلاثين وسبعيناً .

١ - هكذا وردت في كشف الظنون ١٢٢/١ .

الفَصْلُ الثَّانِيُّ

الظَّاهِرَةُ الزَّمِنِيَّةُ "الأَفْعَالُ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ"

قبل التحدث عن الظاهرة الزمنية في أفعال اللغة العربية ، نحب أن نشير إلى أن الله أنزل هذا الكتاب الخالد على نبي عربى عظيم محمد صلى الله عليه وسلم . أجله أيا إجلال رافعا له ذكره غافرا له ذنبه أرسله للناس كافة هادياً ومبشراً ونذيراً متحدياً فصحاء العرب وحكماً لهم أنفسهم وجنهم بل متحدياً من دبٌ على هذه الأرض وغيرها من الكواكب إذ قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » فهو يسمع ويرى ويعطي وينعم ويثيب ويعاقب ويكرم ويهلل ويخلق ويرزق ويحيي ويبث ، إن القرآن نبع لا ينضب فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة ولا ترديده إلا حبة غضاً طرياً قريباً إلى القلب من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فاز ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ومن هذا المنطلق العظيم والمنطق الحكيم بإيماننا العميق بأن القرآن الكريم معجز في كل شيء لا نهاية لوجوه إعجازه فهو معجز بأسلوبه ونظمه وبلغته وتأثيره بالقلوب والعقول وبما فيه من علوم دينية وتشريعية وكونية وغيبية وفضيحة ونضيف بأنه معجز في الظاهرة الإعرابية وال نحوية وهذا ما سنحاول إيضاحه إن شاء الله ونحب أن نعرف بأن هذه المحاولة ما هي إلا خطوة للكشف عن بعض جواهر الكلم الخالد في قرآننا العظيم دستور الإسلام . ويشهد الله أن الإنسان سيقى عاجزاً أمام عظمة القرآن

الكريم ، وبلاعنه وإعجازه الذي وصفه تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .
« الإنعام ٣٨ .

وقال محمد نبينا العظيم : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء »
« النحل ٨٩ » وقارئ القرآن الكريم يلحظ أن كل آية في القرآن الكريم معجزة
بل لن نغالي إذ نقرر أن كل حرف مركب ومرتب في جملة القرآن هو معجز في
تركيبه وترتيبه لأنه من لدن عزيز حكيم » .

روى السيوطي قال : « ترى البليغ ينفع القصيدة أو الخطيب حولاً ثم
ينظر فيها ثم يغير فيها وهلّم جراً » .

وكتاب الله سبحانه وتعالى لو نزعنا منه لفظه ثم أدير لسان العرب على
لفظة أحسن منها لم يوجد «^(١) »

ولكن الإعجاز الزمني يتفاوت بين الأفعال والتركيب فال فعل الذي فيه
إعجاز زمني تجده في تركيب آخر فيه إعجاز من نوع آخر من أنواع الإعجاز
القرآناني الذي لا ينضب » .

قال السيوطي : « وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين وجهًا والصواب
أنه لا نهاية لوجوه إعجازه .

قال السكاكي في المفتاح^(٢) : قال بندر الفارسي : « القرآن لشرفه لا يشار
إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وأهدى لقائله وليس
في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت
البصائر عنده »^(٣) .

١ - معرك الإقران ٢٨/١

٢ - معرك الإقران ١/٣

٣ - معرك الإقران ١/١١

وروى عن ابن أبي الفضل المرسي قال : « قال ابن أبي الفضل المرسي : « جم القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علمًا حقيقة إلا واهبها والمتكلم بها ثم رسول الله صل الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعه وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعيد لوجدته في كتاب الله »^(١) .

قسم علماء النحو الزمن في الأفعال إلى ثلاثة أقسام ماض ومستقبل ومضارع وجعلوا لكل فعل حَدًّا زمنياً ثابتاً وعرفوه بأنه ما دل على إقتران حدث بزمان .

قال سيبويه : « وأما الفعل فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنية لما مضى ولا يكون ولا يقع وما هو كائن لم ينقطع »^(٢) .

ثم بدأ يفصل ذلك « فأما بناء ما مضى فذهبَ وسَمِعَ وَمَكَثَ وَحْدَهُ ، وأما بناء ما لم يقع ، فإنه قولك آمراً : إذهب وافعل واضرب ، وما هو كائن ولم ينقطع وغيره بقوله خبراً » يذهب ويضرب ويقتل »^(٣) .

وعندما نقف مع القول السابق نلحظ أن سيبويه قسم الزمن إلى أقسام ثلاثة لا تتعداها . وقد سار علماء النحو على ذلك النمط من التقسيم حتى يومنا هذا^(٤) .

والحقيقة إن النحاة قد استعانا بعض الأدوات التي تساعدهم على تفهم الجملة النحوية خاصة الظاهرة الزمنية . وسوف نشير إلى ذلك تفصيلاً ونحب في

١ - معرك الإقران ١/١٧

٢ - الكتاب ١/٢ طبولاقي المقتضب ٤/٨٠

٣ - ينظر الكتاب ١/٢ والمقتضب ٤/٨٠ والموجز لابن السراج ٢٧

٤ - شرح المفصل ٣/٢٨ شرح الكافية ٢/٢٢٣ ، بشرح ابن عقيل ١/٢٤ أوضح المسالك ١/٢١ .
شرح الأشموني ١/١٥ ، ١٦ تسهيل الفوائد ص ٤ ، ص ٥ حاشية الصبان ١/٤٥ وحاشية الحضرى ١/١٧ .

هذا الشأن أن نقف مع الكتاب الثاني وهو المقتضب للمبرد الذي قال معرفاً الزمن في الأفعال : « الماضي من الأفعال » نحو ضرب يا فتى وذهب وانطلق وحمد ومكث

أما المضارع فهو نحو : زيدٌ يضرب فيجوز أنه يضرب فيها يستقبل ولم يقع منه ضرب في حال خبرك ، كما تقول : « زيد ضاربٌ الساعة وضاربٌ غداً ... ». ويوضح المبرد رأيه ويقول : « وهذه الأفعال المعربة تقع لا يعرف وقتها وما كان منه في الحال وما يكون منه لما يستقبل »^(١).

يريد المبرد في القول السابق أن بين لنا أن الفعل المضارع يفيد الحال والإستقبال معاً دون تحديد ثابت لكلا الزمين . أي الحال والإستقبال وإذا أريد تحديد ذلك قال المبرد : « وإن أدخلت على هذه الأفعال السين أو سوف صارت لما يستقبل وخرجت من معنى الحال وذلك قوله : « سأضرب وسوف أصرف »^(٢). أما ابن السراج فقد ذهب إلى القول نفسه فإذا دخلت السين وسوف خلص للمستقبل^(٣) وأما ابن مالك فقد ذكر ذلك إذ قال : « ويترجح الحال مع التجريد ويعين عند الأكثر بمحاجة الأن وما في معناه »^(٤). أما الأمر فهو مستقبل أبداً »^(٥).

والخلاصة : نلحظ أن الزمن في الأفعال عند النحاة ثلاثة : ماضٍ ومضارع وأمر^(٦).

١ - المقتضب ٨١/٤ بتصرف

٢ - المقتضب ٨١/٤ وانظر الموجز لابن السراج ص ٢٧

٣ - الموجز لابن السراج ص ٢٧

٤ - تسهيل الفوائد ص ٥ وما بعدها وكشف المشكل ورقة ٢٠ وما بعدها.

٥ - تسهيل الفوائد ص ٤ وكتاب الانتصار ورقة ٣٠٩ والتقريب . ورقة ٢٤

٦ - ينظر في هذا الشأن الكتاب ٢/١ والمقتضب ٤/٨١ شرح المفصل ١/٢٢ وج ٢/٧ وشرح ابن عقيل ١/٢٤ وشرح الأشموني ١/١٥ ، ١٦ شرح المقدمة المحبة ١/١٩٤ وشرح الكافية ٢/٢٢٣ والموجز ص ٢٧ وحاشية الصبان ١/٤٥ وحاشية الخضرى ١/١٧ والايضاح في علل النحو ص ٤١ وحاشية العطار ص ٣١

ولكن النحاة أضافوا بعض التعريفات الطارئة في التركيب اللغوي التي لها تأثير في مسار الأفعال الزمنية .

فقالوا في المضارع : يتراجع الحال مع التجديد ويعني ذلك إذا تجدد الفعل من القرائن نحو : يَفْعُلُ كذا ويشربُ ويذهبُ فهو للحال أي للمضارع ويخلص للإستقبال بظرف مستقبل وبإسناد إلى متوقع وباقتضائه طلباً أو وعداً وبصاحة ناصب أو أدلة ترجح أو إشراق أو مجازة ولو المصدرية أو حرف تنفيس وهو السين أو سوف »

وينصرف إلى الماضي بـ « لم » ولما الجازمة ولو الشرطية » غالباً وإن وربما وقد في بعض الموضع »^(١) .

أما الماضي : فقد قال ابن مالك : وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء وإلى الإستقبال بالطلب والوعد وبالعطف على ما علم إستقباله وبالنفي بـ « لا » وإن بعد القسم ويحتمل المضي والإستقبال بعد همزة التسوية وحرف التحضيض وكلما وحيث ويكونه صلة أو صفة لنكرة عامة . . .^(٢)

أما الأمر فهو عندهم ثابت المعنى مستقبل أبداً^(٣) .

وعندما نقف مع الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم للحظ بوضوح أن القرآن الكريم قد استخدم أفعالاً زمنية^(٤) كما ذكرها النحاة في قياسهم وفيها

١ - تسهيل الفوائد ص ٥ بتصريف

٢ - تسهيل الفوائد ٥ ، ٦

٣ - تسهيل الفوائد ص ٤

- ينظر في هذا الشأن على سبيل المثال لا الحصر : سورة الكهف آية ٥٠ وسورة ص ٧١ - ٧٣ - ٧٥ - ٨٣ ، والأعراف ١٢ - ١٤ - ٢٥ ، والبقرة ٣١ - ٣٣ حتى ٣٨ وسورة طه ١١٥ - ١٢٣ ، وبخاصة قصص الأولين من الأنبياء والرسل وغيرهم التي قصها الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل فيها الحوار الذي دار بين الأمم السابقة وأنبيائهم .

إعجاز تركيبي وغبي وأخرى معجزة بذاتها يقف العقل حائراً عاجزاً أمامه وأمام
عظمتها وإليك بياناً لذلك :

أولاً : فعل الأمر

إنافق النحاة على أن فعل الأمر في اللغة العربية يفيد المستقبل أبداً فتقول :
مثلاً إشرب الماء ، إذهب إلى السوق ، قل الحق وغير ذلك من أفعال الأمر في
الأساليب الوضعية فإذا ما وقفت مع الأفعال السابقة للحظ أنها تدل على المستقبل
ولكنه مستقبل محدود ينتهي بانتهاء الأمر والطلب . فالفاعل والمفعول والأمر
والمامور ينتهيان بانتهاء القول والسائل والزمن على حد سواء .

وإن كان بينها تفاوت زمني له حد ينتهي عنده . ونحب في هذا الشأن أن
نشير إلى فعل الأمر عند بعض الشعراء في العصور القديمة لبيان طريقة
استخدامهم للأمر وكيف كانت نهاية المطاف عندهم وإليك نماذج لفطاحل
شعرائهم مختارةً من معلقاتهم التي كانت منبع فخرهم واعتزازهم :

فهذا أمرؤ القيس يقول في معلقته^(١) :

فِيَا نَبَكِ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ
بِسُقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ

وقال آخر :

فِيَا نَسْأَلْ مَنَازِلَ آلَ لَيْلَى
فَتُوضَحُ بَيْنَ حَوْمَلِ أَوْ عَرَادَا

وقال امرؤ القيس أيضاً :

أَلَا إِيَّاهَا اللَّيلُ الطُّوَيْلُ أَلَا إِنْجَلِيٌّ^(١)
بَصِّبَحَ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ

وإذا ما وقفنا مع الأفعال السابقة وبخاصة الأمر منها . « قفا » و « قفا وانجلي » نلحظ أن الأفعال انتهت بمجرد الوقوف على الأطلال والفعل « إنجلي » انتهى بطلع النهار هذا من جهة ومن جهة أخرى أنها انتهت بانتهاء القائل من الناحية الزمنية .

وقال طرفة بن العبد^(٢) :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالَ بِرَفْقَةَ ثَهْمَدَ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكَيْ وَأَبْكَيْ إِلَى الْعَدِ
فَإِنْ مُتْ فَأَنْعَنِي بِمَا أَنَا أَمْلَهُ
وَشَقِّي عَلَيْ الْجَبَبَ يابْنَةَ مَعْبُدِ

وقال زهير بن أبي سلمى^(٣) :

تَبَصَّرُ خَلِيلِيْ هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانِ
تَحْمَلْنَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جَرْثِيمِ
أَلَا أَبْلِغُ الْأَخْلَاقَ عَنِي رِسَالَةَ
وَذْبِيَانَ هَلْ افْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسَمِ

١ - شرح القصائد السبع ص ٧٧ . قال ابن السكين ، « ألا إنجلي ألا إنكشف » وموضع « إنجلي » الجزم على الأمر ، علامة الجزم فيه سكون اللام في الأصل ثم إحتاج لحركتها بصلة لها ليستوي له وزن البيت فكسرها ووصل الكسرة بالياء قال الفراء : « العرب تصل الفتحة بالألف والكسرة بالياء والضمة بالياء » .

٢ - شرح القصائد السبع ص ١٢٣ ، ص ٢٢٣
المصدر السابق ص ٢٤٤ ، ٢٦٥

وقال عمرو بن كلثوم^(١) :

أَلَا هَبَّيْ بِصَحْنِكِ فَاصْبِحِينَا
مُشَعْشَعَةً كَانَ الْحُصُّ فِيهَا
تَجُوزُ بْنَي الْلَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ
إِذَا مَا دَأَهَا حَتَّى يَلِينَا

وقال العارث بن حلزه^(٢) :

فَأَشْرَكُوا الْبَغْيَ وَالتَّعَدْيَ وَإِمَّا تَتَعَاشَوْ فِي التَّعَاشِي الدَّاءُ
وَادْكُرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَقَافُ
دَمَ فِيهِ الْعَهُودُ وَالْكِفَلَاءُ
وَاعْلَمُوا أَنَّا وَإِيَّاكُمْ فِي
مَا اشْرَطْنَا يَوْمَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءُ

وعندما نقف

مع أفعال الأمر التي وردت في الأبيات السابقة نحو فانعيني ، وشققي ،
تبصر ، أبلغ ، هبي ، اتركوا ، إذكرروا واعلموا . نلحظ أنها أفعال عادية
انتهت بانتهاء أصحابها فالأمر والمؤمر والفاعل والمفعول والسائل والمسؤ ول كل
ذلك قد انتهى إلى زوال . ونتقل بعد ذلك إلى العصر الإسلامي فهذا جرير يمدح
أبيوب بن سليمان بن عبد الملك قال^(٣) :

أَنْتَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّحْمَنِ يَعْرِفُهُ
أَهْلُ الرَّبُورِ وَفِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبٌ

١ - شرح القصائد السبع ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣

٢ - شرح القصائد السبع ٤٧٧ وما بعدها .

٣ - ديوان جرير ص ٣٤

كُونوا كَيُوسْفَ لَمَا جَاءَ إِخْوَتُهُ
 وَاسْتَعْرَفُوا قَالَ: مَا فِي الْيَوْمِ تَشْرِيبٌ
 اللَّهُ فَضْلُهُ وَاللَّهُ وَفَقَهُ
 تَوْفِيقٌ يُوسْفَ إِذْ وَصَاهُ يَعْقُوبُ

وهذا سديف يحرض أبا العباس السفاح علىبني أميه :

ويقول في ذلك :

لَا يَغْرِنُكَ مَا تَرَى مِنْ أَنْاسٍ
 إِنْ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
 فَضَعْ السَّيْفَ وَارْفِعْ السَّوْطَ حَتَّى
 لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمْوَيَاً

فإذا ما وقفنا مع الأفعال الأمر السابقة [كونوا ، ضع وارفع] نلحظ أنها انتهت بانتهاء القائل والمخاطب . أما الأفعال القرآنية فهي أفعال معجزة خالدة خلود المعجز لأنها من خلقه عز وجل ونحب أن نقف مع فعل الأمر في القرآن الكريم لنبين أنه فعل خالد خلود الدهر معجز إعجازاً زمنياً لا ينقطع مطلقاً وهذا سر إعجازه .

ولنقف مع هذه النماذج القرآنية المعجزة التي أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغها للناس وهي آخر رسالة سماوية منزلة إلى هذه الأرض هدي للناس ورحمة ونحب أن نؤكد أن هذه الدراسة تقوم على اليقين الصادق والإيمان المطلق منطلقأً من قاعدة إلهية خالدة وهي أن هذا القرآن الكريم هو

معجزة محمد العظيم إذ يحتوي على إعجاز كلي مطلق كما^(٣) بينت في الباب الأول من هذا البحث مصداقاً لقوله تعالى : « قل لشَنْ اجتمعَ الإِنْسَنْ وَالْجَنْ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبِعْضٍ ظَهِيرَاً »^(٤).

جاء في كتابنا الخالد القرآن الكريم كثير من الأفعال التي تحدث الناس على الإِيَّان بالله عَزَّ وَجَلَّ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَطَاعَتْهُ وَالإِعْتِادُ عَلَيْهِ .

وكثيراً من هذه الأفعال جاءت بصيغة الأمر للرسول العظيم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليبلغها للناس كافةً ونود أن نقدم في هذه الدراسة بعض النماذج القرآنية التي أشارت إلى هذه الظاهرة القدسية . . .

إن أول أمر من الخالق لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فعل الأمر : « إِقْرَا »^(٥) وجاء محرداً ثلاثة مرات ومسندأً لـواو الجماعة ثلاثة مرات وكان في الأولى « إِقْرَا »^(٦) باسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ « العَلَقَ » فالمخاطب محمد عليه السلام ومن بعده العالم كافة للجنس البشري ، فالفعل خالد من الناحية الزمنية ، لأن القائل خالد ، والمخاطب الجنس البشري كافة فهو مستمر حتى يوم القيمة وهذا سر إعجازه الزمني وقد لا نلحظ ذلك في الجمل الوضعية فتقول : « إِشْرِبْ » وادرسْ وانهضْ والعبْ واذهبْ وهلم جراً فهي أفعال محددة الزمن ، وإن دلت على المستقبل إلا أنها تقف عند حد زمني معين . ألم ترَ أن الشرب والدرس

١ - قال ابن خلدون « إعجاز القرآن إنما هو في وفاء الدلالة منه لجميع مقتضيات الأحوال منظوفه ومفهومه وهي أعلى مراتب الكلام مع إكتاب فيها يختص بالألفاظ في إنتقادها وجودة وصفتها وتركيبها مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٧ .

٢ - سورة الإسراء آية ٨٨ .

٣ - وردت مادة قرأ في القرآن الكريم ومشتقاتها « ٨٤ مرة » وجاءت فعل أمر « ٦ مرات » انظر المجمع المفهرس للألفاظ القرآن الكريم مادة « قرأ »، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم المجمع المصري .

٤ - الكشاف ٤ / ٧٧٥ قال الرمخشري عن ابن عباس هي أول سورة نزلت في القرآن الكريم وأسباب النزول ص ٦ وابن الجامع لأحكام القرآن ج ٤٠ / ٢٥٢ .

والنهوض واللعي والذهب ستهي حتى في وقت محمد؟ أما الأمر الخالد فهو مستمر كما جاء في القرآن : قال أبو علي الطبرسي حول الآية : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » هذا أمر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرأ باسم ربه وأن يدعوه باسمه الحسن وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمى لأن الاسم ذكر المسمى بما يختصه فلا سبيل إلى تعظيمه إلا معناه^(١) .

وقال أحد العلماء في هذا الشأن : « نزل صدرها بغار حراء وهي أول ما نزل من القرآن ومعناها : « إقرأ القرآن مفتتحاً باسم ربك أو متبركاً باسم ربك ، أما « الوجه الثاني فمعناه « إقرأ هذا اللفظ وكرر الأمر بالقراءة تأكيداً » والمقصود تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يقول : « إفعل ما أمرت به فإن ربك كريم »^(٢) ، وقال المرحوم سيد قطب « لقد ظلت آثار هذه الفترة تعمل في حياة البشر منذ تلك اللحظة إلى هذه اللحظة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها »^(٣) .

الآية الثانية « إقرأ وربك الأكرم » العلق ٣ .

جاء الفعل في الآية الكريمة « إقرأ » أمراً ، والمخاطب محمد عليه السلام فهي توكيده لأقرأ الأولى ، إذ قيل : أكد الأمر بالإعادة فقال : « إقرأ »^(٤) قال الزمخشري : إقرأ باسم ربك . قل : باسم الله ثم إقرأ^(٥) وروي أيضاً « إقرأ » وقيل أمره في الأولى بالقراءة لنفسه وفي الثانية للتبلیغ وليس بتكرار ... ومعنى إقرأ

١- مجمع البيان ١٠/٥١٣ وتفسير ابن كثير ٩/٤٥٢ والبحر المحيط ٨/٤٩١

٢- كتاب التسهيل ٤/٢٠٨ بتصرف

٣- في ظلال القرآن مج ٨/٦١٦

٤- مجمع البيان ١٠/٥١٤ ونحوه تفسير ابن كثير ٩/٤٥٢

٥- الكشاف ٤/٧٧٥ وانظر رأي مكي ورأي الأنباري مشكل اعراب القرآن ٢/٨٢٧ والبيان . [في غريب إعراب القرآن ٢/٨٢٢]

القرآن »^(١) قال أبو حيان : مفعول إقرأً مُحذوف وتقديره إقرأً ما يوحى إليك
والإنسان هنا اسم جنس »^(٢) .

وقد نقل النيسابوري بعضاً من قصة التزول قال : فجاءه « الحق وهو في
غار حراء ، فجاءه الملك فقال : إقرأ ، فقال : رسول الله صلى الله عليه
وسلم : فقلت : ما أنا بقاريء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم
أرسلني ، فقال : إقرأ : فقلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثانية حتى
بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : إقرأ : فقلت : ما أنا بقاريء ، فأخذني
فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » حتى
بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال : زملوني ،
فزملوه حتى ذهب عنه الروع »^(٣) .

وإذا ما وقفنا مع الفعل ثانية « إقرأ » في الآية السابقة نلحظ أنه فعل خالد
يردده الملائين من المسلمين صباحاً مساءً في حلهم وترحالهم وقيامهم وعودهم فهو
معجز كما بينا في الفعل الأول ، وقد ذكر الحال عز وجل فعل الأمر « إقرأ » مرة
ثالثة ونلحظ أنه مختلف عن الفعلين السابقين من حيث حدوث وذلك في قوله
تعالى : « وكل انسان الزمان طائر في عنقه وخرج له يوم القيمة كتاباً يلقاه
منشوراً » [الأسراء ١٣] . « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسبياً »
[الأسراء ١٤] .

عندما نقف مع فعل الأمر « إقرأ » في الآية السابقة ، نلحظ أن الأمر موجة
لكل إنسان خلق في هذه الدنيا هذا من حيث المعنى أما من حيث حدوث أمر

١- بجمع البيان ١٠/٥٤
٢- البحر المحيط ٤٩١/٨

٣- أسباب التزول ص ٥ ، ص ٦ وتفسير ابن كثير ٩/٣٩ وإعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ١٣٣
وفي ظلال القرآن مج ٨/٦٦٦ وما بعدها . « بتصرف »

القراءة فلم يحدث ذلك ، ولم يستطع أي كائن أن يحدد الزمن الذي سوف يحدث فيه فعل الأمر « إقرأ » إلا الله عز وجل . فهو أمر خالد ولكنه مختلف عن الأمر الذي جاء في آياتي العلّق ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ﴿إقرأ وربك الأكرم﴾ . حيث نلحظ أن القراءة في الآية الأولى والأية الثانية قد حدثنا ولم تزل القراءة قائمة حتى الآن وسوف تستمر إلى يوم القيمة ، أما « إقرأ » في الآية الثالثة فهو أمر لم يحدث مطلقاً إلا بعد الموت وعند ذلك يطالب الإنسان بهذه القراءة التي وعد الله بها عبادة في هذا الكون ، وهي ﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسبي﴾ .

وهكذا نلحظ بوضوح ظاهرة الإعجاز الزمني في الأفعال القرآنية فهي أفعال خالدة معجزة يعجز عنها الإسناد الوضعي ويحاول المفسرون شرح هذه القراءة الغيبية إذ وروى الزخيري عن قتادة قال : « يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً »^(١) وفي رواية عن جابر قال : « يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة »^(٢) .

وقد حاول المرحوم سيد قطب أن يشرح هذه الصورة فقال : « تعرض سجلُ الأعمال في كتاب منشور يرف في عنق صاحبه ريف الطائر حيث يكلف كل إنسان قراءة كتابه فيكون هو على نفسه شهيداً »^(٣) .

ثانياً : إسناد الأمر من « قرأ » إلى واو الجماعة .

جاء فعل الأمر من الفعل « قرأ » خاطباً « واو » الجماعة في القرآن الكريم ثلاث مرات وقد تكرر مرتين في قوله تعالى : ﴿إن ربك يعلم أنك تعم أدنى من

١ - الكشاف ٦٥٣ / ٢ ونحوه مجمع البيان ٦ / ٤٠٤

٢ - مجمع البيان ٦ / ٤٠٤

٣ - مشاعد القيمة في القرآن ص ١٢٢

ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطاقة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ألن
تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى
وآخر ون يغربون في الأرض يتغرون من فعل الله وآخر ون يقتلون في سبيل
الله . فاقرءوا ما تيسر منه) المزمل ٢٠ .

تلحظ في الآية الكريمة السابقة فعل الأمر « إقرءوا ما تيسر» منه ذكر مررتين .

فإذا ما وقفتا مع المخاطب في الآية الكريمة تلحظ أن المخاطب محمد عليه
السلام وأمته والذين آمنوا معه ، فهو أمر خالد ، حدث ولم يزل حتى يوم
القيمة ، وهو أمر قراءة القرآن ونشره وترتيله .

ويرى بعض المفسرين أن المقصود بقراءة القرآن في الآية السابقة
« الصلاة » قال الرمخشري : « وعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما
عبر عنها بالقيام والركوع والسجود »^(١) وقيل : هي قراءة القرآن بعينها^(٢) .

وقال أبو علي الطبرسي : « إنختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الأمر من
القراءة ، فمنهم من رأى مائة آية ، وآخر رأى ثلث القرآن . والظاهر أن معنى ما
تيسر مقدار ما أردتم وأحبيتم »^(٣) .

وقال أبو حيان كرر ذلك على سبيل التوكيد القراءة الأولى^(٤) أما الآية الثالثة
التي جاء فيها الأمر من الفعل « قرأ » مستندا إلى واو الجماعة ، فقد كانت في
سورة الحاقة ، حيث تصور لنا بعض مشاهد القيمة . قال أحد العلماء بأنها
سميت الحاقة لأنها تحقّ أي يصح وجودها^(٥) قال تعالى : « فَامَّا مَنْ اُوتَيَ كِتَابَهُ

١ - الكشاف ٤/٦٤٣ ونحوه البحر المحيط ٨/٣٦٥ وتفسير ابن كثير ٩/٣٥

٢ - البحر المحيط ٨/٣٦٥

٣ - جمجم البيان ١/١٠ ٣٨٢ بتصرف

٤ - البحر المحيط ٨/٣٨٥

٥ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٣/١٤٣ ومشاهد القيمة في القرآن ص ١٨٢ ، ص ١٨٣ .

بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه الحاقة (١٩) .

ونلحظ أن الأمر لم يحدث ؛ أي : إن القراءة لم تحدث فهو أمر معجز وسوف يحدث يوم القيمة بإذن الله .

قال الزمخشري : « يأخذ الفائز كتابه بيمينه والمالك كتابه بشماله »^(١) ويقول آخر : « إن العبد الذي يعطي كتابه بيمينه يقول للناس : إقرءوا كتابه على وجه الإستبار »^(٢) .

أما « هـ » فهو اسم فعل أمر بمعنى^(٣) خذ ؛ ويجوز مده ، قال ابن هشام فيقال : « هـ للذكر بالفتح وهو بالكسر أي بكسر المهمزة ، وهـ للفعل المثنى وهو نـ للمؤنث وهـ لـ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هـ اؤم اقرءوا كتابـ ﴾ »^(٤) .

وإذا ما وقفنا مع الأفعال السابقة نلحظ أن القرآن الكريم جاء بفعل الأمر من مادة « قـ » سـ مرات « اقرـ » ، ثـ مرات واقـ مرات وـ مرات ، كان المخاطب فيها وأـ الجمـعـةـ . وقد حدـثـ الأمـرـ - ولم يـزـلـ - في فعلـينـ من « قـ » كما حدـثـ الأمـرـ في فعلـينـ من « اقرـ » لـيـ حدـثـ القرـاءـةـ فـعـلـاـ وـبـقـيـ فعلـانـ لم يـحـدـثـ حـقـيقـةـ إـلـاـ يـوـمـ الـبـعـثـ ، أـيـ بـعـدـ الـحـيـاةـ ، وـيـلـاحـظـ أـيـضـاـ أـنـ المـدـةـ الـزـمـنـيـةـ قد جـاءـتـ فيـ جـمـيعـ الـأـفـعـالـ السـابـقـةـ خـالـدـةـ غـيرـ مـنـقـطـعـةـ زـمـنـيـاـ ؛ أـرـبـعـةـ أـفـعـالـ ، باـقـيـةـ حتىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ وـفـعـلـانـ بـعـدـ الـبـعـثـ وـهـذـهـ الـظـاهـرـةـ تـمـثـلـ قـمـةـ الـإـعـجـازـ النـحـويـ فيـ

١ - الكشاف ٦٠٢/٤ وانظر مشاهد القيمة في القرآن ص ١٧٩ ، ص ١٨٠ وما بعدها .

٢ - كتاب التسهيل ١٤٣/٣ وفي ظلال القرآن مج ٨/٢٤٦ وما بعدها

٣ - معنى الليب ٣٨٥/١ ورصف المبني ص ٤٠٤ .

٤ - معنى الليب ٣٨٥/١ بتصرف وانظر شرح المفصل ٨/١١٣ والجني الداني ١٣٩ وإعراب غريب القرآن ٢/٤٨٥ وذهب بعض العلماء إلى أنه اسم فعل بمعنى : تعالوا أما الزمخشري فقال هو صوت يفهم منه معنى خذ انظر كتاب التسهيل ١٤٣/٣ وألماء في كتابه للسكت الكتاب

١٤٤/٤ - تحقيق هارون ، و المجالس العلماء ص ١٨٨ ص ١٨٩

الأفعال من حيث الزمن . ونحب أن نبين أن هناك بعضَ أفعال الأمر في القرآن قد حدثت وانتهت . وهذا ما قاسَ عليه النحاة وهذه الأفعال لا تخلو من إعجاز معينٍ من وجوه الإعجاز القرآني . وذلك نحو قوله تعالى في قصة آدم عليه السلام : ﴿وَيَا آدَمْ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حِيثِ شَيْئًا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف ١٩ .

وإذا ما وقفنا مع أفعال الأمر في الآية السابقة « نحو : اسْكُنْ وَكُلَا » نلحظ أنها حدثاً فعلاً . وانتهيا في زمن معين والإعجاز في الآية السابقة في الترکيب اللغوی والأخبار بالغیب وغير ذلك من وجوه البلاغة . قال القاضي عبد الجبار معقبأً على قوله تعالى : ﴿الرَّكَابُ احْكَمْتَ آيَاتِهِ﴾ (هود ١) . أريد به انه تعالى أحکمه في باب الإعجاز والدلالة على وجه لا يتحقق خلل «^(١)» ومعنى ذلك أن الإعجاز القرآني واضح كوضوح الشمس في جميع الآيات دون إستثناء إذ : « لا تفاوت بين أي القرآن وسورة في البلاغة . لأن القرآن بلغَ حد الإعجاز لما اشتمل عليه من حسن التأليف والفصاحة ووجوه الإيجاز «^(٢) .

ومنه قوله تعالى ، عندما طرد الله إبليس من الجنة قال : ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فِيمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَكْبِرْ فِيهَا فَأَخْرُجْ أَنْكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف ١٣) اهبط وأخرج أفعال أمر حدثت وانتهت وكذلك قوله تعالى : ﴿أَهْبِطُوا بِعِصْمِكُمْ لِبَعْضِ عَدُوِّكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٍ وَمُنْتَاعٍ إِلَى حِينَ﴾ (البقرة ٣٦) .

قال الفراء «^(٣)» « فإنه خاطب آدم وامرأته . ويقال آدم وإبليس أما فعل الأمر : « أهبطوا ؛ فقد حدث المبوط فعلاً ، وهذه الأفعال التي جاءت وانتهت

١ - متشابه القرآن ١ / ٢١ وانظر معتبرك القرآن ١ / ١٤ ، ١٥

٢ - نور الإسلام مجلة الأزهر ج ٦ ص ٣٥٠٠

٣ - معاني القرآن ١ / ٣١ الفراء

بظاهرها الزمني ، هي التي قاس عليها النحاة . أما الأفعال السابقة فهي أفعال يعجز عن الأتيا بها الأسناد الوضعية وهو إعجاز قائم خالد حتى يوم يبعثون .

ونكرر ما قاله الخطابي^(١) : « والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج إلى أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر من لون عصر نزوله إلى الزمان الراهن الذي نحن فيه . وذلك أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تحدى العرب قاطبةً بأن يأتوا بسرقة من مثلك فعجزوا عنه وانقطعوا دونه^(٢) . »

الحدث على وحدانية الله وطاعته

حدث القرآن الكريم على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ والإيمان بوحدانيته وقد استخدم القرآن الكريم كثيراً من أفعال الأمر تحقيقاً لهذه الغاية . ومن الأفعال التي استخدمت في هذا الشأن الفعل : « قُلْ » ذُكِرَتْ مادة « قَوْلَ » في القرآن الكريم في صور مختلفة ما يقرب من ثلاثين وسبعين مائة وألف مرة « ١٧٣٠ » . أما الأمر فقد ذُكِرَ في تسع وأربعين وثلاث مائة مرة (٣٤٩ مرة) مفصلاً كما يلي : « قل » ٣٣٢ مرة « قولوا » ١٢ مرة و « قول » ثلاث مرات و « قولى » مرة « واحدة » وقلن مرة واحدة أيضاً^(٣) .

والقاريء لهذه الآيات الكريمة التي جاء فيها فعل الأمر « قُلْ » يلحظ أن كل آية معجزة في ذاتها ، وإن اتفقت في الصيغ الزمنية من حيث كونها أمراً ، ولكن لكل آية هدف سامي ولكل أمر موقف خاص سبحانه الذي أبدع هذا القرآن العظيم .

١ - إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ص ١٩

٢ - الخطابي علماه القرن الرابع تعرض سنة ٣٨٨ هـ .

٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة قول ونحوه معجم ألفاظ القرآن المجمع اللغوي مصر انظر أسباب النزول ص ٣٠٩ ص ٣١٠ .

ونحب في هذا الشأن أن نقدم بعض النماذج التي تحت على الإيمان بالله ووحدانيته . وخاصةً ، بعض سور القصار والتي بدأت بفعل الأمر « قل »^(١) « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » . « الأخلاص ٤ - ١ » .

نلحظ أنَّ فعل الأمر في الآية السابقة هو « قل » والأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولن دَبَّ على هذه الأرض ، لأنَّه مُحَمَّداً أُرسِلَ للناس كافةً اذ قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً » فالمخاطب الناس كافةً بعد الرسول ، والأمر في الجملة خالد ، من الناحية الزمنية وكذلك مقول القول .

فإذا قلت لابنك : قل الحق أو قل الصدق . فقد يتنهى الأمر ؛ بانتهاء الزمن ، وبانتهاء ، الفاعل والقاتل .

وإذا قلت لصاحبك أو لأخيك : إذهب إلى فلان ، وقل له كذا وكذا ؛ فقد وقع الأمر على جميع ما بعد فعل القول إلا أنَّ الزمن في الإسناد الوضعي كما تلاحظ لا بدَّ أن يتنهى في زمن ما ، فهو محدود إذن . أمَّا الأمر كما تلحظ هو خالد معجز سبق الناس ترددَه « قل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمْدُ إِلَيْهِ يَوْمَ يَعْثُثُ » قال مكي في إعراب « قل » قل يا محمدُ الحديثُ الحقُّ اللَّهُ أَحَدٌ^(٢) .

قال ابن خالوية في إعرابها قل : أمر ، فإن سأله سائل فقال : إذا قال القاتل ، قل : لا إله إلا الله وجب أن تقول : لا إله إلا الله ولا ترد قل : فما وجه ثبات الأمر في « قل » في جميع القرآن فالجواب : في ذلك أن التقدير « قل يا محمد قل هو الله أحد » وقل يا محمد قل أعوذ برب الناس ، فقال النبي صلى الله

١- مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٨٥٢ وتفسير الخازن ٦/٣٩

عليه كما لقنه جبريل عن الله عز وجل^(١) .

أما الآية فهي دعوة للتوحيد الأبدى الخالد والائمور باق من حيث الجنس الى حين . قال الطبرسي : « سميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلا التوحيد وكلمة التوحيد تسمى كلمة الإخلاص وقيل إنما سميت بذلك ، لأن من تمسك فيها إعتقداً وإقراراً كان مؤمناً ». ^(٢)

وقال أحد المفسرين : « ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ». ^(٣)

قال الزمخشري وقال آخر : « هذه الآيات عقيدة للضمير وتفسير للوجود ومنهج للحياة وقد تضمنت السورة أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام الكبيرة ». ^(٤)

ورُويَ عن النبي صلَّى الله عليه وسلم^(٥) : « أَسْتَأْتِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَالسَّبْعَ عَلَى قُلْ » هو الله أحد يعني ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطق بها السورة عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أنه سمع زجلاً يقرأ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » فقال : وجبت قيل يا رسول الله ، وما وجبت ؟ قال : « وجبت الجنة ». ^(٦)

وقد روى عن الرسول صلَّى الله عليه وسلم أنه قال : « والذى نفس بيده إنها لتعدل ثلث القرآن ، كما روى أن رجلاً كان يؤمِّن قومه فيقرأ في كل ركعة : قُلْ »

١ - إعراب ثلاثين سورة ص ٢٢٨ ومشكل إعراب القرآن / ٢ ٨٨٣

٢ - مجمع البيان / ١٠ ٥٦٥ وانظر توضيحاً لفضلها ونحوه تفسير الخازن / ٦ ٣١٩ الكشاف / ٤ ٨١٧

والبحر المحيط / ٨ ٥٢٨

٣ - تفسير ابن كثير والبغوي / ٩ ٣٤٤

٤ - في ظلال القرآن بتصرف ج / ٨ ٧٠٢

٥ - الكشاف / ٤ ٨١٩

هو الله أحد ، فذكر ذلك قومه للنبي صلّى الله عليه وسلم . وأرسل اليه ، فقال إني أح悲ها ، فقال له الرسول عليه السلام : حبك إياها أدخلك الجنة »^(١) .

وقال ابن خالوية حول الظاهرة النحوية وتقديم « هو » في أول السورة بعد فعل الأمر « قُلْ » فإن قيل لما ابتدأت بالمعنى ، ولم يتقدم ذكره ؟ فقل « لأن هذه السورة ثناء على الله تعالى . وهي خالصة له . ليس فيها شيء من ذكر الدنيا ، ونزلت جواباً لقوم قالوا للنبي صلّى الله عليه وسلم ؛ اخبرنا عن الله تعالى ذكره . فمن ذهب هو أم من فضة أم من مسك ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى « قُلْ هو الله أحد »^(٢) .

أما مكي القيسى فيقول : وإنما وقعت « هو » كنائمة في أول الكلام لأنه كلام جرى على جواب سائل^(٣) . ويلاحظ من حكمته تعالى أنه جاء بهذه الآيات القصيرة لحكمة في التعليم وتدرج الأطفال من سور القصائد إلى ما فوقها تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه^(٤) .

وقوله تعالى : « قل أَعُوذ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا
وَقَبَ ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْمَعْدِلِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ » **« الفلق ١ - ٥ »**

وقال تعالى « قل أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ
الْوَسَوْسَاتِ الْخَنَاسِ . الَّذِي يُوَسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْ الجَنَّةِ وَالنَّاسِ » **« الناس ٦ - ١ »**

١ - أحكام القرآن لابن العربي مع ١٩٨٣/٤ بتصريف

٢ - إعراب ثلاثين سورة من ٢٢٨

٣ - مشكل إعراب القرآن ٢/٨٥٣ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٤٥ وأسباب النزول

ص ٣١١ ، ص ٣٠٩ ، ص ٢٩٩ إذ روى ثلاثة أسباب للتزوّل معاني القرآن ٣/٣

٤ - الإتقان ١/٨٧

اذا ما وقفنا مع السورتين السابقتين نلحظ انها بدأنا بفعل الأمر « قُلْ » والمخاطب فيها الرسول عليه السلام ، ومن بعده الذين آمنوا به وبرسالته الخالدة .

قال ابن خالوية : « فما وجه ثبات الأمر في « قُلْ » في جميع القرآن ؟ فالجواب في ذلك أن التقدير ، قُلْ يا محمد : قُلْ هو الله أحد . وقل يا محمد قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا لَقَنَهُ جَبَرِيلُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وأخبرنا محمد بن أبي هاشم عن ثعلب عن ابن الإعرابي قال : قيل : لأعرابي : ما تحفظ من القرآن فقال : أحفظ سور القلائل يعني ما كان في أوله ، « قُلْ » ^(١) .

وهكذا نلحظ أن الأمر خالد من الناحية الزمنية ، وهذا سرّ من أسرار الإعجاز القرآني الكريم روى صاحب الكشاف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن نقرأ سورتين أحبت ولا أرضي عند الله منها . يعني : المعوذتين . ويقال للمعوذتين المشيقشitan ^(٢) . أما الطبرسي فيروي في شأنها : « قُلْ : من قرأ « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » و « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » فكانما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله على الأنبياء . وعن الرسول عليه السلام إنه قال لعقبه : إقرأهما كلما قمت وغرت » ^(٣) .

وروى صاحب روح المعاني ، قال : « أخرج مسلم والترمذى والنمسانى وغيرهما عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُنْزِلَتْ عَلَى الْلَّيْلَةِ

١ - إعراب ثلاثين سورة ص ٢٢٩ وما بعدها وبجمع البيان ١٠ / ٥٧٠ وانظر شرحًا للسورتين الكشاف

٤ / ٨٢٠ وما بعدها وبجمع البيان ١٠ / ٥٦٧ ومعاني القرآن ٣ / ٣٠١

٢ - الكشاف ٤ / ٨٢٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ٢٥٢

٣ - جمع البيان ١٠ / ٥٦٧ وتفسير المراغي مع ٣٠ / ٢٦٥

آيات لم أرَ مثلهن قط . « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ »^(١) .

وفي حديث أن من قرأها مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسي وثلاثاً حين يصبح كفته من كل شيء . وفي فضلها أخبار كثيرة ، وقال المرحوم سيد قطب في هذا الشأن « » : « هذه السورة التي يعدها توجيه من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إبتداء وللمؤمنين من بعده جيئاً »^(٢) .

وقال تعالى : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي » [الكافرون ١ - ٦] .

نلحظ أن السورة الكريمة بدأت بفعل الأمر^(٣) « قُلْ » وهو أمر موجه لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الكافرين رأيه وثبتاته وذلك بعد أن جادلوه في دينه جداً شديداً . والأمر « قُلْ » هو أمر مستمر لن ينقطع حتى يوم القيمة لأنه أمر من الله عز وجل ويلاحظ المسلم في هذه الفترة أن بعض الملحدين والمنافقين الذين يجادلون في دين الله العظيم وينغرسون بذور الشك في عقيدة المسلم وذلك عن طريق الكتابة أو المشافهة ووسائل أخرى فيها على المسلم الصادق القوي عقيدة إلا أن يتذكر الأمر المعجز الحالد وقد روى عن رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قرأها فقد برئ من الشرك »^(٤) .

وقال الزمخشري في هذا الشأن : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ٣٠/٢٧٩ « قال : « قُلْ أَعُوذُ » أي : التجىء واعتتصم وأحتذر .

٢ - في طلال القرآن مج ٨/٧٠٧

- ينظر في ذلك الكشاف ٤/٨٠٨ ومعاني القرآن ٣/٢٩٧ وأسباب النزول ص ٣٠٧ وبجمع البيان ٥٥٣/١٠

٤ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢٢٠

من قرأ سورة الكافرين فكانها قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مِرآة الشياطين وبرىء من الشرك ويعاف من النزع الأكبر »^(٢) .

وروى الطبرى « عن فروة بن نوفل الأشجعى عن أبيه انه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « جئت يا رسول الله لتعلمنى شيئاً أقوله عند منامي قال : « إذا أخذت مضمونك فاقرأ : « قل يا أيها الكافرون » ثم « نم » على خاتمتها فإنها براءة من الشرك »^(٤) .

وهكذا نلحظ أن الأمر في الآيات السابقة لم يحدد بمستقبل معين من الناحية الزمنية فهو أمر زمني خالد ستبقى ملايين المسلمين ترددوا إلى أن يشاء الله العظيم » .

قال سيد قطب : « قُلْ » الأمر الإلهي الحاسم الموحى بأن أمر هذه العقيدة أمر الله وحده ليس لمحمد فيه شيء : إنما هو الله الأمر الذي لا مرد لأمره الحاسم الذي لا راد لحكمه^(٥) .

وقد ذكر الله تعالى فعل الأمر « إتقوا » « ٦٩ مرة » في سور متفرقة من القرآن الكريم « التقوى يعني الإتقاء » وأصله وقياً فأبدلت الواو تاءً ، والباء واواً .

والتقوى في لسان الشرع : إتقاء عذاب الله وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وورد أن الله أهل التقوى أي : أهل ان يتقى ويتحف^(٦) نجاء في اللسان : وقي وقا الله وقياً ووقاية وواقية : صانه . قال أبو معقل المذلي :

١- الكشاف ٤/٨٠٩ وبجمع البيان ١١٠/٥٥١ وروح المعاني ٣٠/٢٧٩ .

٢- بجمع البيان .

٣- في ظلال القرآن مج ٨/٦٨٨ .

٤- معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة « وقي »

فَعَادَ عَلَيْكِ أَنْ لَكُنْ حَظًّا
وَوَاقِيَّةٌ كَوَايِّةٌ الْكِلَابِ
وَفِي الْحَدِيثِ «فَوْقِي أَحَدُكُمْ وَجْهُ النَّارِ»

وَقَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا صَنَّتْهُ وَسَرَّتْهُ عَنِ الْأَذْى»^(١).

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الرِّزَادِ التَّقْوَى»^(٢).

قَالَ الزَّمْخَشْرِيُّ : «أَيُّ اجْعَلُوا زَادَكُمْ إِلَى الْآخِرَةِ اتِّقاءَ الْقَبَائِحِ فَإِنَّ خَيْرَ
الرِّزَادِ اتِّقاءُهَا»^(٣).

وَمِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَاءَتْ تَحْثِّثَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى :
«وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» [البَقْرَةُ ١٩٤].

جَاءَتِ الْأَيْةُ الْكَرِيمَةُ مَكْمُلَةً فِي مَجَالِ التَّشْرِيعِ الْقَتَالِيِّ وَخَتَّمَهَا بِأَمْرِهِ الْخَالِدِ
طَالِبًاً مِنْهُمْ تَقْوَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ قَالَ الزَّمْخَشْرِيُّ : «وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي حَالِ كُونِكُمْ
مُنْتَصِرِينَ مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَلَا تَعْتَدُوا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ»^(٤).

قَالَ أَحَدُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْأَمْرِ «وَاتَّقُوا اللَّهَ» لَا تَعْتَدُوا عَلَى أَحَدٍ وَلَا تَبْغُوا
وَلَا تَظْلِمُوا فِي الْقَصَاصِ بِأَنْ تَزِيدُوا فِي الْإِيْذَاءِ وَأَكْدُ الْأَمْرَ بِالتَّقْوَى بِمَا يَبْيَنُ مِزْيَتُهَا
وَفَائِدَتُهَا»^(٥).

«وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تَحْشِرونَ» [البَقْرَةُ ٢٠٣].

جَاءَتِ الْأَيْةُ الْكَرِيمَةُ تَكْمِلَةً لِقَاعِدَةِ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ بَعْدِ الْحَجَّ مِبَاشِرَةً

-
- لسان العرب مادة «وفي»
 - البقرة آية ١٩٧
 - الكشاف ٢٤٤/١
 - الكشاف ٢٣٦/١ وانظر المناسبة في تفسير المغارب ٢١٣/٢
 - تفسير المغارب ٢١٣/٢

وقيل هي الأيام الثلاثة بعد يوم العيد والحجاج يرمون الجمرات .

قال الطبرسي : « واتقوا الله » أي اجتنبوا معاishi الله وتحققوا أنكم بعد موتكم تجتمعون إلى الموضع الذي يحكم الله بينكم ويجازيكم على أعمالكم »^(١) .

وقوله تعالى : « واتقوا الله إن الله سريع الحساب » [المائدة ٤] .

جاءت الآية الكريمة تكملة لقاعدة سماوية في الحلال من المأكولات والذبائح واختتمت بأمر إلهي وهو التقوى »^(٢) .

وذكر أبو علي الطبرسي معنى الأمر في الآية السابقة واتقوا الله أي : اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه واحذرزوا معاishi التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم أو ما لم يمسكه عليكم^(٣) وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شع نفسه فأولئك هم المفلحون » (التغابن ١٦) .

قال القرطبي : « أي « اسمعوا ما توعظون وأطيعوا فيها تؤمرون وتنهون عنه وقال مقاتل : « إسمعوا » أي أصغوا إلى ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الأصل في السماع »^(٤) .

وفي رواية عن البخاري ومسلم وغيرهم : « اسمعوا وأطيعوا وأن استعمل عليكم عبد حبشي كأنه رأسه زبية »^(٥) .

جاء التحدي القائم منذ نزول الكتاب حتى يرث الله هذه الأرض وذلك

١ - مجمع البيان ١/٢٩٩

٢ - الكشاف ١/٦٠٦ وجمع البيان مج ٣/١٦٠

٣ - مجمع البيان ٣/٦٢

٤ - تفسير القرطبي ١٨/١٤٥

٥ - كشف الخفا ومزيل الالتباس ص ١٣٩

في صيغة الأمر الحالد : « اذ قال تعالى : ﴿ وَان كُنْتُمْ فِي رِبِّ مَا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَنْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مُثْلِهِ وَادْعُوا شَهِداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعِلُوا وَلَنْ تَفْعِلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُدْهَا النَّبَاسُ وَالْحَجَرَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة ٢٣ - ٢٤] .

وإذا وقفنا مع الأفعال السابقة وأتوا ، وأدعوا فاتقوا ، نلحظ أنها أفعال حالدة فهي وقف على مدى الزمن^(١) أما الفعل « اتقوا » فقد قال الرمخشري : « لأن من اتقى النار ترك المعاندة »^(٢) .

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ آخَرُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَاتَّاً عَلَى تَقْوَىِ اللَّهِ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَمَوْنَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة ٢٨١ « ذهب معظم المفسرين الى أنها آخر آية نزلت في القرآن الكريم ، ونلحظ أن الأمر الأخير اختتم بالتقوى ذكر الرمخشري عن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام »^(٣) .

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعُلَمَكُمْ تَتَّقَوْنَ ﴾ البقرة (٢١) ذكر الله تعالى الفعل « اعبدوا » مخاطباً فيه واو الجماعة إحدى وعشرين مرة^(٤) ، وفيها أمر خالد بعبادة الله عز وجل من نشأة الخليفة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

١ - ينظر في هذا الشأن : الكشاف ١/١٠٢ وما بعدها وجمع البيان ١/٦١ وما بعدها ومعاني القرآن ١/١٩ وتفسير المنار ١/١٠٩ وما بعدها والإتقان ٢/٢١٨ والإعجاز في دراسات السابقين ٣٦٢ والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ٢٨ ص ٢٩ وما بعدها وثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٦٥

٢ - الكشاف ١/١٠٢

٣ - الكشاف ١/٣٢١ وتفسير الثعالبي ١/٢٨ وفتح البيان في مقاصد القرآن ١/٥٣

٤ - معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة « عبد » ونحوه : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

قال الزغشري : « يأيها الناس اعبدوا ربكم خطاب ل硕士研究 مكة »^(١) ، ولكنه أمر للناس كافة قال السيوطي : « يأيها الناس خطاب للجنس عام يراد به الخصوص »^(٢) ودعوة الخالق للتوحيد والعبادة أزلية لم تقطع منذ خلق الله آدم عليه السلام ثابتة حتى يوم القيمة وقد نقل السيوطي بعض آراء العلماء والمفسرين حول قوله تعالى : « يا أيها النبي ويا أيها الرسول ويا أهل الكتاب وما شابه ذلك قال : حول قوله تعالى يا أيها النبي يا أيها الرسول هل يشمل الأمة ؟ .

قيل نعم : لأن أمر القدوة أمر لا تباعه معه عرفاً . والأصح في الأصول .

المنع لإختصاص الصفة أما « يأيها الناس » هل يشمل الرسول عليه السلام . قال : فيه مذاهب أصحها وعليه الأكثرون نعم لعموم الصفة ، وفيه آراء أما « يا أهل الكتاب هل تشمل المؤمنين فالإصح : لا : لأن اللفظ قاصر على من ذكر يأيها الذين آمنوا . هل يشمل أهل الكتاب فقيل لا »^(٣) :

ومن أفعال الأمر الخالدة في قرآننا الكريم أفعال التسبيح لله عز وجل فقد ورد الأمر من الفعل « سبّح » في القرآن الكريم ثمانين عشرة مرة : ثلاث عشرة مرة « سبّح » غير متصل بضمير . وسبّحه ثلاث مرات ومستندة لرواوى الجماعة مرتبين^(٤)

والتسبيح في اللغة التنزيه^(٥) وسبحان الله معناه التنزيه لله ، وهو نصب على المصدر كأنه قال : أُبرئ الله من السوء براءة ، والسبحة خرزات يسبّح

١ - الكشاف ١/٨٩ قال الزغشري : « كل شيء أنزل فيه يا أيها الناس فهو مكي وكل شيء أنزل فيه يا أيها الذين آمنوا فهو مدني »

٢ - معترك الإقران ١/٢٣١ بتصرف

٣ - معترك الإقران ١/٢١٥ بتصرف .

٤ - معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة « سبّح » ص ٣٣٩

٥ - كتاب التسهيل ٤/١٣٩ وتفسير المدار ٧/٢٩٤

بها ، وهي أيضاً التطوع من الذكر والصلوة^(١) . وقال عنها صاحب اللسان بأنها
كلمة مولده^(٢) .

وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة والذكر ، والسبحة : الدعاء . وصلاة
التطوع والنافلة ، يقال فرغ فلان من سبحته أي : من صلاته النافلة سميت
الصلاحة تسبيحاً لأنَّ التسبيح تعظيم الله وتتربيه من كل سوء^(٣) قال ابن خالويه :
« فإذا صرفت قلت « سبعَ يُسَبِّحُ تسبيحاً » فهو مُسَبِّحُ ، ويقال للسبابة أعني
« الإصبع » السباحة والمبثحة والمشيرة » وقد يتعدى الفعل سبع باباً وبدونها
نحو قوله عز وجل : « سبع اسم ربك وباسم ربك »^(٤)

ومن أفعال الأمر الحالدة التي جاءت في هذا الشأن قوله تعالى : « فسبح
بحمد ربك وكن من الساجدين وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر ٩٨ -
٩٩ ، فالأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر خالد يردده الذين آمنوا بهذا
الرسول العظيم وبما أنزل إليه يرددون ترديداً إيماناً واحتساباً .

تنزيهاً لهذا الخالق العظيم الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور . قال
الزمخشري موضحاً ذلك الأمر الحالد « فسبح » فافزع فيها نابك إلى الله ، والفرز
إلى الله هو الذكر الدائم ، وكثرة السجود يُفك ويكشف عنك النعم ، و « دم »
على عبادة ربك » .

وعن النبي عليه السلام « أنه كان إذا حزَّ به أمر فرع إلى الصلاة^(٥) قال

-
- ١ - مختار الصحاح مادة « سبع »
 - ٢ - لسان العرب مادة سبع
 - ٣ - لسان العرب مادة سبع بتصريف
 - ٤ - إعراب ثلاثين سورة ص ٥٤
 - ٥ - معاني القرآن ٢٥٦ / ٢
 - ٦ - الكشاف ٥٩٢ / ٢

الطبرسي : « أي « قل سبحان الله وبحمده » وكن من الساجدين أي المصليين ،
وقيل معناه : « احمد ربك على نعمه إليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون
عبادتهم إليه ^(١) »

وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ تارة سورة سبع باسم ربك الأعلى في صلاة
الظهر ^(٢)

وقوله تعالى : « فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود واستمع يوم يناد المناد
من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . إننا نحن نحي
ونحيت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك خسر علينا يسير » (ق
٤٤ - ٣٩)

إذا ما وقفتا مع أفعال الأمر في الآيات الكريمة السابقة ، فاصبر ، وسبح
 واستمع ، نلحظ أنها أوامر خالدة ، لم تقف عند وقت معين . فالصبر على
المشركين والملحدين من إنكارهم للبعث وتکذبیهم أمر واجب على المؤمنين
وكذلك التسبیح بحمد الله وتزییه تعالى في كل شيء وكذلك الإیمان بالبعث .

يرى الزمخشري أنَّ الصبر على ما يقوله اليهود أو ما يقوله المشركون من
انكارهم للبعث ثم قال والصبر مأمور به في كل حال ^(٣)

قال الطبرسي في معنى الأمر « استمع » والمراد به جميع المكلفين : أي اصغ

-
- ١ - عجم البیان ٥/٣٤٧ بتصرف
 - ٢ - زاد المیعاد ١/٥٣ وانظر تفصیلاً معنی التسبیح وكلمة سبحان في تفسیر الشارح ٧/٥٦٤ وما
بعدها .
 - ٣ - الكشاف ٤/٣٩٢ بتصرف .

إلى النداء وتوقعه يعني صيحة القيامة والبعث والنشر ينادي بها المنادي^(١):

قال القراء : « يقال إن جبريل عليه السلام يأتي بيت المقدس فينادي بالحشر » ^(٢)

وقوله تعالى : « سبع اسم ربك الأعلى » الذي خلق فسوى والذي قدر فهدي ، والذي أخرج المرعى فجعله غماء أحشوی ^(٣) الأعلى ١ - ٥ ، نلحظ أن السورة الكريمة بدأت بالأمر وهو التسبيح وهو أمر ثابت دائم قال أبو علي الطبرسي : أي : قل سبحان رب الأعلى ^(٤)

وقال الزمخشري « تسبيح اسمه عز وعلا تزييه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبّه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والأقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة ^(٥) »

والتسبيح بحمد الله دائم ثابت يردد المُسلمون في كل صلاة أي في كل ركعة ست مرات وروى أن الرسول عليه السلام كان يقرأ هذه السورة تارة في صلاة الظهر ^(٦)

وقال أبو علي أيضاً : « ويحسن بالقاريء إذا قرأ هذه الآية أن يقول سبحان رب الأعلى وإن كان في الصلاة » ^(٧)

١ - مجمع البيان ٩/١٥١

٢ - معاني القرآن ٣/٨١

٣ - مجمع البيان ٧/٧٤ وانظر البحر المحيط ٨/٢٤١ « سبّح الله ما في السموات »

٤ - الكشاف ٤/٧٣٧ وانظر كتاب التسهيل ٤/١٣٩

٥ - تفسير النار ٧/٢٦٤

٦ - مجمع البيان ١٠/٤٧٤

ومن أفعال الأمر الخالدة ما جاءت تحت الناس على العبادات وإطاعة أوامر
الخالق العظيم ومن ذلك قوله تعالى : « **وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة وارکعوا مع**
الراکعين » (البقرة ٤٣)

في إقامة الصلاة واتيان الزكاة أمر خالد لن يتوقف حتى يرث الله الأرض
الفانية فهو أمر ثابت وكذلك الرکوع لله عز وجل .

قال الزمخشري : « **أقيموا الصلاة** » يعني صلاة المسلمين وزكاتهم ^(١)
ويجب إقامتها بخلاص لله والصدق والتوجيه إليه والخشوع لعظمته وجلاله . ^(٢)

كما أوصى الخالق العظيم بالمحافظة عليها وذلك في قوله تعالى : « **حافظوا**
على الصلوات والصلوة الوسطى » (البقرة ٢٣٨) فهو أمر خالد لن ينقطع أبداً
يطبقه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

قال البيضاوي : « قبل صلاة العصر لقوله عليه السلام يوم الأحزاب
شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر ملأ الله بيتهن ناراً » ^(٣) قال أبو علي
الطبرسي في هذا الشأن داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقفها ، بتام أركانها
ثم خص الوسطى تفخيلاً لشأنها . ^(٤)

وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا

١ - الكشاف ١٣٣ / ١ وانظر باب الزكاة في زاد الميعاد ١٤٧ / ١ وما بعدها وسنن أبي داود ٢١٢ / ٢

٢ - تفسير المنار ١ / ٣٦٩

٣ - تفسير البضاوي ص ٥٤ والكساف ٤ / ٢٧٨ وروح المعاني ٢ / ٢٢١

٤ - مجمع البيان ١ / ٣٤٢ أما الزكاة فهي فرض واجب جاء في تفسير المنار ٢٠٢ / ١٠ الزكاة المفروضة من
أموال الأغنياء للفقراء وللمصالح العامة وهي الركن المالي الإجتماعي من أركان الإسلام التي يقوم
بها نظامه العام ونحوه زاد الميعاد ١٤٧ / ١ وما بعدها وسنن أبي داود ٢١٢ / ٢ وفي رواية عن
جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعد
للبيع .

نكتبها حتى أملأها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها
فأملأت عليه ، والصلة الوسطى صلاة العصر^(١)

وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (البقرة ٤٥)

وهكذا نجد الأمر الحالد في قرآننا الكريم لا ينقطع ليس له حدود ولا وقت
قال الزمخشري : « واستعينوا على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلة أي الجمع
بينها وإن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين مشاقها وما يجب فيها من
إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الأدب » .

قال أبو علي الطبرسي : « كان النبي عليه السلام إذا حزنه أمر يستعان
بالصلة والصوم^(٢) ومن قال إنه خطاب للمسلمين ، قال المراد به استعينوا على
تنجز ما وعدته لن اتبع النبي ﷺ أو على مشقة التكليف بالصبر أي « بحبس
النفس على الطاعات والشهوات وبالصلة لما فيها من تلاوة القرآن »^(٣)

وعن الرسول عليه السلام « إِقْرِئُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا
لِأَصْحَاحِهِ »^(٤)

وجاء في تفسير المنار حول الآية الكريمة السابقة وأما الاستعانة بالصلة فهي
أقرب إلى حصول المأمول وإرجاع النفس إلى الله تعالى لما لها من تأثير في الروح

١- انظر تفصيلاً لذلك في الكشاف ١/٢٨٨ وجمع البيان ١/٣٤٣ وتفسير القرطبي ٣/٢٠٨ .

٢- الكشاف ١/١٣٣ ، ١٣٤ ، يرى بعض المفسرين أن الخطاب لليهود أنظر توضيحاً لذلك في جمع
بيان مج ١/٩٩ وسن أبي داود مج ٢/١٤٤

٣- جمع البيان ١/٩٩ وال Kashaf ١/١٣٤ وتفسير المنار ١/٣٠٠ وما بعدها وانظر رأي الدين في تارك
الصلة تفسير المنار ١/٢٠٣ وما بعدها

٤- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٤

ولكنها أشق على النفس الأمارة بالسوء ولذلك قال تعالى : « وإنها لكبيرة إلا على
الخاسعين » أي لثقلة شديدة الوقع ^(١)

وقوله تعالى : « وأمْرَ أهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبَرَ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ
نَرْزَقُكَ وَالْعَاقِبةُ لِلتَّقْوَىٰ » (طه ١٣٢) وهذا أمر للرسول وللذين آمنوا برسالته
الخالدة وكتابه العظيم وهو أمر مطلق واجب على كل مسلم أن يأمر أولاده وذويه
بالصلوة بل واجب على كل وال و معلم ومسلم أن يأمر أهله بالصلوة وهو أمر
خالد .

قال أبو علي الطبرسي : حول تفسير الآية الكريمة : « وأمر يا محمد أهل
بيتك وأهل دينك بالصلوة » روى أبو سعيد الخدري قال : « لما نزلت هذه الآية
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بباب فاطمة وعلى ، تسعة أشهر عند كل
صلوة فيقول الصلاة رحمة الله » ^(٢)

قال الزمخشري : « أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا
بها على خصاخصكم : ولا تهتم بأمر الرزق والعيشة فإن رزقك مكفيٌ من
عندنا » ^(٣)

وقوله تعالى : « اتَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ
تَنْهِيُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ » (العنكبوت
٤٥)

للحظ أن أفعال الأمر خالدة فهي تطالب الرسول والمسلمين بتلاوة القرآن

١ - تفسير النار ١ / ٣٠٠ وانظر مزيداً عن فضل الصلاة في أحاديث الرسول عليه السلام وسبل السلام
ج ٤٢٣ / ٤ وما بعدهما وسنن أبي داود مع ١٤٤ / ٢

٢ - جمجم البيان ٧ / ٣٧ بتصرف والكتشاف ٩٩ / ٣

٣ - الكشاف ٩٩ / ٣

وإقامة الصلاة لما فيها من فائدة عظيمة وعبادة خالصة لوجهه تعالى . قال الزمخشري : « الصلاة تكون لطفاً في ترك المعاصي فكأنها نافية عنها . فإن قلت : كم من مصلٍ يرتكب ولا تنهٰ صلاته ، قلت : الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الشواب أن يدخل فيها مقدماً للتوبة النصوح متقداً لقوله تعالى : « إنما يتقبل الله من المتقين » ويصليها خاشعاً بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم : كان رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساره وملك الموت من فوقه وأصلى بين الخوف والرجاء ثم يحيطها بعد أن يصل إليها فلا يحيطها فهي الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر » وعن ابن عباس رضي الله عنه من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهيه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً » ^(١)

الأمر بالحج ليت الله

ومن الأفعال الخالدة من حيث الزمن قوله تعالى : « **وأذن في الناس بالحج**
يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » (الحج ٢٧)

ذهب المفسرون حول المخاطب في الآية السابقة إلى قولين : أحدهما : أن الأمر لا يخص إبراهيم عليه السلام ، والثاني أنَّ الأمر في الآية لمحمله عليه السلام وكلها رسول من عند الله فهو أمر للمسلمين كافة .

قال الزمخشري : « وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع » ^(٢)

أما أبو علي الطبرسي فقد قال : « **واختلف في المخاطب به على قولين** أحدهما

١ - الكشاف ٤٥٦ / ٣ وانظر النظم الفني في القرآن الكريم ص ٢٣٤ وتفسير المدارج ٩ / ص ٥٤٤ ، ٥٤٥ وما بعدها ، ووج ١٠ / ص ٣٢٥ ، ص ٣٢٦ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٨ وما بعدها .

٢ - الكشاف ١٥٢ / ٣

أنه لابراهيم عن علي وابن عباس واختاره مسلم . قال ابن عباس قام في المقام فنادى يا أيها الناس إن الله دعاكم إلى الحج فأجابوا بلبيك اللهم لبيك والثاني ان المخاطب به نبينا محمد عليه أفضل الصلوات أي : وأذن يا محمد في الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه في حجة الوداع أي : أعلمهم بوجوب الحج عن الحسن والجحائني وجمهور المفسرين على القول الأول ^(١) قال ابن كثير إن الآية لابراهيم عليه السلام وقال في هذا الشأن قال ابراهيم قيل يا رب كيف أبلغ الناس ؟ فصوتي لا ينفذهم فقال : ناد علينا البلاغ ^(٢)

وقوله تعالى : **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾** البقرة ١٩٦

الأمر لل المسلمين كافة فهو أمر خالد باق إلى أن يشاء الله .

قال الزمخشري : « اثتوا بها تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان » ^(٣)

ويكون الإنسان في هذه الحالة تائباً إلى الله مستغفراً ذنبه ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن أنه قال من لزم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ^(٤) وكذلك صوم رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى ورحمة .

ومن الأمر الخالد قوله تعالى : **﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والعرفان فمن شهد منكم الشهر فليصم﴾** (البقرة ١٨٥) فالامر في الآية الكريمة خالد مدى الدهر فهو فرض واجب على كل مسلم

١ - عجم البيان ٧/٨٠ وانتظر إعرابها معاني القرآن ٢/٢٢٤

٢ - تفسير ابن كثير ٤/٦٣٢

٣ - الكشاف ١/٢٣٨ وعمم البيان ١/٢٩٠ والبحر المحيط ٢/٨٤ وروح المعاني ٢/١١٢

٤ - سنن أبي داود مج ٢/١٧٩

ومسلمة ^(١) قال الأمام الشافعى : « يبين في الآية الكريمة أنه فرض الصيام عليهم ... وجعل لهم أن يفطروا مرضى ومسافرين . » ^(٢)

قال الزمخشري مشيراً لمعنى الأمر في قوله تعالى : « من كان شاهداً أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر » ^(٣)

ثم أمرنا بأكل ما يحل لنا في هذه الأرض الواسعة من طعام إذ قال تعالى : « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » (البقرة ١٦٨) .

وهذا أمر خالد لأكل الحلال من الطعام قال المرحوم سيد قطب حول هذه الآية : « بمناسبة ما كان يحاول فيه اليهود من الحلال والحرام في المطاعم والمشارب وما نزل به القرآن وبيانه عندهم فيما يكتمنه في التوراة تحبيء دعوة إلى الناس كافة للإستمتاع بالطبيات التي أحلها الله وتحذير من الذي يأمرهم بالسوء والفحشاء » ^(٤)

قال الزمخشري : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام أو شبهه أو تخريم حلال أو تحليل حرام » ^(٥) وقد سمي الحلال حلالاً لأن حلال عقد المنع منه ^(٦)

وقوله تعالى في أمره الخالد طالباً الذين آمنوا بالوفاء بالوعد والعقود إذ قال

١ - ينظر في ذلك الكشاف ١/٢٢٦ وتفسير المنار ٢/١٤٣ وجمع البيان ١/٢٧٧

٢ - أحكام القرآن للإمام أبي عبد الله الشافعى ص ١٠٦

٣ - الكشاف ١/٢٢٦ وانظر مشكل الآثار للإمام الحافظ الطحاوى وزار الميعاد ١/١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

٤ - في ظلال القرآن مج ١/٢٠٧ وروح المعاني مج ٤/ص ٣ ص ٤ والبحر المحيط ١/٤٧٧

٥ - الكشاف ١/٣١٢

٦ - البحر المحيط ١/٤٧٧

تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعَهْدِ الَّذِي كُمْ بِهِمْ إِنَّ الْأَنْعَامَ﴾ (المائدة ١) فهو أمر خالد للمؤمنين وقيل : إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونکاح وعتق وشبه ذلك : وقيل ما عقده مع ربه من الطاعات كالحج والصيام ^(١) وقيل الآية عامة في الوفاء بالعقود وهي الربوط في القول ^(٢) قال الزمخشري : « هي عقود الله التي عقدها على عبادة وألزمها إياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه . . . والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه » ^(٣)

ثم تأتي أوامر الخالق العظيم قاعدة أساسية في بناء المجتمع والأسرة الإسلامية المؤمنة المستقيمة فيطالبهم بغض البصر والمحافظة على الفروج من الزنا بعد أن وضع حدوداً لذلك . ^(٤)

إذ قال تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فَرْوَجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ « النور ٣٠ » فانظر إلى الأمر الخالد والأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كافة ، قال الزمخشري والمراد غض البصر عنها يحرم والاقتصاد به على ما يحل ^(٥)

قال الطبرسي : « قل » يا محمد « للمؤمنين » أن يغضوا من أبصارهم عما لا يحل لهم النظر إليه ويفسدو فروجهم عمن لا يحل لهم وعن الفواحش ^(٦)

١ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٦٦ وتفسير الشعالي ١/٤٢٦

٢ - تفسير الشعالي ١/٣٢٦

٣ - الكشاف ١/٦٠١ ، ٦٠٠

٤ - الكشاف ٣/٢٠٨ ينظر قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جملة ١٠ / ٥ وسبل السلام ٤/٤ .

٥ - الكشاف ٣/٢٢٩ وقال ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإن المراد به الستر .

٦ - مجمع البيان ٧/١٣٧ وتفسير ابن كثير ٥/٧٦

قال ابن كثير : « هذا أمر من الله تعالى لعبادة المؤمنين »
وفي رواية عن الإمام أحمد مسندة للرسول عليه السلام انه قال ينظر إلى
محاسن المرأة في بعض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها »

وقال عليه السلام كُلَّ عين بكت يوم القيمة إلا عيناً غضت عن محارم
الله . وعيناً سهرت في سبيل الله ^(١)

ثم أمره الخالد بالزواج بأكثر من واحدة لحكمة جَلَّ قدره في سنتها لينقذ هذه
الأمة من الزنا والمعاصي ومنافع أخرى لا يعلمها إلا هو الخالق العظيم فاتحًاً أمام
المسلم قاعدة التمتع بالزواج الشرعي الحلال ^(٢) »

إذ قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تَقْسِطُوا فِي الْبَيْتَمِيِّ فَانْكِحُوهُمَا طَابَ لَكُمْ
مِّنَ النِّسَاءِ مَتْنِي وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تَعْدِلُوْنَ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ
ذَلِكَ أَدْنَى أَلَا تَعْوِلُوْنَ ﴾ (النساء ٣)

فإذا ما وقفنا مع الآية الكريمة نلحظ أن الأمر فيها خالد حتى يرث الله
الأرض ومن عليها . إنه أمر غير مرتبط بزمن معين ، له دلالة تاريخية موقوفة ،
إنه أمر بالزواج الحالى أباحه الحالى العظيم . . . في شريعته الخالدة .

قال أبو علي الطبرسي موضحاً الأمر في ذلك : « فانكحوا الطيب من النساء
أي الحال منهن أي من اللواتي يجلن كاражهن دون المحرمات ^(٣) وهذا الزواج

١ - تفسير ابن كثير ٥/٧٦ بتصرف
٢ - ينظر في هذا الشأن :

الكتشاف ١/١٦٦ وتفسير المسارج ٤/٩٠ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ وما
بعدها .

وجمع البيان ٤/٣ وما بعدها وفي ظلال القرآن ١/٢٥٣ وتفسير ابن كثير ٢/١٩٧ وما بعدها
والبحر المحيط ٣/١٦١ والإسلام عقيدة وشريعة باب تعدد الزوجات ص ١٩٧ حتى ص ٢٠٦
وسبل السلام خاصة كتاب النكاح ج ١٠٧/٣ وما بعدها .

٣ - جمع البيان ٣/٦ وما بعدها والكتشاف ١/٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

الحال القائم على الإشهار ودفع المهر يجب أن يأتي بالطريقة التي أحلها الله عز وجلّ ، ليس خططاً أو إغتصاباً إبتغاء شهوة طارئة حيوانية بل مشاورة وحضاً ومحظوظاً ، مع ذوي الزوجة فاستمع إلى الأمر الخالد الأذلي إذ قال تعالى : « فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن بالمعروف محسنات غير مسافحات » (النساء ٢٥)

ويفسر الطبرسي قوله تعالى حول هذا الأمر : « فانكحوهن » يعني الفتيات المؤمنات أي تزوجوهن بإذن أهلهن أي بأمر سادتهن ومواليهن وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير إذن مالكها (١)

ثم يرسم الخالق العظيم العلاقة الزوجية من الناحية الجنسية وما ينبغي لهذه العلاقة أن تكون لسموها إذ قال جل شأنه : « ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتظاهرين » (البقرة ٢٢٢) وهكذا نلحظ الأمر الخالد الأبدى حتى يوم القيمة حيث الحياة الحالدة فالمحيض أذى ولا تقربوهن . . فاتوهن . . هذه أوامر الله العظيم فهي أوامر خالدة أئمّة للإسناد الوضعي أن يصل إليها فهي أفعال معجزة .

قال سيد قطب : « وليست المسألة بعد ذلك فوضى ولا وفق الأهواء والأنحرافات إنما هي مقيدة بأمر الله فهي وظيفة ناشئة عن أمر وتکلیف مقيدة بكيفية وحدود فاتوهن من حيث أمركم الله في منبت الإخصاب دون سواء فليس الهدف هو مطلق الشهوة إنما العرض هو إمتداد الحياة (٢)

١ - مجمع البيان ٣/٢٤ والكشف ١/٤٩٩ ، ٥٠٠ وروح المعاني مج ٥ / ص ٢ ، ص ٣

٢ - في ظلال القرآن ١/٣٥٢ ، وروح المعاني ٢/١٧٣ وما بعدها وتفسير ابن كثير ١/٤٥٨ وما بعدها والبحر المحيط ٢/١٦٧

وروى عن الرسول عليه السلام أنه قال : « إصنعوا كل شيء إلا النكاح »^(١) وذهب القرطبي إلى القول بأن الأذى هو الذي تتأذى به المرأة وغيرها^(٢)

ومن الأمر الخالد ما جاء به القرآن الكريم في حث المسلمين للدفاع عن دينهم وعرضهم ووطنهم وأن يكونوا مستعدين للقتال دائمًا إذ قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأخرين من دونهم » وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوسف إليكم وأنتم لا تظلمون^(٣) الأنفال ٦٠) فهذا أمر للمسلمين بالأعداد للحرب قال الزمخشري : « من قوة من كل ما يتقى به في الحرب من عددها »^(٤)

ثم بين طريقة الحرب وأمرهم بالجهاد وهو أمر خالد إذ قال تعالى^(٥) « انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون^(٦) التوبة ٤)

قال الطبرسي في أمر الجهاد : « ثم أمر سبحانه بالجهاد وبين تأكيد وجوبه على العباد فقال : « انفروا » أي اخرجوا إلى الغزو « خفافاً وثقلاً : أي شباناً وشيوخناً » معناه : أخرجوا إلى الجهاد خفافاً عليكم أو شق على أي حالة كنتم لأن أحوال الإنسان لا تخلو من أحد هذه الأشياء »

ثم قال : الجهاد واجب بالنفس والمال على من استطاع بها ومن لم يستطع على الوجهين فعليه أن يجاهد بما استطاع^(٧) ويجب على المسلم أن يجاهد في سبيل

١ - تفسير ابن كثير ٤/٤٧١ وانظر توضيحاً لمعنى الآية في تفسير القرطبي ٣/٨٠

٢ - تفسير القرطبي ٣/٨٠

٣ - الكشاف ٤/٥٥٥ وجمع البيان أنظر الآراء حول معنى الآية ٤/٢٣٢

٤ - الكشاف ٤/٢٧١ أنظر تفسيراً للآية

٥ - جمع البيان ٥/٣٣ وروح المعاني ٥/٦٤

الله دفاعاً عن وطن الإسلام وعرضهم وشرفهم جاء في روح المعاني : إن دخول الجنة ليس بالأمني . وفي المثل إن الثمن رأس مال المفلس ^(١)

وقد حدث الرسول عن فضل الجهاد بأحاديث شتى قال صلى الله عليه وسلم ما من ميت يموت إلا ختم على عمله إلا من مات مربطاً في سبيل الله فإنه ينموله عمله إلى يوم القيمة وأمن من فتنة القبر وقال رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيها سواه من المنازل ^(٢) .

وذكر الترمذ عنده من رابط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة صيامها وقيامها ^(٣)

ومن الأمر الخالد قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمسلمين كافة الذين يطبقون الشريعة الإسلامية التي نادى بها خالقنا العظيم «خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين» (الأعراف ١٩٩)

قال ابن قتيبة : «كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم ، لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين»

وفي «الأمر بالعرف» تقوى الله وصلة الأرحام ، وصون اللسان عن الكذب وغض النظر عن الحرمان ، وإنما سمي هذا وما أشبهه «عُرْفًا» ومعروفاً لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه وفي الأعراض عن الجاهلين ، الصبر والحلم وتتنزية النفس عن بحارة السفيه ومنازعة اللّجوج ^(٤)

وقال الزمخشري : «العفو» ضد الجهد أي خذ ما عفأ لك من أفعال الناس

١ - روح المعاني ٥/١٥٢ وانظر أجر الشهداء عند الله تفسير ابن كثير ٢/٥٣

٢ - زاد المعاد ٢/٦١ ، ٦٢ وانظر آيات الجهاد تفسير ابن كثير ١/٤٠٠ وما بعدها

٣ - معترك القرآن ١/٢٢٥

وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهيل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا . كقوله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا » ^(١)

ومن أفعال الأمر الخالدة التي يرددوها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها هذا الفعل « اهدنا » وذلك في قوله تعالى : « إِهْدُنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغضوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » ^(٢) الفاتحة ٦ - ٧) وهي الركن الثالث من الفاتحة وفي ذلك براءة الاستهلال المطلوبة ، لأنها يشير إلى أن المقصود بالقرآن وضع دين جديد للخلق يشتمل على أحكام لا عوج فيها ولا انحراف وبصلاح ما أفسده الناس في شرائع الله من قبله ^(٣)

قال أبو علي الطبرسي : « قيل في معنى اهدنا وجوه أخذها أن معناه ثبتنا على الدين الحق » ^(٤) ويبقى أمر الله نافذاً يفتح باب المغفرة والتوبة لمن دَبَّ على هذه الأرض الفانية لأن باب التوبة مفتوح أمام المسلم وأمام المؤمن قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تُوبَةً نَصْوَحاً » عَنْ رَبِّكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ » ^(٥) التحرير ٨)

وعن الأمام علي رضي الله عنه أنه سمع إعرابيا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال : يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكاذبين قال : وما التوبة ؟ قال يجمعها ستة أشياء : على الماضي من الذنوب الندامة ، وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب

١- الكشاف ٢/١٨٩

٢- النظم الفنية في القرآن الكريم ص ٤٣ وكتاب التسهيل مع ١/٣٤ والكشاف ١/١٤ والبحر المحيط ١/٢٥

وتفسير ابن كثير ١/٤٨ ، غرائب القرآن ١/١٠٩

٣- جمجمة البيان ١/٢٧ وما بعدها

نفسك في طاعة الله كما رببها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أدقتها
حلاوة المعاصي »^(١)

وقال أيضاً في باب التوبة وهو أمر خالد معجز ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا
إليه إنَّ ربي رحيم ودود ﴾ (هود ٩٠)

وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله إن الله يغفر الذنوب جيئاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (الزمر ٥٣) هكذا بين
الخالق العظيم للذين جنوا على أنفسهم بالإسراف في المعاصي والغلو فيها يكتنفهم
التوبة وباب التوبة مفتوح لمن أراد التوبة . وذلك في حب الله عز وجل وعبادته
وطاعته ﴿ قل إن كتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله وينظر لكم ذنوبكم والله
غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ (آل
عمران ٣٢ - ٣١)

هذا أمر خالد لمحمد والمؤمنين والناس كافة الذين يريدون الحق . إن حب
الله ليس دعوى باللسان ولا هياماً بالوجودان ، إلا أن يصاحب الإتباع لرسول الله
والسير على هدائه وتحقيق منهجه في الحياة وان الأيمان ليس كلمات ن قال ، ولا
مشاعر تحيش ، ولا شعائر تقام ، ولكنه طاعة لله ولرسوله وعمل ينهاج الله الذي
يحمله الرسول .

رأى الإمام ابن كثير في تفسير الآية قال : « هذه الآية الكريمة حاكمة على
كل من ادعى حبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر
حتى يتبع الشَّرْعُ الْمُحَمَّدِيُّ وَالدِّينُ النَّبُوِيُّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ »^(٢) وروى عن

١ - الكشاف ٤/٥٦٩

٢ - في ظلال القرآن مج ١/٥٧

الرسول عليه السلام « من استمسك بحديسي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديسي خسر الدنيا والآخرة ^(١) »

قال الزمخشري في معنى الآية الكريمة إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته ، يرضي عنكم ويفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل فمن ادعى حبه وخالقه سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه ^(٢) »

ونحب أن نختتم حديثنا عن فعل الأمر في القرآن - الأمر الحالى - وهو قوله تعالى ﴿فَتَعْلَمُ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيَهُ، وَقُلْ رَبِّيْ زِدْنِيْ عَلَيْهَا﴾ (طه ١١٤) فالامر لمحمد عليه السلام وللمسلمين من بعده فالمؤمن الصادق هو الذي يستعين بالله في طلب العلم وازيداته .

قال الزمخشري : « قوله تعالى : « رَبِّيْ زِدْنِيْ عَلَيْهَا » متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم : أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم ، وأدباً جيلاً ما كان عندي ، فزدني علمًا إلى علم ^(٣) »

وقال الطبرسي في تفسيره للآية الكريمة « وقل ربي زدني علمًا » أي استزد من الله سبحانه علمًا إلى علمك . . . وقيل زدني علمًا بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك وقيل زدني قرآنًا لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علمًا ^(٤) »

جاء في فتح الباري للعسقلاني هذا القول : « إن الله تعالى لم يأمر نبيه

١ - تفسير العطالي ١/٢٥٨

٢ - الكشاف ١/٣٥٣ وتفسير العطالي ١/٢٥٨

٣ - الكشاف ٣/٩٠

٤ - مجمع البيان ٧/٢٣٢ « بتصرف »

صلى الله عليه وسلم بطلب الأزيداد من شيء إلا من العلم والمزاد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته^(١)

ونحن نميل إلى أنه العلم المطلق الذي يفيد الإنسان والإنسانية جماءً ويرفع المجتمعات إلى الرقي والتقدم والذي لا يخالف تعاليم القرآن الكريم . وهكذا للحظ بوضوح الإعجاز التحوي في أفعال الأمر فهي أفعال خالدة يتد بها الزمن إلى ما شاء الله . وتأتي بعد ذلك أوامر أخرى حين البعث فأئم للإسناد الوضعى أن يصل إلى ذلك الإعجاز الخالد . وقد بينما أن الأمر في القرآن الكريم قسمان : قسم فيه إعجاز زمني خالد لا ينتهي حتى يشاء الخالق العظيم ويرث هذه الدنيا ومن عليها ، وبيننا ذلك بوضوح تام لا لبس فيه وقسم آخر انتهى بانتهاء الأمر وإنما هو معجز في تركيبه وأخباره عن الغيب وهو الذي قاس عليه علماء النحو .

وبينا جزءاً من ذلك فيما سبق ونود أن نشير إلى جزء يسير على سبيل الإشتهداد لا الحصر .

وذلك نحو قوله تعالى حين ولادة عيسى عليه السلام : ﴿وَهُزِي إِلَيْكَ بِجَزْعِ النَّخْلَةِ تَساقطُ عَلَيْكَ رُطْبَا فَكِيلًا وَأَشْرَبَيْ وَقْرِي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْتَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نذرتُ لِلرَّحْمَنِ صومًا فَلَنْ أَكُلَّ الْيَوْمَ إِنْسِيَا﴾ (مريم ٢٥ - ٢٦)

وقوله تعالى ليحيى عليه السلام : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم

صبياً » (مريم ١٢) ^(٢)

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ١٣٠ والكشف ٣ / ٩٠

٢ - قال الزمخشري «تساقط» فيه

٣ - قال الزمخشري «تساقط» فيه تسع قراءات الكشف ٣ / ١٣ وانظر معجزات المسيح عليه السلام روح المعانى ٣ / ٢٤٢ والبحر المحيط ٢ / ٤٦٢ وج ٣ / ٣٩٠ ، ٣٩١ وتفسير ابن كثير ٢ / ٤٠ وتفسير القرطبي ٣ / ٦٣ وما بعدها

قال الطبرسي : « ها هنا إختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى وأعطيته الفهم والعقل وقلنا له يا يحيى خُذْ الْكِتَابَ يعني التوراة بما قواك الله عليه وأيدك به ^(١)

ألم تلحظ الإعجاز واضحًا في الآيات السابقة في المعاني وفي أخبار الغيب وكيف ولدت مريم وكيف حملت وكيف تكلم إينها وهو في المهد ؟ وهل ترى أعظم إعجازاً من ذلك ؟ وكيف تستطيع المرأة وهي في حالة الوضع ان تقوى على هز جذع النخلة ؟ إنها إرادة الله الخالق العظيم .

وكذلك الحال في قصة يحيى عليه السلام ووالده ذكريا وزوجته العاقر التي أنجبت بعد ذلك نبيا اختار الخالق العظيم اسمها له ، وكذلك عندما أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون متهديا كفره وجبروتة وقد صورة ذلك القرآن الكريم أروع تصوير : « اذهب إلى فرعون إنه طفي ، قال رب إشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لسانني يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي ، اشدد به أزرني ، واسركه في أمري » (طه ٢٤ - ٣٢) قال الزمخشري : « لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي - لعنة الله ، عرف أنه كلف أمراً عظيماً وخطباً جسياً يحتاج معه إلى إحتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش » رابط صدر فسيح فاستوجب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه و يجعله حليناً حوله يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائيد التي يذهب معها صبر الصابر » ^(٢) وحسبنا أن نكون قد بينا جزءاً يسيراً من أفعال الأمر المعجزة في قرآننا العظيم الذي يشع إعجازاً ونوراً أني لمخلوق أن يصل إدراكه ^(٣)

١ - مجمع البيان ٥٠٦ / ٦

٢ - ينظر في ذلك : روح المعاني ١٦ / ٨٣ وما بعدها وال Kashaf ٣ / ١٢ و مجمع البيان ٥٠٦ / ٦ وما بعدها

٣ - Kashaf ٣ / ٤٠ ومعجزات موسى عليه السلام تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٧

الفَصْلُ التَّالِثُ

الْفِعْلُ الْمُضَارُعُ

نحدثنا فيما سبق عن فعل الأمر في قرآنا الكريما ، وبيننا تقسيم الأفعال الزمني عند نحاة العرب . وأشارنا إلى ذلك بشيء من التفصيل ، إلا أننا نود أن نقف وقفة غير قليلة مع المضارع ، لإلقاء الضوء على بعض العبارات التي أوردها النحاة في هذا الشأن ، إذ رأوا أن المضارع قد يأتي للمستقبل حينا وللماضي حينا آخر . وإليك تفصيلاً ، قال ابن مالك : « والمضارع صالح له وللحال ولو نفي بلا خلافاً لمن خصّها بالمستقبل ، ويترجع الحال مع التجريد ، ويتعين عند الأكثر بمحاجة الآن وما في معناه وبلام الابتداء ، ونفيه بليس وما وإن ، ويخلص للاستقبال بظرف مستقبل وباسناد إلى متوقع وباقتضائه طلباً أو وعداً وبمحاجة ناصب أو أدلة ترجح أو اشتقاق أو مجازة أو لون المصدرية أو نون توكيد أو حرف تنفيس وهو السين أو سويف أو سف أو سو أو سي » وينصرف إلى المضي به « لم » و« لما » الجازمه « ولو الشرطية غالباً وإذ وربما وقد في بعض الموضع »^(١)

إذا ما وقفنا مع ابن مالك في حديثه عن المضارع نلحظ أنه لخص معظم آراء

١ - تسهيل الفوائد ص ٥ وظاهرة الشذوذ في التحuros ٤٦١ ذهبت للإشهاد في آراء ابن مالك في هذا الشأن لأنه لخص آراء النحاة السابقين في الفقه المشهورة ثم سار شراح الألفية على نمطه . أنظر مقدمة التسهيل ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ وكشف الظنون ١/١٥١ وما بعدها عدد الشروح على الفقهاء ابن مالك (٥٠) شرحأ و (١٣) حاشية على الشرح و (٣) تعليقات .

النحواء القدماء الذين سبقوه تلخيصاً دقيقاً، ووجهة نظره هذه تشمل معظم الإتجاهات النحوية هذا من جهة ومن جهة ثانية أن هذه الآراء هي الآن السائدة والتي نقلها النحواء بعده، وخاصة شراح الألفية ونود أن نشير إلى ذلك بشيء من الإيجاز ، مقسمين إتجاهات النحواء إلى أربعة أقسام :

أولاً : الفعل المضارع صالح للاستقبال وللحال ولو ثُفي بلا .

ثانياً : يتراجع الحال مع التجريد ؛ أي تجريد الفعل من القرائن الدالة على الاستقبال أو المضي على حد سواء ويتquin عند أكثر النحواء أن يكون المضارع مصحوباً بكلمة « الآن » ، فمثلاً يقول : « زَيْدٌ يَذْهَبُ الْآنَ إِلَى السُّوقِ » وما في معناه :

ثالثاً : يتلخص للأستقبال بإضافة بعض العوامل الدالة عليه .

رابعاً : ينصرف للماضي غالباً بعد لَمْ ولَا الجازمة ولو الشرطية .

ولذلك .. نلحظ أن ابن مالك استخدم عبارتي « الأكثر » و« الغالب » فيما المعنى الإصطلاحى لكلتا العبارتين عند النحوة ؟؟

نقل السيوطي عن ابن هشام النحوي أنه قال : « أعلم أنهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً فالمطرد لا يختلف والغالب أكثر الأشياء ولكنه مختلف والكثير دونه والقليل دون الكثير والنادر أقل من القليل فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرون غالباً والخمسة عشر إليها كثير لا غالب والثلاثة قليل والواحد نادر فعلم بهذا مراتب ما يقال في ذلك » ^(١)

فإذا ما نظرنا لاصطلاحات النحوة السابقة نلحظ أن الغالب والكثير عندهم

هو القياس وأن المضارع يأتي للحال ، إذا كان مصحوباً بكلمة الآن أو وما في معناها . وذلك عند أكثر النحاة ، وبعضهم يرجع التجريد ، أي دون مصاحبة كلمة «الآن» فتقول : محمدٌ يَشْرُبُ الماء ويلعبُ الكرة ويذهبُ إلى عمله إلخ . . . » ومعنى ذلك أنَّ المضارع عند بعض النحاة محصور في هذه الحالة فقط ؛ وذلك إذا كان مجردًا من القرائن الدالة على الاستقبال ، وعند الأكثرون يكون مصحوباً بالآن أو ما في معناه ، وإذا ما وقفتا مع أقوال النحاة حول المضارع في قرائنا الكريم نجد أن هناك أفعالاً لم يستطع النحاة القياس عليها لأنها في رأينا أفعال تحتوي على إعجاز زمني فهي مضارعة ، ولكنها غير مقيدة بظاهرة زمنية محددة كما ذهب النحاة في تحديدتهم للظاهرة^(١) الزمنية . فهي أفعال تشير إلى المستقبل دون مصاحبة ظرف أو إسناد متوقع أو باقتضائه طلبًا أو وعدًا إلى غير ذلك من أقوالهم . وتشير إلى الحال دون كلمة الآن أو ما وقع في معناها كما يزعم أكثر النحاة كما نجد أن هناك أفعالاً قاس النحاة عليها وهذه الأفعال لا تخرج عن دائرة الإعجاز القرآني العام من حيث التركيب والأخبار بالغيب وغير ذلك من أنواع الإعجاز ، إذ لا تمثل إعجازاً زمنياً محدوداً ، وقد بينت ذلك في الفصل السابق . . ونود أن نقف في بادئ الأمر مع المضارع المعجز في كتابنا الخالد القرآن الكريم وهي أفعال في الحقيقة لا تخضع للقياس النحوي مطلقاً لأنها من لدن عزيز حكيم ، ولننقف مع قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^٩ «الإسراء»

عندما نقف مع الأفعال في الآية الكريمة السابقة للحظ أنها جاءت للهدایة والتبيير بحياة رغده فـ «يهدي ويبشر ويعملون أفعال تدل على المضارع والحقيقة لنا أن نتساءل ، هل هذه الأفعال تختص بالمضارع فقط ؟ ألم تلحظ أنها خالدة

١ - أي أن بعض أدوات معينة تجعله حالصاً بالحال وأدوات أخرى تجعله خاصاً بالمستقبل

باقيه أبد الدهر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؟ ألم تر أنها معجزة من لدن عزيز حكيم ؟ ألم نلحظ أنها جاءت غير مقرونة بكلمة الآن

مع أنها تدل على الحال والاستقبال الأبدى الخالد الذي لم يحدد زمان معين ، فالأفعال خالدة زمنياً منذ نزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٦١٠ م حتى يوم القيمة فالقرآن هو الهدى والبشر والمنفذ إلى يوم البعث .

قال الزمخشري مفسراً قوله تعالى : ﴿لِتِي هِيَ أَقْوَم﴾ للحالة التي هي أقوم الحالات أو للملمة أو للطريقة ^(١) وقال أبو علي الطبرسي : « يريد إلى الكلمة التي هي أعدل الكلمات وأصوبها ، وهي كلمة التوحيد ، وقيل : يهدى إلى الحال التي هي أعدل الحالات ^(٢) »

أما في الأسناد الوضعى فتقول : « مُحَمَّدٌ يَذْهَبُ إِلَى السُّوقِ وَيَشْرُبُ وَيَلْعَبُ وَيَأْكُلُ ... الخ ، فهي أفعال أشارت إلى المضارع ، وانتهت بانتهاء الزمن . وإذا افترضنا ووضعنا لها بعض الأدوات التي تدل على المستقبل نحو : سوف أزور فلاناً ، والطالب سوف يتخرج ، ولن أذهب معه ألم تر أنها أفعال تدل على المستقبل ولكنها سوف تنتهي حتماً من الناحية الزمنية ، بانتهاء الزمن والسائل ؟

ونود أن نقف مع بعض الأفعال المضارعة التي جاءت في أقوال الشعراء قال أمرو القيس في وصف إحدى النساء :

نَؤُومُ الضَّحْئَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ
مَنَارَةُ مُسْرٍ رَاهِبٌ مُتَّسِلٌ
وَيَضْحِيُ فَيَتَبَتَّلُ الْمُسْكُ فَوْقَ فِرَاشِهَا
يُضْيِي ءَ الظَّلَامُ بِالْعِشاَةِ كَائِنًا

١ - الكشاف / ٢٦٥١ وجمع البیان مج ٤٠١ / ٦

٢ - جمع البیان ٤٠١ / ٦

٣ - شرح القصائد السبع الطوال ص ٦٥ ، ص ٦٧

وقال في وصف الحصان :

مِسْحٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى
يَزِلُّ الْغُلَامُ الْخَفُّ عَنْ صَهْوَاتِهِ
أَثْرَنَ الْعَبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُؤْكَلِ
وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَتِيقِ الْمُثَقَّلِ^(١)

فإذا ما وقنا مع الأفعال التي استخدمها امرؤ القيس في أبياته السابقة وهي : يُضْحِي ، لَمْ تُنْطَقْ ، ثُضِيءُ ، يَزِلُّ ، وَيُلْوِي - فهي أفعال مضارعة ولكنها انتهت كظاهرة زمنية في حينها .

وهذا شاعر آخر من أصحاب المعلقات وهو عنترة الذي تحدث^(٢) عن شجاعته وقوة خيوله .. إذ قال :

يَخْبِرُكَ مِنْ شَهَادَةِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي
وَالْخَيلُ تَقْتَحِمُ الْعَبَارُ عَوَابِسًا
أَغْشَى الْوَغَى وَأَعْفَعُ عِنْدَ الْمَغْنِمِ
مِنْ بَيْنِ شَظِيمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْطَمَ^(٣)

وهذا ثالث من أصحاب المعلقات وهو عمرو بن كلثوم :^(٤)
بَأَيِّ مَشِيقَةِ عَمَرُو بْنِ هِنْدَ
ثُطِيْحُ بْنِ الْوَشَاءَ وَتَزَدَّرِينَا
مَتَى كُنَّا لِأَمْكَنَ مَقْتُونِينَا
تَهَدَّدَنَا وَأَوْعِدَنَا رُوَيْدًا

وعندما نقف مع الأفعال التي استخدمها كلا الشاعرين السابقين نلحظ أن الأول ذكر الأفعال المضارعة الآتية : يخبرك ، وأغشى وأعف تقتتحم .

وأما الثاني فقد ذكر : نطيط وتزدرينا ، تهددنافهي في الحقيقة أفعال عبرت عن فترة زمنية معينة انتهت كأثر زمني بانتهاء زمنها وقاتلها ، فأين امرؤ القيس

١ - شرح القصائد السبع الطوال ص ٨٦ ، ص ٨٧

٢ - المصدر السابق ص ٣٤٢ ، ٣٥٩

٣ - المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ، ٣٦٢

٤ - المصدر السابق ص ٤٠٢

وصاحبته؟ وأين عترة وخ يوله؟ وعمرو بن كلثوم وأعداؤه؟

ألم نلحظ أنها أفعال فانية لم تأت إلا وقتاً معيناً لظاهرة زمنية محددة . أما المضارعُ القرآنِ فهو فعل أزلي ثابت باقٍ ؛ فالفعل « يَهْدِي ، مثلاً هل يحدد بعصر أو زمن؟ هل هو مضارع عادي مرتبط بزمن معين كالأفعال التي تخضع للإسناد الوضعي قد انتهى من الناحية الزمنية؟

ألم تلحظ الإعجاز النحوي واضحاً خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها؟ ومن الأفعال الخالدة التي لا ترتبط بزمن معين قوله تعالى : « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (البقرة ٢١٣)

فالفعل يهدي مضارع غير مقترب بكلمة الآن أو ما يقع في معناها ولم تقترن بأدوات تجعله خاصاً بالمستقبل فهو فعل معجز وهذه الآية الكريمة بثابة قاعدة عامة للمؤمنين إذ كانت الناس أمة واحدة حين أخرجهم الله من ظهر آدم ثم حدث إرسال الأنبياء هداية للبشر ثم حدث الخلاف بينهم ^(١) فمنهم من صدّق الرسل ومنهم من كذبهم .

قال الزخشي : عن ابن عباس رضي الله عنها أنه كان بين آدم و بين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا ، وقيل لهم نوح ومن كان معه في السفينة ^(٢)

قال القرطبي معقباً على قوله تعالى « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » رد على المعتزلة في قوله : « إن العبد يستهدي بهداية نفسه ^(٣)

١ - تفسير القرطبي ٣١ / ٣ وال Kashaf ١ / ٢٥٦

٢ - تفسير القرطبي ١ / ٣٣

٣ - الكشاف ١ / ٢٥٦ ومعاني القرآن ١ / ١٣١

ومن الأفعال المعجزة قوله تعالى : ﴿ بِعِلْمٍ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ
مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (التغابن ٤) فالعلم لله
وحده فهو علم مطلق غير مرتبط بزمن فهو يعلم منذ الخلق وحتى انتهاء الخلق
والحياة .

قال الزمخشري : نَبَّهَ بعلمه ما في السماوات والأرض ثم بعلمه ما يسره
العباد ويعلمنوه ثم بعلمه ذوات الصدور ^(١)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
تَعْلَمُونَ ﴾ (الحجرات ١٨) .

فالفعل يعلم هو فعل خالد أبد الدهر ليس مقيداً بزمن المضارع فحسب بل
هو مطلق من الناحية الزمنية وهذا من أسرار الإعجاز القرآني في الظاهرة الزمنية .

قال الزمخشري : « إنَّهُ عَزَّ وَجَلَ يَعْلَمُ كُلَّ مُسْتَرٍ فِي الْعَالَمِ وَيَصْرِكُلَّ
عَمَلٍ تَعْلَمُونَ فِي سَرَّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ » ^(٢)

وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل ١٩)

فالعلم خالد من الناحية الزمنية كذلك ما يبدي الإنسان وما يخفى قال
الزمخشري مفسراً الآية السابقة « مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَهُوَ وَعِيدٌ » ^(٣)

وقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِثَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورِ ﴾ (غافر ١٩) قال
الزمخشري : « المراد استراق النظر إلى ما لا يحلف كما يفعل أهل الريب » ^(٤) أما

١ - الكشاف ٤/٥٤٦

٢ - الكشاف ٤/٣٧٩

٣ - الكشاف ٢/٦٠٠

٤ - الكشاف ٤/١٥٩

الطبرسي فقد قال : « أي ضيائها وهي سارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه »^(١)
﴿ وَعِنْهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا سُقْطَ
مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴾ (الأنعام ٥٩)

في الآية السابقة نلحظ الإعجاز واضحًا ليس في المعنى الغيبي فحسب بل
في ظاهرة الزمن قال الزمخشري : « فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا
يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتيح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى
ما في المخازن »^(٢)

ولنقف مع الأفعال الخالدة والعلوم الغيبية في صورة معجزة متحدية لمن دب
على هذه الأرض إنساً أو جنًا .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ ﴾ (لقمان ٣٤) فهل الأفعال « ينزل ، يعلم ، تدرى تكسب تشير إلى
المضارع فقط !! أو أنها خالدة .

يدرك الزمخشري سبب نزول الآية السابقة « روى أن رجلاً من محارب وهو
الحرث بن عمر بن حارثة أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ،
أخبرني عن الساعة متى قيامها ؟ واني قد أقيمت حبات في الأرض وقد أبطأت
عنها السماء فمتى نظر ؟ وأخبرني عن إمرأتي فقد اشتملت ما في بطنها ، أذكر أم
أنتي وإيني علمت ما علمت أمس فما أعمل غدا ، وهذا مولدي قد عرفته فأين
أموت ؟ فنزلت وعلى النبي صلى الله عليه وسلم « مفاتيح الغيب » خمس وتلا هذه

١ - مجمع البيان مج ١٩/٨

٢ - الكشاف ٢/٢

الأية^(١) ذكر صاحب أسباب النزول أن أعرابياً أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن الساعة وقتها ، وقال ان أرضنا أجدبنا فمتنى ينزل الغيث ؟ وتركت امرأتي حبل فيما إذا تلد وقد علمت أين ولدت فبأي أرض نموت^(٢)

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران ٦)

يقول الزمخشري : حول قوله تعالى : « كيف يشاء » عن الصور المختلفة وعن سعيد بن جبير، هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان رباً كأنه نبه بكونه مصوراً في الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفي عليه ما لا يخفي على الله^(٣)

وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (الرعد ٨ - ٩)

وهذا تأكيد واضح لعلم الخالق عز وجل وما تحمله المرأة قال الزمخشري : « أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكوره وأنوثه وقمام وخداج وحسن وقبع وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمتربعة ويعلم ما تغيبه الأرحام وما تأخذه زائداً^(٤) »

قال القرطبي : « أخبر تعالى عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات » وقال في موضع ثان : « ... إن الله تعالى يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل وشحمه ولحمه من مني المرأة^(٥) »

١ - الكشاف ٥٠٥ / ٣

٢ - أسباب النزول ص ٢٣٤

٣ - الكشاف ٣٣٧ / ١

٤ - الكشاف ٥١٥ / ٢

٥ - تفسير القرطبي ٧ / ٤

قال تعالى : « يعلم ما يلْجَ في الأرض وما ينْخُرِجُ منها وما ينْزَلُ من السَّماءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ » (سبأ ٤٢)

إِذَا مَا وَقَفْنَا مَعَ الْأَفْعَالِ السَّابِقَةِ يَعْلَمُ وَيَلْجَ وَيَنْخُرِجُ وَيَنْزَلُ وَيَعْرُجُ نَلْحَظُ
أَنَّهَا أَفْعَالٌ مُضَارِعَةٌ وَلَكِنَّهَا لَيْسَ وَقْفًا عَلَى الزَّمْنِ الْحَاضِرِ بَلْ تَتَجاوزُهُ إِلَى الْأَزْلِ .
دُونَ قَرِيْتَهِ كَـ« السَّيْنُ أَوْ سُوفَ مُثَلًاً » وَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِعٌ عَلَى إِعْجَازِ الْأَفْعَالِ الْقُرْآنِيَّةِ
وَالْمَسْؤُلُ عَنْهَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَسْؤُلَيَّةُ أَبَدِيَّةٍ مُسْتَمِرَّةٌ .

قال الزمخشري : « ما يلْجَ في الأرض من الغيث والكنوز والدفائن
والأموات وما ينْخُرِجُ منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وما
يَنْزَلُ مِنَ السَّماءِ مِنَ الْأَمْطَارِ وَالثَّلَوْجِ وَالبَرْدِ وَالصَّواعِقِ وَالْأَرْزَاقِ وَالملائكة » (١)

قال البيضاوي : « وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّماءِ كَالملائكةِ وَالْكُتُبِ وَالْمَقَادِيرِ
وَالْأَرْزَاقِ وَالأنواعِ وَالصَّواعِقِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا كَالملائكةِ وَأَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالْأَبْخَرِ
وَالْأَدْخَنَةِ » (٢) وَمَا يَعْلَمُ جُنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْبَشَرِ (المَدْرَسَةُ ٣١)
وَالْعِلْمُ الْمُطْلَقُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ نَلْحَظُ الْمُضَارِعَ « يَعْلَمُ » فَهُوَ فَعْلٌ خَالِدٌ لَيْسَ
مَرْتَبَطًا بِزَمْنٍ مُعِينٍ لِفَتْرَةٍ تَارِيْخِيَّةٍ مُحدَّدةٍ فَهُوَ زَمْنٌ خَالِدٌ خَلُودٌ هَذِهِ الدِّينِيَّةِ حَتَّى يَرْثَاهَا
اللهُ الْعَظِيمُ .

قال الطبرسي : « أَيُّ مَا يَعْلَمُ جُنُودُ رَبِّكَ مِنْ كُثْرَتِهَا أَحَدٌ إِلَّا هُوَ » (٣)
وقوله تعالى : « وَاللَّهُ يَحْسِي وَيَبْيَتْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (آل عمران ١٥٦)
فالحياة والموت بيده عز وجل فهي أفعال خالدة كما ترى غير مقيدة بزمن

١ - الكشاف / ٣ ٥٦٧ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٠٢ / ٢

٢ - أسرار التنزيل وأسرار التأويل ٢٠٢ / ٢

٣ - مجمع البيان ١٠ / ٣٨٩

وهذا سُرُّ إعجازها فالحياة والموت بيده منذ خلق الحياة وحتى النهاية فهي بيده عز وجل .

قال الزمخشري : « قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال عند موته « ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنةوها أنا ذا أموت كما يموت البعير فلا نامت عيون الجبناء »^(١)

وكذلك الحال في الآيات الآتية إذ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (التوبه ١١٦)

قال الطبرسي أي يحيي الجماد ويميت الحيوان «^(٢)

وقال تعالى : ﴿ هُوَ يُحْيِي وَمِيتَاتٍ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾ (يونس ٥٦)

فهذه الأفعال ليست مرتبطة بزمن مطلقاً فهي أفعال خالدة ..

واسمع قوله تعالى في هذه الأفعال الخالدة إعجازاً إذ لا ترتبط بزمن معين قال تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مِنْ شَاءَ وَتُنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ شَاءَ وَتَعْزِيزُ مِنْ تَذَلَّ مِنْ شَاءَ وَتَذَلِّلُ مِنْ شَاءَ بِيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تَوْلِيجُ الظَّلَلِ فِي النَّهَارِ وَتَوْلِيجُ النَّهَارِ فِي الظَّلَلِ وَتَخْرُجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيْتِ وَتَخْرُجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مِنْ شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران ٢٦ / ٢٧)

تلحظ أن الأفعال الواردة في الآيتين السابقتين هي أفعال مضارعة ولكنها ليست مرتبطة بزمن كما نلحظ ذلك ، وهذا سُرُّ الإعجاز التركيبي في قرآننا الخالد العظيم « فَيُؤْتِي وَيَنْزَعُ وَيَعْزُّ وَيَذَلُّ وَيَوْلِجُ وَيَخْرُجُ وَيُرْزِقُ » هل يستطيع أحد أن

١ - الكشاف ٤٣١ / ١

٢ - مجمع البيان ٩ / ٥

يحدد زمناً محدداً؟ فهي أفعال خالدة معجزة لا ترتبط بوقت زمني فهي قائمة منذ الخلية حتى يرث الله هذه الأرض الفانية ومن عليها .

عقب الطبرسي على الآية السابقة إذ قال : « قادر على جميع الأشياء ؟ فقدر على إيجاد المعدوم وإففاء الموجود وإعادة ما كان موجوداً^(١) »

قال الزمخشري : « إن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده^(٢) »

قال الفراء : « قوله « ويخرج الحي من الميت » ذكر عن ابن عباس أنها البيضة ميّة يخرج منها الفرخ حيأ ، والنطفة ميّة يخرج منها الولد^(٣) »

وعن أسباب النزول قال القرطبي : « جاءت هذه الآية ردأ على قول النصارى أهل نجران أن عيسى هو الله وذلك أن هذه الأوصال تبين لكل صحيح الفطرة أن عيسى ليس في شيء منها . قال ابن اسحاق أعلم الله عز وجل في هذه الآية بعナدهم وكفرهم وإن عيسى صلى الله عليه وسلم وإن كان تعالى أعطاهم آيات تدل على نبوته من إحياء الموتى وغير ذلك فان الله عز وجل هو المنفرد بهذه الأشياء^(٤) » وقال آخر : « جاءت هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في مقام عناد المنكرين ومكايدة الجاحدين وتذكيراً له بقدرته تعالى على نصره وإعلاء دينه^(٥) »

جاء في تفسير القرطبي أن معاذ بن جبل قال : « علمني رسول الله صل

١ - جمع البيان مج ٤٢٨ / ١ وانظر تفصيلاً لذلك ص ٤٢٨ ، ، ص ٤٢٩

٢ - الكشف / ١ ٣٥٠

٣ - معاني القرآن / ١ ٢٠٥

٤ - تفسير القرطبي ٤ / ٥٣

٥ - تفسير المراغي مج ١٢٦ / ٣ ط الحلبي ط(١) ١٩٤٦

الله عليه وسلم آيات من القرآن أو كلمات ما في الأرض مسلم يدعوه بهن وهو مكروب أو غارم أو ذو دين إلا قضى الله عنه وفرج همه^(١)

وقوله تعالى في أفعال الرزق حيث أن الرزق بيده وهو إستمرار للوجود
﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز﴾ (الشورى ١٩)
فالرزق أبدى خالد فالله يرزق كل من دب على هذه الأرض غير مرتبط بمن قال
الزمخري : فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل برره إلى جميعهم ؟ قلت :
كلهم مبررون لا يخلو أحد من بره ، إلا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة
تفاوت بين العباد على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبیر ، فيطير لبعض العباد
صنف من البر لم يطر مثله لأخر ، ويصيّب هذا حظّه وصف ليس ذلك الوصف
لحظ صاحبه ، فمن قسم له منهم ما لا يقسم للأخر فقد رزقه^(٢)
ولنقف مع الأفعال المضارعة في آيات الرزق إذ نلحظ أنها جميعها غير مرتبطة بزمن
نحو قوله تعالى : ﴿الله يبسّط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الرعد ٢٦)

﴿إن ربك يبسّط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الإسراء ٣٠)

﴿ويكأنَّ الله يبسّط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ (القصص ٨٢)

﴿أو لم يروا أن الله يبسّط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الروم ٣٧)

﴿فَلِإِن رَبِّي يبسّط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (سبأ ٣٦)

﴿أو لم يعلموا أن الله يبسّط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (ال Zimmerman ٥٢)

﴿لِهِ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يبسّط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ (الشورى ١٢)

(١٢)

١ - تفسير القرطبي ٤/٥٢

٢ - الكشاف ٤/٢١٨ « بتصرف »

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة ٢١٢)

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَئِيَّاهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُمْ وَسَلَامُهُمْ تَسْلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَؤْذِنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِمَّا﴾

﴿وَالَّذِينَ يَؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَانَةً وَإِثْمًا﴾ (الأحزاب ٥٨ - ٥٦)

فإذا ما وقفنا مع الأفعال المضارعة في الآيات السابقة نلحظ أنها أفعال خالدة . غير مرتبطة بزمن فمنذ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والبدء في الدعوة وهذه الأفعال ثابتة غير وقوفٍ على زمنٍ محدد فالله والملائكة يصلون على النبي فهو فعل خالد .

والذين يؤذنون الله ورسوله فلعنة من الله عليهم في الدنيا وفي الآخرة وكذلك الذين يؤذنون المؤمنين والمؤمنات كالمرشken بالله عز وجل والملحدين فلهم عذاب مؤجل لذلك الإيذاء بدون حق .

قال الزمخشري معلقاً على الآية : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
فقال صلى الله عليه وسلم : هذا من العلم المكتون ولو لا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به ، إن الله وكل بي ملكين فلا أذْكُرُ عند عبد مسلم فيصل على إلا قال ذانك المكان غفر الله لك « (١) »

أما الذين يؤذنون الله ورسوله قال الزمخشري فيه وجهان : أحدهما أن يعبر بيأيدهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة وكالة الشريعة والثاني هو قول اليهود والنصارى والمرشken . ومن هذه الأفعال المعجزة

١- الكشاف ٣/٥٥٧ وانظر البحر المحيط ٧/٢٤٨

التي جاءت بلفظ المضارع ولكنها لا ترتبط بزمن قوله تعالى : ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق ﴾ الرعد ١٣) والتسبيح خالد أبدي يقول الزمخشري : « يسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر صامدين له » ^(١)

وقوله تعالى : ﴿ والله يسجد ما في السماوات وما في الأرض ﴾ (النحل ٤٩) قال السيوطي : « جاء بما لغير العاقل حيث أتى لما لكثره » ^(٢)
وقوله تعالى : « يقبل التوبه عن عباده » (التوبه ١٠٤)

وكذلك التوبه مفتوحة أمام الإنسان الضال ، قال السيوطي : « عذيت بعن لتضمينها معنى العفو والصفح » ^(٣) ولكن ليس من يشرك به إذ قال عز من قائل : ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشركَ به ويغفر ما دون ذلك من يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ (النساء ١١٦)

أي أن الغفران للجميع ما عدا المشرك بالله عز وجل ^(٤) قال الزمخشري : « جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني شيخ منهمك في الذنوب ^(٥) إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وأمنت به ، ولم أخذ من دونه وليناً ، ولم أقع العاصي جرأةً على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً ، وإنني لنادم تائبٌ مستغفر فما ترى حالياً عند الله ؟ فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسرَّ « من يشاء » بالتائب من ذنبه ^(٦) »

١ - الكشاف ٤/٥٥٩ (باختصار)

٢ - الكشاف ٢/٥١١

٣ - مترن الأقران ١/٢٦٢

٤ - مترن الأقران ١/٢٦٣

٥ - انظر في هذا الشأن مجمع البيان ٣/١١ وال Kashaf ١/٥٦٥

٦ - الكشاف ١/٥٦٦ ، ٥٦٥

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ (آل عمران ٧) وعندما نقف مع المصارع «يعلم» في الآية السابقة نلحظ ان الحديث عن القرآن الكريم وهذا الزمن «يعلم» قائم الى يوم القيمة «حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها».

يقول الزمخشري مفسراً قوله تعالى : «أَيْ لَا يَهْتَدِي إِلَى تَأْوِيلِهِ الْحَقُّ الَّذِي يُجْبِي أَنْ يَحْمَلَ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ وَعِبَادَةُ الصَّالِحِينَ رَسَخَوْا فِي الْعِلْمِ أَيْ ثَبَّتُوا فِيهِ وَمَكَنُوا وَعَضُوا فِيهِ بِضَرْسٍ قَاطِعٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْفَى عَلَى قَوْلِهِ إِلَّا اللَّهُ وَيَبْتَدِأُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ وَيَفْسِرُونَ الْمُتَشَابِهَ بِمَا إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَبِعِرْفَةِ الْحِكْمَةِ فِيهِ مِنْ آيَاتِهِ»^(١).

قال القرطبي : «يقال إن جماعة من اليهود منهم حي بن أخطب دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : بلغنا أنه نزل عليك «آلم» فان كنت صادقاً في مقالتك فإن تلك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة لأن الألف في حساب الجمل واحد واللام ثلاثة وأربعون» منزل وما يعلم تأويله إلا الله والتأويل يكون بمعنى التفسير ويكون بمعنى ما يؤثر ول الأمر اليه»^(٢).

ذهب معظم العلماء الى القول بأن جلة والراسخون في العلم مستأنفة ، روى القرطبي عن الخطابي قال : «فلا يعلم تأويله أحد غيره» ثم أثني الله عزوجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به ولو لا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه ومذهب أكثر العلماء أن الوقف النام في هذه الآية إنما هو قوله تعالى : «وما يعلم تأويله إلا الله وإن ما بعده إستئناف كلام آخر وهو قوله

١- تفسير الكشاف / ١ / ٣٣٨
٢- تفسير القرطبي ١٦٤

والراسخون في العلم يقولون آمنا به ^(١) . والجملة المستأنفة هي الجملة المنقطعة عما قبلها نحو قوله مات فلان رحمه الله ^(٢) . قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حِيد﴾ (فصلت ٤٢) .

فلا يأتيه الباطل أبداً فالمضارع أبدى معجز خالد قال ابن قتيبة معقباً على الآية الكريمة : « وَشَرَفُهُ وَكَرْمُهُ وَرَفْعُهُ وَعَظَمَهُ وَسَمَاءُ رُوحًا وَشَفَاءُ وَهَدَى نُورًا » ^(٣) .

أما الزمخشري فقد قال : « كَانَ الْبَاطِلُ لَا يَتَطْرُقُ إِلَيْهِ وَلَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا مِّنْ جِهَةِ مِنَ الْجِهَاتِ حَتَّى يَصُلُ إِلَيْهِ وَيَتَعَلَّقُ بِهِ » ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجًا﴾ (الكهف ١) .

يرى بعض النحاة أن المضارع اذا سبقته لم غالباً ما يكون لما مضى ^(٥) أما هنا فالمضارع مطلق الزمن معجز لم يشر الى زمن معين فالمضارع يجعل مطلقاً الزمن غير محدد - قال الزمخشري حول تفسير الآية الكريمة قال الزمخشري : « ألم يجعل له شيئاً من العوج قط والمراد نفس الإختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه » ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يَنْفَعُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمْثُلُ حَبَّةِ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنْبَلَةِ مائَةِ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ (البقرة ٢٦١) واذا ما وقفنا مع المضارع في الآية الكريمة السابقة « ينفعون ،

١- تفسير القرطبي ج ٤/١٦ ومعاني القرآن ١/١٩١

٢- الجملة التحويية ص ٩٧ ومعنى الليب ٤٢٧/٢ وحاشية الأمير ٤٦

٣- تأويل شكل القرآن ص ٣

٤- الكشاف ٤/٢٠٢

٥- تسهيل الفوائد ص ٥ : قال ابن مالك : عن المضارع وينصرف إلى المضي بل

٦- الكشاف ٢/٧٠٢

ويضاعف ويشاء فهي أفعال غير مرتبطة بزمن فهي خالدة أبدية معجزة .

وفي رواية عن الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزلت هذه الآية قال : « ربَّ زَدْ أَمْتِي »^(١) يزيد الرسول عليه السلام هذه الأمة زيادة الخير والتقوى والإيمان بالله عزَّ وجلَّ ذكر اللهُ فضل الإنفاق وإن الحسنة قد يضاعفها الله إلى سبعينات ثم ضرب مثل النسبة لذلك «^(٢) .

قال سيد قطب : « إنَّه يعرض صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية الواهبة صورة الزرع هبة الأرض أو هبة الله الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه وإن المعنى الذهني للتعبير يتهمي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة إلى سبعينات حبة »^(٣) .

أما الزمخشري فيفسر قوله تعالى : « وَاللَّهُ يَضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ أَيْ يَضَعِفُ تِلْكَ الْمَصَاعِفَةَ لِمَنْ يَشَاءُ لَا لِكُلِّ مُنْفِقٍ »^(٤) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سَرًا وَعَلَانِيةً فَلَهُمْ أَجْرٌ هُنَّ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٢٧٤) فالإنفاق في سبيل الله مستمر ما دامت السموات والأرض .

قال الزمخشري : « يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير »^(٥) . قال سيد قطب أموالهم : يشمل جميع الأموال بالليل والنهار تشمل جميع الأوقات وجميع الحالات وقال معقباً : « إن الإسلام نظام متكملاً تعمل

١ - تفسير القرطبي ٣٠٣ / ٣

٢ - تفسير المراغي ٢٨١ / ٣

٣ - في ظلال القرآن مج ١ ج ٤٤٨ / ٣

٤ - الكشاف ٤ / ٣١٠

٥ - الكشاف ١ / ٣١٩

نصوصه وتوجيهاته كلها متحدة ولا يؤخذ أجزاء وتفاريق وهو يضع نظمه لتعمل كلها في وقت واحد فتكامل وتناسق وهكذا أنشأ مجتمعة الفريد الذي لم تعرف له البشرية نظيرا في مجتمعات الأرض^(١).

وقوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَصْرٌ عَلَيْكَ أَحْسَنُ الْقَصْصِ﴾ (يوسف ٣) فالفعل نقص مضارع ولكنه خالد معجز مستمر حتى يوم القيمة .

قال الكرمانى : قيل هو قصة يوسف وسأها أحسن القصص لأشتغلها على ذكر حاسد ومحسود ومالك وملوك وشاهد مشهود ، وعاشق ومعشوق ، وحبس وإطلاق ، وسجن وخلاص ، وخصب وجدب ، وغيرها مما يعجز عن بيانها طرق الخلق^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ (الفاتحة - ٥)

فالمضارع نعبد ونسطعين أفعال إستمراية ليست مرتبطة بزمن معين فنعبد في الليل والنهار فهو المعبد دائمًا .

قال أحد العلماء^(٣) : « في ذلك إقرار بأنه لا معبد غيره ولا عون إلا منه . والشمسُ تجري لمستقر لها » (يس ٣٨) ، وتجري أيضاً فعل معجز لأنه مستمر قال السيوطي : أنها تسجد تحت العرش^(٤) .

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحَصَّنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ فَاجْلِدُهُمْ نَهَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبِلُوهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ وكذلك الذين يرمون المحسنات ولم يأتوا بشهود أربعة فالحكم ليس مرتبطاً بزمن .

١ - في ظلال القرآن مج ١/٢٦٥ وينظر تفسير القرطبي ٣٤٦/٣ وما بعدها بتصرف

٢ - معتنٰك الإقران ١/٤٨٢

٣ - النظم الفني ٤/٦٣٧

٤ - معتنٰك الإقران ٣/٦٣٧

وقوله تعالى : ﴿ لَا تدركه الأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرُكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَيْرٌ ﴾ (الأنعام ١٠٣)

قال السيوطي : « فَإِنَّ اللَّطِيفَ يَنْسَابُ مَا لَا يَدْرُكُ بِالْبَصَرِ وَالْخَيْرُ يَنْسَابُ
مَا يَدْرُكُه » ^(١) .

فیدرك الأول مضارع لم يحدث لاعجائزه . ويدرك الثاني خالد حادث
مستمر .

وقد جاء في القرآن الكريم طائفة من الآيات الغريبة المعجزة وتحتوي على
أفعال في المضارع ولكنها لم تحدث حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها وهي
أفعال معجزة . والإعجاز في ذلك واضح ساطع لكل قارئ لقرآننا العَرَبِي
المبين .

ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالَحَاتِ مِنْ ذَكْرِ
أَوْ أَنْشِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا ﴾ (النساء ١٢٤) هذا
وعد من الخالق العظيم للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن يدخلوا الجنة
بإذنه آمين .

ونلحظ ان الفعل المضارع « يَدْخُلُونَ » لم يقع حتى الان وجاء بلفظ
المضارع دليلاً على إعجاز الزمان في القرآن الكريم .

قال الزمخشري حول الآية الكريمة السابقة : « وأما المحسن فله ثواب
وتتابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب » ^(٢) .

وكذلك الحال في قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يَجِدُ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ
عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكْرِ أَوْ أَنْشِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ

١ - معترك القرآن ٤ / ١

٢ - تفسير الكشاف ٥٦٧ / ١

حساب) غافر ٤٠) فالفعل المضارع « يَدْخُلُونَ » لم يحدث إلا عند الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فهو فعل معجز أتى للإسناد الوضعي أن يصل إليه .

قال الزخري : « إن جزاء السيئة لها حساب وتقدير ، لشألا يزيد على الإستحقاق فاما جزاء العمل الصالح بغير تقدير وحساب »^(١) .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجًا﴾ (النَّبَا) . ١٨

ذلك النفع لم يحدث وإن كانت الإشارة بكلمة يوم الظرفية ، لأنه فعل معجز هيئات للإسناد الوضعي أن يصل اليه .

قال الرازى : « وهذا النفح هو النفحـة الأخيرة التي عندها يكون يوم الحشر حيث يأتون ذلك المقام فوجـأً فوجـأً حتى يتـكامل اجـتماعـهم »^(٢) .

وكذلك قوله تعالى : « يوم ينفع في الصور وتحشر المجرمين يومئذ زرقة »
(**طه ١٠٢**) وإذا وقفنا مع الفعل ينفع والفعل تحشر نلحظ أنها يلفظ المضارع
ولكنها لم يحدنا فهذا دليل واضح على الإعجاز الزمني في قرآننا الكريم .

قال الزمخشري حول الآية السابقة : « أَسْنَدَ النَّفْخَ إِلَى الْأَمْرِ بِهِ فِيمَنْ قَرَا :
نَفْخَ بِالثُّوبِ ، أَوْ لَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُقْرَبُونَ وَإِسْرَافِيلَ مِنْهُمْ بِالْمُنْزَلَةِ الَّتِي هُمْ بِهَا مِنْ
رَبِّ الْغَرْبَةِ ، فَصَحَّ لِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ ، وَقَرَبَهُمْ مِنْهُ أَنْ يَسْنَدَ مَا يَتَلوُنَهُ إِلَى ذَاتِهِ
تَعَالَى . وَقَرَىءَ : يَنْفَخُ بِلِفْظِهِ مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلَهُ ، وَيَنْفَخُ يَحْشِرُ بِالْيَاءِ الْمُفْتَوَّحةِ عَلَى
الْغَيْبِيَّةِ ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ لِإِسْرَافِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَا يَحْشِرُ الْمُجْرُمُونَ فَلَمْ
يَقْرَأْ بِهِ إِلَّا الْحَسْنُ »^(٢) .

١٦٨ / تفسير الكشاف

٢ - التفسير الكبير ج ١٠ / ٣١ ط ١ الأزهر

٨٧ / ٣ - الكشاف

وأمام المؤمنون الصادقون الذين صبروا ووعدهم الخالق العظيم في الجنة فاسمع كيف أعد الله لهم إذ قال تعالى : « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرتهم الملائكة يدخلون عليهم من كل باب » (الرعد . ٢٣)

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، فالفعل الخاص بالمؤمنين يدخلون وكذلك الملائكة لم يحدثا فقد جاء بالفظ المضارع مع أنها لم يحدثا من الناحية الزمنية وهذا دليل على الإعجاز الزمني في قرآننا الكريم .

نقل الزخيري عن ابن عباس قال : « يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من شيء غيرهم وعن الحسن إذا حُرِّمُوا أُعْطُوا وإذا ظُلِّمُوا عفوا وإذا قُطِّعُوا وَصَلُّوا وعن ابن كيسان إذا أذْبَحُوا تابوا ، وقيل : إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره (١) .

والخلاصة : نلحظ أن المضارع في قرآننا الكريم جاء على ثلاثة أنواع وكل نوع فيه إعجاز خاص ، فقسم حدث ويستمر حدوثه حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها ، وقسم ثان لم يحدث كما بينت وسوف يحدث بإذن الله بعد هذه الحياة الفانية .

وكلمة ثالث وهو الذي قاس عليه النهاة ولكنه مع ذلك معجز في إخباره عن الغيب وتركيبيه الخلاق .

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسج بحمد وبك واستغفره انه كان توابا » (النصر ١ - ٣)

فالفعل المضارع يدخلون قد حدث في زمن الفتح وكذلك قوله تعالى :
« إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم » (نوح)
.) ١

فالأفعال المضارعة في الآية السابقة حدثت ولكنها معجزة في إخبارها عن
الغيب كما أشرت سابقاً . وهي التي أخذ بها النحاة وقادوا عليها في ظاهرة
الإسناد الوضعي . . .

الفَصْلُ التَّرَابِعُ

(١)

الْفِعْلُ الْمَاضِيُّ

قبل أن نتحدث عن الفعل الماضي في قرآننا الكريم نحب أن نشير إلى ظاهرة جديرة بالإعتبار والتقدير إذ أن الأفعال القرآنية هي أفعال معجزة يعجز عن الإثبات بها الإسناد الوضعي . وإن النحاة وضعوا شروطاً لنقل الماضي إلى المستقبل كما بينا ذلك عن حديثنا عن الأفعال بصورة عامة ، وبخاصة الظاهرة الزمنية ، ومع تقديرنا لجهود علماء النحو على مر السنين إلا أن للقرآن الكريم مكانة رفيعة خاصة معجزة أخرى للإسناد الوضعي أن يصل إلى كنها . ونود أن نشير إلى رأي النحاة بشيء من الإيجاز والذي كما يبدو لنا يمثله ابن مالك في كتابه تسهيل الفوائد الذي وصفه بأنه وافٍ : « هذا كتاب في النحو جعلته بعون الله مستوفياً لأصوله مستولياً على أبوابه وفصوله .. فليثبت متأنمه ببلوغ أمله ، وليتلق بالقبول ما يرد من قبله »^(٢) .

وابن مالك نقل جل آراء النحاة السابقين له ومن ثم إن النحاة الذين جاءوا من بعده تأثروا به ، ونقلوا آرائه التي لم تزل تدرس في جامعات العالم العربي والإسلامي . قال ابن مالك : « وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء وإلى

١ - ينظر في هذا الشأن المقتضب ٤/٨١ وتسهيل الفوائد ص ٥ وشرح المقدمة المحاسبه ١٩٤/١ وشرح الأئمسي ١/١٥ وشرح الكافية ٢/٢٢٣

٢ - تسهيل الفوائد ص ٢ نحو

الإستقبال بالطلب والوعد ، وبالعطف على علم إستقباله وبالغفي بلا وإن بعد
القسم ويختتم المضي والإستقبال بعد همزة التسوية وحرف التحضيض ؛
وكلما ، وحيث ويكون صلةً أو صفةً لنكرة عامة^(١) . والحقيقة إنَّ كل ما نقله
ابن مالك في هذا الشأن لا يصل إطلاقاً لمرتبة قرآننا الكريم لأنَّ الأفعال في الإسناد
الوضعي - وإن دلت على زمن معين كما يشير ابن مالك مستقبلاً أم ماضياً - لها
حدود زمنية معينة وسوف نوضح ذلك تفصيلاً ونحجب أن نقف قليلاً مع الفعل
الماضي في الإسناد الوضعي .

قال أحد الشعراء يصف راحلته :

| | |
|--|---------------------------------------|
| تَأْوِهُ أَهْمَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ | إِذَا مَا قُنْتُ أَرْحَلُهُ بِلَيلٍ |
| أَهْذَا دِينُهُ أَبْدًا وَدِينِي | تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي |
| أَمَا يَقْنِي عَلَيْهِ وَلَا يَقْنِي | أَكُلُ الدَّهْرِ حِلٌّ وَارْتِحَالٌ |

أنها لو كانت تبين وتفصح لأظهرت شكوى وأنبأ إذا أبصرت وأنا أهيتها
لشد الرحل عليها وإعهاها ولتأوهت تأوه المشتكى حزناً وعويلاً^(٢) .

ترى أن لبيد بن ربيعة لما بعث إليه الوليد بن عقبة مائة ناقة من الأبل
ينحرها كعادته عند هبوب الصبا ، وقد أسرَّ وكان يطعم الناس ما هبت الصبا .

قال لإبنته : أشكري هذا الرجل أتى لأجد نفسي تعبيني ولقد أراني لا أعبا
بجواب شاعر : فقالت هذه الأبيات :

١ - تسهيل الفوائد ص ٦

٢ - شرح اختبارات المفضل للتلبرزي ج ٢/٣ ١٤٦٢ بتصرف

| | |
|---|--------------------------------------|
| دَعَوْنَا عِنْدَ هَبْتَهَا الوليداً | إِذَا هَبَّتْ رِياحُ أَبِي عَقِيلٍ |
| أَعْانَ عَلَى مَرْءَوَتِهِ لَبِيدًا | أَعَزَ الرِّجْهِ أَبْيَضَ عَشْمَيَا |
| عَلَيْهَا مِنْ مَبْنِي حَامٍ قَعُودًا | بِأَمْثَالِ الْمُضَابِ كَانَ رَجَبًا |
| نَحْرَنَاهَا وَأَطْعَمْنَا التُّرْيَدًا | أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا |
| وَظَنَّنِي بَابِنِ أَرْوَى أَنْ يَعُودَا ^(١) | فَعُدْ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ |

واذا ما وقفنا مع الأفعال الماضية السابقة نلحظ أنها انتهت بانتهاء زمنها .

أما الفعل الماضي في القرآن الكريم فله شأن آخر فهو فعل معجز خالد .
ونود أن نشير إلى بعض النماذج القرآنية التي ذكر فيها الفعل الماضي . ويكتنأ أن
نقسم الماضي القرآني إلى الأقسام الآتية :

أولاً :

الغاء الظاهرة الزمنية .

نلحظ أن الظاهرة الزمنية قد تلغى تماماً في بعض الآيات القرآنية الكريمة
ومن النماذج الدالة على ذلك إسناد كان للفظ الجملة قوله تعالى : « إن الله كان
على كل شيء حسيباً » (النساء ٨٦)

وقوله تعالى : « وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا » (النساء ٩٢) .

« إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (النساء ٩٤) .

« وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (النساء ٩٦) .

« واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيمًا » (النساء ١٠٦) .

« وكان الله سميعاً بصيراً » (النساء ١٢٦) .

« وكان الله على ذلك قديراً » (النساء ١٣٣) .

وقد نلحظ ذلك كثيراً في القرآن الكريم وخاصة عند إسناد كان للفظ الجلالة . وإذا ما وقفنا مع الآيات السابقة نلحظ إن كان في الآيات السابقة ملغاة زمنياً . فلا تستطيع أن تربطها بالزمن الماضي مطلقاً لأنها في التركيب السابق جاءت معجزة من لدن عزيز حكيم من حيث أنها فعلٌ ماضٌ من حيث الشكل .

أما كان في الإسناد الوضعي فهي فعل ماضي يدل على الزمن الماضي المطلق وقد وصفها أحد النحاة بأنها أم الأفعال ودالة على مطلق الزمن الماضي^(١) نحو قوله : « كنت مريضاً وكان الطالب ناجحاً وهو الآن راسب وهلم جراً . . . »

من الآيات الكريمة التي استخدم فيها الفعل الماضي مجردأ عن الزمن قوله تعالى : « الرحمن . علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان » الرحمن ١ - ٤) .

وقوله تعالى : « خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار » (الرحمن ١٤ - ١٥) .

وقوله تعالى : « ولقد خلقا الإنسان من سلالة من طين » (المؤمنون ١٢) .

فالأفعال السابقة أفعال خالدة غير مرتبطة بزمن فالرحمن علم ويعلم وسيعلم وخلق ويخلق وسيخلق فهي أفعال معجزة باقية أبدية ومستقبلية حتى يرث الله هذه الأرض .

كما جاءت غير مرتبطة بزمن وذلك عند اسنادها في بعض الآيات كقوله

تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مُوقَتاً﴾ (النساء ١٠٣) فالصلوة
كانت ولم تزل كتاباً موقتاً أو للأخبار عن المؤمنين الموعدين بالجنة كقوله تعالى :
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانُوا لَهُمْ جَنَّاتُ الْفَرْدَوْسِ نَزْلًا﴾ (١٠٧)
الكهف .

كانت ولم تزل حتى يرث الله الأرض .

وقوله تعالى : ﴿وَزَيَّنَا السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحْفَاظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ﴾ (فصلت ١٢) .

قال ابن عباس : « أَتَتِ السَّمَاوَاتِ بِمَا فِيهَا مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجُومِ » (١) .

وقوله تعالى : ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (النازعات ٣١) .

فهو أخرج وينخرج وسيخرج .

قال ابن قتيبة معقباً على الآية السابقة : « كَيْفَ دَلَّ بِشَيْئِينَ عَلَى جَمِيعِ مَا
أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَرْضِ قَوْنَا وَمِنَاعَا لِلْأَنَامِ مِنَ الْعَشَبِ وَالشَّجَرِ وَالْحَبْ وَالثَّمَرِ وَالْحَطَبِ
وَالْعَصْفَ [وَرْقُ الزَّرْعِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنْهُ] لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَةٌ عَصَفَ [وَاللِّبَاسُ
وَالنَّارُ وَالملحُ لِأَنَّ النَّارَ مِنَ الْعِيدَانِ وَالملحُ مِنَ الْمَاءِ » (٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدُوهُمْ نَصِيرًا
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ (النساء ١٤٦) .

فتابوا وأصلحوا واعتصموا فأفعال غير مرتبطة بزمن .

١ - بِحْمَمُ الْبَيَانِ مج ٦/٩

٢ - مشكل تأويل القرآن ص ٥

قال ابن قتيبة : « فدل على أن المنافقين شرٌّ من كفر به وأولادهم بعقته ؛ وأبعدهم من الإنابة إليه لأنه شرط عليهم في التوبة الإصلاح والاعتراض ولم يشرط ذلك على غيرهم »^(١) .

وقوله تعالى : « ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جيماً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (يونس ٩٩) .

فالفعل (شاء) مجرد عن الظاهرة الزمنية ، وهو معجز في التركيب القرآني « ذكر للنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لو شاء لأمن بما أنزل إليه من في الأرض جيماً ، وأنه لا يصح أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ومشيئة الله ليست مربطة بزمن . وذهب أحد الباحثين إلى القول : « هذا الأمر خالد خلود الدنيا فلم نسمع أن مسلماً أجبر كافراً أو آخر من أهل الكتاب السابقين أن يدخل الإسلام كراهية^(٢) ، بل جُلَّ ما يذهب إليه الداعية بأن يشرح جوهر الإسلام الحنيف وعدالة هذا الدين العظيم الذي اختاره الخالق لهذا الكون الغالي ليكون لهم ذخراً وحياة ديناً ودنيا لأن الدين عند الله الإسلام .

وقوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين في صلاتهم خاشعون » (المؤمنون ٢٠١) فأفلح ماض معجز لأن الفعل غير مرتبط بزمن فقد أفلح ويفلح وسيفلح المؤمنون بإذنه تعالى وبمشيته .

قال الزمخشري : « ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين مثل هذه الإشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فَخَوْطَبُوا بما دُلُّ على ثبات ما توقعوه »^(٣) .

١ - مشكل تأويل القرآن ص ٧

٢ - النظم الفنية في القرآن الكريم ص ١٤٣

٣ - الكشاف ١٧٤ / ٣

وقوله تعالى : ﴿سَبَّانُ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ لِيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَتْصَنِ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لَنْرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
(الإِسْرَاءَ - ١) .

والإِسْرَاءُ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَدَثَ ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِي
بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فَالْمَلِبَرَكَةُ ثَابِتَةٌ حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَرْضَ إِنَّمَا إِسْتِخْدَامُ الْمَاضِيِّ هُوَ
إِعْجَازٌ لِاستِمرَارِ الْحَدِيثِ الْزَّمِنِيِّ الْمُطْلَقِ فَقَدْ سَئَلَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدَ اللَّهِ « كَانَ اللَّهُ »
فَقَالَ : « وَأَمَّا قَوْلُهُ » « كَانَ اللَّهُ » فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَمْ يَزِلْ كَذَلِكَ ، وَهُوَ كَذَلِكَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ثُمَّ لَمْ يَزِلْ كَذَلِكَ .

وَقَدْ أَخْرَجَ إِبْرَاهِيمَ حَاتِمَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَهُودِيًّا قَالَ :
« إِنْكُمْ تَزَعَّمُونَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا فَكَيْفَ هُوَ الْيَوْمُ » فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ فِي
نَفْسِهِ عَزِيزًا حَكِيمًا^{١٠} . وَنَحْنُ نَرِدُ بِرَأْيِ آخَرِ عِنْدَمَا تَسَنَّدَ كَانَ إِلَى لِفْظِ الْجَلَالَةِ تَلْغِي
حِينَئِذِ الظَّاهِرَةِ الْزَّمِنِيَّةِ

ثَانِيًّا : أَفْعَالُ قُرْآنِيَّةُ جَاءَتْ بِصِيَغَةِ الْمَاضِيِّ وَلَمْ تَحْدُثْ
عِنْدَمَا نَقَفْتُ مَعَ قُرْآنَنَا الْخَالِدِ نَلْهُظُ أَنَّ بَعْضَ الْأَفْعَالِ قَدْ جَاءَتْ بِصِيَغَةِ
الْمَاضِيِّ مِنَ النَّاحِيَةِ الْزَّمِنِيَّةِ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ وَإِنَّ دَلِيلَ ذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ فَيَدِلُ عَلَى
إِعْجَازِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ حِيثِ تَرْكِيَّبِهَا فِي الصِّيَغَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَإِلَيْكَ بَعْضًا مِنَ الْأَمْثَالِ
الْقُرْآنِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الإِسْتِشَهَادِ لَا الْحَسْرِ :

قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ إِنَّ شَانِكَ هُوَ
الْأَبْتَر﴾ (الكوثر - ٣ - ١) .

١ - مَعْرِكَ الْإِقْرَانَ ٩٥ / ١ وَمَا بَعْدَهَا بِتَصْرِيفٍ

قال أبو حيان : « وذكر في التحرير في الكوثر ستة وعشرون قولًا والصحيح هو ما فسره به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال هو نهر في الجنة حافته من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ، قال الترمذى هو حديث حسن صحيح ، وفي صحيح مسلم واقطعنا منه قال أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : نهر وعدنیه ربی علیه خیر کثیر هو حوض ترد علیه أمتی یوم القیام »^(١) وروى الشعابي : « قال جماعة من الصحابة والتابعين الكوثر نهر في الجنة حافته ثياب من لؤلؤ مجوف وطينه مسک وحصاوه ياقوت ونحو هذا من صفاته وإن اختلفت الفاظ رواته »^(٢).

وعن ابن عباس عن أنس رضي الله عنها قال : « لما عُرِجَ بالنبي صلی الله علیه وسلم إلى السماء . قال : أتيت على نهر حافته ثياب اللؤلؤ مجوفاً فقلت ما هذا يا جبرائيل ؟ قال هذا الكوثر »^(٣).

وروى لا يظماً من شرب منه أبداً^(٤)

قال الألوسي : « حتى أن أقصر سورة فيه وهي الكوثر » تشير إلى أربعة أخبار عن الغيب »^(٥).

وإذا ما وقنا مع الفعل الماضي في الآية السابقة للحظ أنه جاء بلفظ الماضي « أعطيناك » والمعطي هو الله عز وجل رسوله محمد صلی الله علیه وسلم وهذا الم

١ - البحر المحيط مج ٢١٩/٨ والكشف ٨٠٧/٤

٢ - تفسير الشعابي ٤٤٥/٤ ومعاني القرآن ٢٩٦/٣

٣ - صحيح البخاري ج ٤/٢١٩ كتاب الشعب وتفيد الحازن ٣٠٠/٦

٤ - الكشف ٨٠٧/٤

٥ - روح المعانی ٤٣/١

يحدث إلا يوم القيمة لأن وعد الله حق ولكنه الإعجاز القرآني العظيم المذهل حيث استخدم الماضي للمستقبل .

قال المرحوم سيد قطب : « هذه سورة خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . . يسري عنه ربه فيها ويعده بالخير ويوعد أعداءه بالشر^(١) . »

وقد استخدم القرآن الكريم « الماضي » بمعنى المستقبل في كثير من آياته التي وصف بها الآخرة ومصير الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وإن أصدق كتاب جاء بما سيحدث بعد الحياة هو القرآن الكريم ولتفق مع بعض الآيات الكريمة التي يصف بها القرآن الكريم يوم القيمة ذلك اليوم العظيم الرهيب

ومن ذلك قوله تعالى : « إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت ، وإذا النفوس زوجت ، وإذا المؤودة سلت ، بأي ذنب قلت ، وإذا الصحف نشرت ، وإذا السماء كشطت ، وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ما أحضرت» (التكوير ١ - ١٤) قال الزمخشري : « يروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها »^(٢) قال سيد قطب : « فتحس أن الهول يشمل الأرض والسماء ، والحيوان والإنسان والصغار والكبار ، والجنة والنار وكلها في موقف الهول والانتظار^(٣) وقال في موضع ثان : « هنا مشهد تام لكل معهود وثورة شاملة لكل موجود»^(٤) وقوله تعالى : « فإذا النجوم طمسـت ، وإذا السماء فرجـت ، وإذا الجبال خسـفت ، وإذا الرسل أقتـت ،

١ - في ظلال القرآن ٨/٦٨٢ ط ٧

٢ - الكشاف ٤/٧٠٧

٣ - مشاهد القيمة في القرآن الكريم ص ٤٢

٤ - مشاهد القيمة في القرآن الكريم ص ٥٧

لأي يوم أجلت . ل يوم الفصل وما أدرك ما يوم الفصل) (المرسلات
١٤ - ٨ .

فالزمن في الآيات السابقة جاء في صيغة الماضي وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على الإعجاز القرآني المطلق . أما حول المعنى فقد قال الطبرسي : طمس النجوم « أي محيت آثارها وأذهب نورها وأزيل ضوؤها » إذا الساء فُرِجَتْ « أي شقت وصدعت وصار فيها فروج ، ونقلت الجبال من مكانها والرسل جمعت لوقتها وهو يوم القيمة لتشهد على الأمم » (١) .

وكذلك قوله تعالى : « كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً ، وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى » (الفجر ٢٣ / ٢١)

قال الزمخشري مفسراً موقف الملائكة في تلك الفترة الرهيبة ، ينزل الملائكة كل سماء فيصطوفون صفاً بعد صف محدقين بالجهن والإنس » (٢) وشرح سيد قطب هذا الموقف قال « ذلك نموذج للمقابلة النفسية بين الكافرین والمؤمنین في يوم الروع العظيم » (٣) .

وقوله تعالى : « فإذا جاءت الصالحة ، يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » (عبس ٢٣ - ٢٧)

فالصالحة المراد بها الصيحة التي يكون فيها قيام الخلق من القبور وهي النفحـة الثانية ، وسميت بذلك لأن من شأنها أن تصـبح آذان من يسمعها أي تصـبيـها بالصمـ من شـدـتها » (٤) ..

١ - جمعـ البـيان ١٠ / ٥١٤ ﴿ اللـهـ ٥١٤ / ١٠ ﴾

٢ - الكـشـاف ٤ / ٧٥١

٣ - مشـاهـد الـقيـمة في القرآن الـكـرـيم ص ٦٠

٤ - المـصـحـفـ الـمـبـرـصـ ٧٩١

وقوله تعالى : «إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ وَإِذَا الْبَحَارُ فَجَرَتْ ، وَإِذَا الْقَبُورُ بَعْثَرَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخْرَتْ» (والإِنْفَطَار ١ - ٥) .

يروي الزمخشري عن هذا اليوم العظيم ، انفطرت ، إنشقت «فجرت» فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزح الذي بينهما وصارت البحار بحراً واحداً ، وروى أن الأرض تشف الماء بعد إمتلاء البحار ، فتصير مستوية »^(٣) .

قال سيد قطب : « والهول في هذا المشهد هول نفسي بحيث يفزع النفس ويفصلها عن محيطها ويستبد بها إستبداً فكل نفس و شأنه »^(٤) .

وقوله تعالى : «إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ زَلَّا هَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَا ، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَا» (الزلزلة ١ - ٣) .

الأيات الكريمة السابقة تتحدث عن القيامة وحالة القوم حينذاك . وقد استخدم التعبير القرآني الفعل الماضي وهذا يمثل قمة الإعجاز قال الزمخشري مفسراً للزلزال : « قال هو الزلزال الشديد الذي ليس بعده »^(٥) وقال سيد قطب : « إنها هزة عنيفة للقلوب الغافلة . . . إنه يوم القيمة حيث ترتفع الأرض الثابتة إرتجاجاً وتزلزل زلزاً وتتنفس ما في جوفها »^(٦) .

وقوله تعالى : «فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الظَّمَرُ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِنَ الْمُفْسَرُ ، كَلَا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِنَ الْمُسْتَقْرَ» (القيمة ٧ - ١١) .

١ - الكشاف ٤/٧١٤

٢ - مشاهد القيمة في القرآن الكريم ص ٦٢

٣ - الكشاف ٤/٧٨٣

٤ - في ظلال القرآن ٨/٦٣٩ ط ٧

قال الطبرسي : « فإذا بَرَقَ الْبَصْرُ » أي : شخص البصر عند معاينة ملوك الموت فلا يطرف من شدة الفزع . وقيل إذا فزع وتحير لما يرى من أحوال القيمة وأحوالها مما كان يكذب به في الدنيا »^(١)

روى الشعالي : « قال وجع بين الشمس والقمر وانختلف في معنى الجمع بينهما »^(٢) فقال عطاء يجمعان فيفترقان في الناس وقيل في البحر تبصر نار الله العظمى » وقبل أن ينتهي بنا المطاف حول الماضي القرآني الذي لم يحدث نحب أن نشير إلى أن كثيراً من الأفعال القرآنية التي جاءت في وصف القيمة - ذلك اليوم الرهيب بعضها قد سبقت بكلمة « إذا » الظرفية الدالة على الزمن المستقبل عند معظم النحاة قال ابن هشام في تعريف إذا : « فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل »^(٣) وهذا الأمر صحيح عند إسنادنا فإذا الظرفية فتقول : « إذا درست نجحت وإذا عزتم على السفر فسافر وهلم جرا

ولكن المدة الزمنية في الإسناد الوضعي مدة محددة تنتهي بانتهاء حدوث الفعل ولكنها في القرآن الكريم ليست محددة بزمن فالقيمة أمر غيبي سوف يحدث ولن نعلم لأنه سر من أسرار الخالق العظيم ، ولذلك يرد الزمن في الإستخدام القرآني للإعجاز لأن « إذا والفعل » معاً يشيران إلى مستقبل غير محدود بزمن وهنا قمة في الإعجاز الزمني أنّى للإسناد الوضعي أن يصل إلى ذلك .

ثالثاً : أفعال قاس عليها النحو :

جاءت كان بمعناها الحقيقي وهو « الزمن الماضي » في الإستخدام القرآني

١ - مجمع البيان ٣٩٥ / ١٠

٢ - تفسير الشعالي ٤ / ٣٦٦ وانظر رأي الفراء معاني القرآن ٣ / ٢٠٩

٣ - معنى الليب ١ / ٩٧ ونحوه شرح الواقية نظم الكافية ص ٤١٤ والجني الداني ص ٦١ والصاحبى ص ١٣٩ وما بعدها وشرح المقدمة المحسبة ١ / ٢٤٦ والمقرب ١ / ٢٧٤ والجملة الشرطية عند العرب ص ١٧٩ وما بعدها .

ولكنها لا تخلو من الإعجاز النظمي والغبيي ومن ذلك قوله تعالى : « فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسُ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » (البقرة ٣٤) .

وقوله تعالى: « مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا » ولكن كان حنيفاً مسلماً
وما كان من المشركين (آل عمران ٦٧)

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَّاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (٩٣)
آل عمران .

﴿ وَنَادَى نُوحَ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزُلٍ يَا بْنَى ارْكَبْ مَعْنَاهُ ﴾ (التوبة ٤٢)
﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصَّابًا ﴾ (الكهف ٧٩)
﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرًا سُوءٌ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ (مريم ٤١) .

قال تعالى : « وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ » (الأنبياء ٥١) .

قال الفراء : « هَدَاهُ إِذْ كَانَ فِي السُّرْبِ » ^(١) حتى بلغه الله ما بلغه ^(٢) .

وقوله تعالى : « فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا إِمْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ » (الأعراف

(٨٣)

وقوله تعالى : « أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمُسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ » (الكهف
(٧٩) .

عندما نقف مع الأفعال السابقة نلحظ أنها فعلاً قد حدثت في الماضي وهي
الأفعال التي قاس عليها النهاة ولا تخلو الآيات السابقة من الإعجاز الغبيي
والبلاغي والنظمي لأن القرآن الكريم كله معجز .

قال ابن حزم : « إِنَّ الْقُرْآنَ مَعْجِزٌ قَدْ أَعْجَزَ اللَّهَ عَنِ مِثْلِ نَظَمِهِ جَمِيعُ الْعَرَبِ »

١ - بيت في الأرض لا منفذ له والمراد المغارة التي ولدته أمه فيها خوفاً من التمرد وكان يذبح الأنبياء
معاني القرآن ٢٠٦ / ٢ هامش

٢ - معاني القرآن ٢٠٦ / ٢

وغيرهم من الأئس والجن ^(١).

ومن الأفعال التي حدثت في الماضي قوله تعالى : « فضربنا على آذانهم في الكهف سنتين عدداً » .

الزمن فيه عادي أي أن الفعل ماضي وفعلاً قد تم الحدث ولكن إعجاز تركيبي مذهل .

قال ابن قتيبة : « إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول إليه فهو قلت : أَغْنَاهُمْ سِنِينَ عَدْدًا ، لَكُنْتَ مُتَرْجِمًا لِلْمَعْنَى دُونَ الْلَّفْظِ »

وهكذا نلحظ في الآية الكريمة السابقة أن الخطاب موجه لمحمد صلى الله عليه وسلم وتمثل الظاهرة الزمنية التي سار عليها النهاة في تقسيم للأفعال .

ومن ذلك قوله تعالى : « إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِي رَأَيْتَ أَحَدَ عَشْرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » (يوسف ٢٤) وعندما نقف مع الآية الكريمة نلحظ أنها تحتوي على إعجاز نظمي وبلاغي وإعجاز غيبي إذ يحدثنا القرآن الكريم عن نبي يوسف وأبيه وإخوته إذ كان ليعقوب إثنا عشر ولداً ستة من ليابت ليان ، وأربعة من سريتين وإثنان من راحيل بنت ليان ، وكان قد تزوجها بعد وفاة أختها فولدت له بنيامين ويوسف ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكْلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَا صَادِقِينَ وَجَاءُوكُمْ عَلَى قَمِصِهِ بَدْ كَذْبٍ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَيْلَ وَاللهُ الْمُسْتَعْنَى عَلَى مَا تَصْفُونَ﴾ (يوسف ١٨ - ١٧)

والحقيقة نلحظ أن الإعجاز القرآني لم يكن وقفاً على سورة دون الأخرى

١ - كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٥ / ٣

٢ - النظم الفني في القرآن ص ١٥٠ بتصريف

أو آية دون الأخرى بل كله معجز قال السيوطي : « فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة »^(١).

جاء في روح المعاني : « والمشهور عند الجمهور الإقتصار على بلاغته وفصاحته حيث بلغت الرتبة العليا والغاية القصوى التي لم تكن تخفي على أهل هذا الشأن حتى النساء ، كما يحکى أن الأصممي وقف متعجبًا من إمرأة تنشد شعراً فقالت : أتعجب من هذا أين أنت من قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجعلوه من المرسلين » .

فقد جمع بين أمرین ونهیین وبشارتين أي مع ما فيه يدرك بالذوق »^(٢).

والخلاصة : نلحظ على ضوء ما قدمنا في هذه الدراسة أن الزمن في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين :

الأول :

أفعال خالدة أبدية معجزة باقية ومنها ما هو مستمر ومنها ما سيحدث في اللحد ومنها ما سيحدث يوم البعث معجزة أنى للإسناد الوضعي الوصول إليها وقسم ثان وهي أفعال عادية كما قسمها النحاة العرب تحتوي على الأزمنة الثلاثة - الماضي والمضارع والأمر - وجاء إعجازها فيما أخبرت عن الغيبيات ونزلت على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، نقص عليه قصص الأمم السابقة ، والغيبيات . وترسخ القاعدة الإسلامية بما تحتويه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، شاملة لرسم حياة فاضلة شريفة خططها لنا الخالق العظيم . وقد أخرجت العالم كافة من الظلمات إلى النور والهدایة ناشرة تعاليم الإسلام الخالدة .

روى السيوطي قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون

١- الإتقان في علوم القرآن ١/٨٧ .

٢- روح المعاني ١/٤٣ .

فتن قيل : « وما المخرج منها قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » أخرجه الترمذى وغيره ^(١) وللحظ ذلك واضحاً جلياً إذ قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (الأنعام ٣٨) قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » (النحل ٨٩) وعن ابن مسعود « من أراد العلم فعليه بالقرآن » ^(٢)

أجل إنه العلم الحقيقى الباعث على الحق والهدایة .

١ - معرك الإقران ١ / ١٤
٢ - معرك الإقران ١ / ١٤ .

البَابُ الثَّالِثُ

الفَرَاجُ الْقَرَانِيَّةُ

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

مَوْقِفُ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ مِنَ الْفَوَاتِحِ

يمجدر بنا قبل أن نتحدث عن ظاهرة الإعجاز النحوي في فواتح السور القرانية أن نقف مع آراء علماء التفسير حول هذا الموضوع : وعندما نقف مع هذه الفواتح المقدسة نلحظ أنها قد جاءت في تسع وعشرين سورة من قرآننا الكريم . وقد جاءت هذه الفواتح بصور مختلفة من حيث التركيب وإليك تفصيلاً لذلك .

- ١ - فواتح تبدأ بحرف واحد وعددتها ثلاثة سورٍ « ص » و« ق » و« ن » .
- ٢ - فواتح تبدأ بحروفين وعددتها : عشر سور سبع تبدأ بـ « حم » وهي : غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الإحقاق ، وتبدأ الباقية بـ « طه » والثانية « طس » والثالثة « يس » .
- ٣ - فواتح تبدأ بثلاثة أحرف جاءت في ثلاث عشرة سورة ست منها تبدأ بـ « آلم - وهي البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، والسجدة وخمس سور تبدأ « أللر » وهي يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، والحجر وسورتان تبدآن بـ « طسم » وهما الشعرا و القصص
- ٤ - فواتح تبدأ بأربعة أحرف وهي سورتان سورة الأعراف وتبدأ « المص » والثانية سورة الرعد وتبدأ « المر » .

٥ - سورة واحدة تبدأ بخمسة أحرف وهي سورة مريم « كهيعص »

أما ترتيبها من حيث النزول مكياً أم مدنياً فجاء كما يلي : « والسور المكية المستهلة بالفowاتح ، هي على المشهور في ترتيب النزول : القلم (ن) ، ق ، ص ، الأعراف (المص) يس ، مريم (كهيعص) طه ، الشعراء (طسم) النمل (طس) القصص (طسم) يونس وهود ويوسف والحجر و « الر » ، لقمان و « الم » ، غافر وفصلت (حم) الشورى (حم عسق) الزخرف والدخان والجاثية والاحقاق (حم) إبراهيم (الر) السجدة والروم والعنكبوت (آل) (آل) ».

والسور المدنية هي : « البقرة وأآل عمران (الم) ، والرعد (المر) وقد تنبأ السلف إلى أن مجموع هذه الحروف ، بغير المكرر منها أربعة عشر حرفاً ، هي نصف الحروف العربية^(١) ».

أما موقف علماء التفسير من فواتح السور القرآنية الكريمة فقد نلحظ أن أقوالهم جاءت على قسمين ، الأول : يرى أنها سر من أسرار الله عز وجل والثاني يرى أن لها معانٍ يجب أن يشار إليها^(٢) .

القسم الأول : أن هذه الفواتح سرٌ من أسرار الله عز وجل ومعجزة من
عنه ..

نقل علماء التفسير أن هذه الفواتح سر من أسرار القرآن ومعجزة من الله
فهذا نظام الدين النيسابوري يقول : « حول فاتحة سورة البقرة » « آل »
والفواتح عامة : إنَّ هذا علم مستور وسر محجوب استثير الله به والتحاطب
بالحروف المفردة سنة الأحباب في سنن المحاب فهي من الحبيب مع الحبيب بحيث
لا يطلع عليها الرقيب .

١ - الإعجاز البياني ص ١٢٧ وينظر الإتقان ٤ / ١٤ وما بعدها ومحاجت في علوم القرآن ص ٢٣٤

٢ - معترك الإقران ١ / ١٥٦ وتفسير الثعالبي ١ / ٣٠

عن أبي بكر في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور ، وعن علي كرم الله وجهه ، إنَّ لكل كتاب صفة ، وصفة هذا الكتاب حروف التهجي^(١) . وقال القرطبي : « هي سر الله في القرآن والله في كل كتاب سر فهي من المشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها ولكن نؤمن بها ، ونقرأ كما جاءت وروى هذا القول عن أبي بكر الصديق وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنها » .

ومن عمر رضي الله عنه وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا « الحروف المقطعة من المكتوب الذي لا يفسر »^(٢) .

قال الشيخ عبد الله الحنفي : « إن الراسخين تكلموا في شأن المقطعات في فواتح سور الكريمة ، فقال الأكثر من الفرقة الأولى هي من المشابهات التي حكمها التوقف فنحن نؤمن بظواهرها من غير معرفة حقيقة المراد »^(٣) .

وابع القرطبي روايته قال ، وقال أبو حاتم : « لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور ، ولا ندري ما أراد الله جَلَّ وَعَزَّ بها » .

قلت : « ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر الأنباري : حدثنا الحسن بن الحباب حدثنا أبو بكر بن أبي طالب حدثنا . أبو المنذر الواسطي عن مالك بن مغول عن سعيد بن مسروق عن الربيع بن خثيم قال : إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء ، وأطلعكم على ما شاء ، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنايليه فلا تسألوه عنه ، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنده وتخبرون به ، وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعملون ، قال أبو

١ - غرائب القرآن / ١٣٤ ، وتفسير القرطبي / ١٥٤ ومعترك الإقران / ١٥٥ والتسهيل / ١٣٥ .
٢ - تفسير القرطبي / ١٥٤ ونحوه تفسير النعاني / ١٣٠ والطبرى / ٢٧٠ وتفصير ابن كثير / ٦٤١ والتفصير الكبير للرازي ج / ١ ص ٢ وج ٢٧ / ٢٥٦ . وجمع البيان / ٦٨ وفتح البيان في مقاصد القرآن / ٥٣ وما بعدها .

٣ - رسالة في الحروف المقطعة ورقة ٢ مخطوطة جامعة الكويت رقم ٢٨٨ لـ م .

بكر : فهذا يوضح أن حروفًا من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم ، اختباراً من الله عز وجل ، وامتحاناً ، فمن آمن بها أثيب وسعد ، ومن كفر وشك أثم . وبعد ، حدثنا أبو يوسف بن يعقوب القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن عمارة عن حرثة بن ظهير عن عبد الله قال : ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغير ثم فرأ « الذين يؤمّنون بالغيب »^(١) .

ونقل نظام الدين النيسابوري حول سر هذه الحروف قال : « أحدهما : أن هذا علم مستور وسر محظوظ استأثر الله به ، والتحاطب بالحروف المفردة سنة الأحباب في سنن المحاب ، فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب ، شعر :

بَيْنَ الْمُحِينِ سِرٌ لَّيْسَ يُفْشِيهِ قَوْلٌ وَلَا قَلْمَ لِلخُلُقِ يُحْكِي
عن أبي بكر : في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور .

وعن علي كرم الله وجهه : إن لكل كتاب صفة ، وصفة هذا الكتاب حروف التهجي ، وقال بعض العارفين : العلم كبحر أجرى منه واد ، ثم أجرى من الوادي نهر ، ثم أجرى من النهر جدول ، ثم أجرى من الجدول ساقية فالوادي لا يتحمل البحر ، والنهر لا يتحمل الوادي ، وهذا قال عز من قائل « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها »، فبحور العلم عند الله تعالى ، فأعطي الرسل منها أودية ، ثم أعطي الرسل من أوديتيهم أنهاراً إلى العلماء ثم أعطي العلماء إلى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم ، ثم أجرت العامة سوافي إلى أهاليهم بقدر طاقتهم ، وهذا مأخذ ما ورد في الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللأنبياء سر وللملائكة سر ، والله من بعد ذلك كله سر ، فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوه ، ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ، ولو اطلع الخلفاء

على سر الأنبياء خالفوهم ، ولو اطلع الأنبياء على سر الملائكة لا تهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائزين وبادروا بائدين » ، والسبب في ذلك ، أن العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش .

وسئل الشعبي عن سر هذه الحروف ، فقال : « سُرُّ اللَّهِ فَلَا تَطْلُبُوهُ . وعن ابن عباس أنه قال : « عجزت العلماء عن إدراكتها ، وقيل هو من المتشابه وزيف هذا القول بنحو قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ - تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ - هدى للمتقين ﴿وَإِنَّمَا يَكُنُ التَّدْبِيرُ وَيَكُونُ تَبَيَّنًا وَهَذِهِ إِذَا كَانَ مَفْهُومًا﴾ ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي تَرَكْتُ فِيمْكَمْ مَا إِنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوْا : كِتَابُ اللَّهِ وَسْتَيْنِ » فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم ؛ وأيضاً لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعامجي ولا يجوز التحدى بما لا يكون معلوماً ، وعورض بقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) .

قال الشيخ عبد الله الحفنى : « مُرْقَتُ الفواتح على السور لأن فيها عادة التحدى وتكرير التبني لمذكور والبالغة فيه وحاصل المعنى هذا المتحدي به من جنس هذه الحروف »^(٢) .

١ - غرائب القرآن / ١٣٤
٢ - رسالة في معاني الحروف مخطوطة ورقه ٤

الفَصْلُ الثَّانِي

مَعَانِي الْفَوَاتِحِ الْقَرَآنِيَّةِ

روى طائفة من علماء التفسير أن لفواتح القرآنية معانٍ وينبغي معرفتها وقبل أن نبين رأينا في هذا الشأن نحب أن نعرض بشيء من الإيجاز تلك الأراء . روى عن ابن العربي أن معانٍ الفواتح فيها ذكره العلماء أكثر من عشرين قولًا وأزيد ^(١) .

أما الشاعبي فيرى أن معانٍ الفواتح أقل من العدد السابق إذ يقول : « واحتلقو في ذلك . يزيد عدد المعاني - على اثنى عشر قولًا وقال حول تفسيرها : « وقال الجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، بل يجب أن يتكلم فيها وتلقى الفوائد التي تحتها ، والمعانٍ التي ستخرج عليها » ^(٢) ونود أن نبين بعض الآراء التي ذكرت العلة في ذلك وإليك أشهرها .

روى السيوطي : « قال أهلُ البيان من البلاغة حسن الإبتداء وهو أن يتألق في أول الكلام لأنَّه أول ما يقرع السمع » ^(٣) .

وقال القاضي عبد الجبار شارحاً معانٍ الفواتح : « فاما قوله عز وجل في فواتح السور وذلك مثل : « المص » و« ألم » إلى ما شاكله فليس من المشابه وقد أراد عز وجل به ما إذا علمه المكلف كان صلاحاً له » ^(٤) .

١ - معرك الإقران / ١٥٥

٢ - تفسير الشاعبي / ٣٠

٣ - الإنchan / ٢٠٦

٤ - مشابه القرآن / ١٦

وقال ، في موضع ثان : « والغرض أن نبين أنه ليس في القرآن ما يخرج عن
أن يقع به فائدة فلا وجه لنقص الأقوايل في ذلك »^(١) .

وقال : « وقد قيل في ذلك أنه عز وجل أراد بهذه الحروف المقطعة أن يبين
أن كتابة المنزل مركب من هذه الحروف وأنه ليس بخارج عن هذا الجنس
المعقول ، وأنه مع ذلك قد اختص من الفصاحة بما عجز الخلق عنه وذلك يبين
قوة إعجازه ويبطل قول من يظن أن كلامه عز وجل خالف لكلامنا وقال معيقاً
على قوله تعالى : « آلِرِكَتَابٍ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ (هود ١) أريد به أنه تعالى أحكمه
في باب الإعجاز والدلالة على وجه لا يلحقه خلل »^(٢) .

وإليك عرضاً لآراء العلماء في معاني الحروف المقطعة في قرآننا الكريم
نحب أن نشير إليها بشيء من الإيجاز ويمكتنا أن نجملها كما يلي :

أولاً : اسم الله الأعظم

ذكر أصحاب التفسير أن الفواتح في القرآن الكريم هي من أسماء الله
تعالى : قال القرطبي : « روى عن ابن عباس وعلي أيضاً أن الحروف المقطعة في
القرآن اسم الله الأعظم ، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها »^(٣) وروى أنها أسماء الله
تعالى . روى عن علي عليه السلام أنه كان يقول : « يا كهيعص يا حَمَ عَسَقَ »
ويقرب منه ما روى عن سعيد بن جبير : أنها أبعاض أسماء الله تعالى ، فإن
(الر ، حم ، ن) مجموعها اسم الرحمن ، لكننا لا نقدر على كيفية تركيبها في
الجميع . وقيل : كل واحد من الحروف دال على اسم من أسماء الله تعالى أو

١ - متشابه القرآن ١٧ / ١

٢ - متشابه القرآن ٢١ / ١

٣ - تفسير القرطبي ١ / ١٥٥ والتسهيل ١ / ٣٥ وتفسير الطبرى ١ / ٢٠٧ وجمع البيان ١ / ٦٨

صفة من صفاته . فالآلف إشارة إلى أنه أحد ، أول آخر أزلي أبدي ، واللام إشارة إلى أنه لطيف ، والميم إلى أنه مجيد ملك منان ، وفي « كهيعص » الكاف كاف لعبادة ، والهاء هاء ، والياء من الحكيم ، والعين ، عالم ، والصاد ، صادق أو الكاف محمول على الكبير والكريم والياء على أنه مجيد ، والعين على العزيز والعدل . ويرى هذا عن ابن عباس .

وعنه أيضاً في (آلم) أنا الله أعلم ، وفي (المص) أنا الله أعلم وأفضل وفي (المر) أنا الله أرى ، الخامس : أنها صفات الأفعال ، الآلف من آلوه ، واللام من جبرائيل ، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم : أي أنزل الله الكتاب بواسطة جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم ^(١) .

قال الفراء : « وقد قيل في كهيعص إنه مفسر لأسماء الله ، فُصلَّ ، الكاف من كريم والهاء من هاء والعين والباء من عليم ، والصاد من صدوق . فإن يكن كذلك « فالذكر » مرفوع بضمير لا بكهيعص ، وقد قيل في طه « إنه يا رجل فإن يك كذلك فليس يحتاج إلى مراجع لأنَّ المنادي يرفع بالنداء وكذلك (يس) . جاء فيها يا إنسان وبعضاًهم يا رجل والتفسير فيها كالتفسير في طه ^(٢) .

وقال الطبرسي : « إنها أسماء الله تعالى منقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا إسم الله نقول : آسر ، وحسم ، و« ن » فيكون الرحمن وكذلك سائرها ^(٣) .

١ - غرائب القرآن / ١٣٥ ورسالة في الحروف المقطعة ورقة ٣ وتفسير الشاعبي ١/٣٠ وتفسير البيضاوي ص ٦ والمحرر الوجيز ١/١٣٨ .

٢ - معاني القرآن / ٣٧٠ ورسالة في الحروف المقطعة ورقة ٣ ونجمي البayan ١/٦٩ ونحوه تفسير البيضاوي ص ٦ وتفسير الشاعبي ١/٣ .

٣ - نجمي البayan ١/٦٩ وتفسير البيضاوي ص ٥

وقال أبو السعود : « إنها أسماء الله تعالى كل حرف منها يشير إلى اسم من أسماء الله تعالى ، وقيل إنها صفات الأفعال : الألف الآفة واليم مجده وملكه »^(١).

حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال : حدثنا شعبة قال : سألت السُّدِّي عن « حَمْ » و« طَسْمَ » و« أَلْمَ » فقال : قال ابن عباس : هي اسم الله الأعظم^(٢).

ثانياً : إشارة إلى حروف الهجاء .

وقال قطرب والفراء وغيرهما : « هي إشارة إلى حروف الهجاء ، أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مختلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم . ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم ، إذ لم يخرج عن كلامهم . قال قطرب : كانوا ينفرون عند إستماع القرآن فلما سمعوا « أَلْمَ » و« المَصَ » يستنكروا هذا اللفظ ، فلما أنصتوا له صلى الله عليه وسلم أقبل عليهم بالقرآن المختلف ليثبته في أسمائهم وأذانهم ويقيم الحجة عليهم ، وقال قوم : روى أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة وقالوا : « لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه » نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسمائهم فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة^(٣).

أما صاحب البحر المحيط أبو حيان فقال : « أسماء مدلولها حروف المعجم نطق بها نطق حروف المعجم وهي موقوفة الآخر لا يقال إنها معربة لأنها لم يدخل

١ - تفسير السعود ١/١٦

٢ - تفسير الطبرى ١/٢٠٦

٣ - تفسير القرطبي ١/٥٥٥ وتفسير البيضاوى ص ٦

عليها عامل فتعرب ، ولا يقال إنها مبنية لعدم سبب البناء لكن أسماء حروف المعجم قابلة لتركيب العوامل عليها فتعرب : فتقول هذه ألف حسنة ويدو أنه غير رأيه فجاء في هامش المحيط قال : « حروف التهجي هذه التي في أوائل السور اختلف الناس في المراد بها اختلافاً كثيراً ولم يقم دليل على تعين شيء مما ذكره والذى اختاره هو ما ذهب إليه الشعبي والثوري وجماعة من المحدثين قالوا : « هي سر الله في القرآن وهي من المشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه »^(١) .

ومن المحدثين فقد ذهب سيد قطب مذهب القدماء في تفسير الفواتح قال : « وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة نختار منها وجأ إنها إشارة إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف ، وهي في متناول المخاطبين به من العرب ولكنها مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز الذي لا يمكن أن يضعوا من تلك الحروف مثله »^(٢) .

ولم يغير رأيه في آل عمران قال : « نختار في تفسيرها على سبيل الترجيح لا الجزم ما اخترنا في مثلها في أول سورة البقرة »^(٣) .

ثالثاً : عدد بقاء الإسلام

قال الطبرسي في هذا الشأن : « إن المراد بها مدة بقاء هذه الأمة عن مقاتل بن سليمان ، قال مقاتل : « حسبنا هذه الحروف التي في أوائل السور بإسقاط المكرر فبلغت سبع مائة وأربعين سنة ، وهي بقية مدة هذه الأمة ، قال علي بن فضال المجاشعي النحوي : « وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل بلغت

١ - البحر المحيط ٣٢ / ١ وتفسير ابن السعود ١٥ / ١ والمحرر الوجيز ١٣٩ / ١

٢ - في ظلال القرآن ١ / ٣٨

٣ - في ظلال القرآن ١ / ٥٣٥ بتصرف

٤ - كتاب التسهيل في علوم التنزيل ١ / ٣٥

ثلاثة آلاف وخمساً وستين ، فحذفت المكررات فبقي ستة وثلاثة وتسعون ، والله أعلم بما فيها ، وأقول قد حسبتها أنا أيضاً فوجدتها كذلك ، ويروى أن اليهود لَمْ سمعوا ، آلم ، قالوا مدة ملك محمد صلى الله عليه وآله قصيرة إنما تبلغ إحدى وسبعين سنة ، فلما نزلت « الر » ، المر والمص وكهيعص ، اتسع عليهم الأمر هذه أقوال أهل التفسير^(١) .

وفي رواية للطبراني قال : مرأ أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة « آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه » فأتى أخاه حُيَّ بن أخطب من اليهود فقال : تعلمون والله لقد سمعت محمدأ يتلو فيها أنزل الله عز وجل عليه (آلم ذلك الكتاب) فقالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم ! قال : فمشي حُيَّ بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمدأ ، آلم تذكر لنا أنك تتلو فيها أنزل عليك (آلم ذلك الكتاب) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ! فقالوا : أ جاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ قال : نعم قالوا : لقد بعث الله جَلَّ ثناهه قبلك أنبياء ، ما نعلمه بَيْنَ لَبَيْنَ منهم ، ما مُدَّه ملكه وما أَكْلَه أَمْتَه غَيْرُك ! فقال : حُيَّ بن أخطب ، وأقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، وأليم أربعون وهذه إحدى وسبعون سنة » أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ قال : ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد : هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم قال : ماذا قال : (المص) قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون وأليم أربعون والصاد تسعون ، فهذه مئة وإحدى وستون سنة هل مع هذا يا محمد غيره ، قال : نعم ، قال : ماذا ؟ قال : (ألم) قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون والراء مثثان » فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة ، فقال :

هل مع هذا غيره يا محمد؟ قال نعم ، (المر) قال : فهذه والله أتفعل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مثتان وهذه إحدى وسبعون ومائة سنة ، ثم قال لقد لَبِسَ عَلَيْنَا أُمُرُكَ يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلًا أعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه . فقال أبو ياسر لأخيه حُبَيْرَةَ بْنَ أَحْطَبَ ولمن مَعَهُ من الأخبار ، ما يُدْرِيكُمْ لِعْلَهُ قَدْ جَعَّ هَذَا كَلْمَةً لِمُحَمَّدٍ إِحْدَى وسبعين ، وإحدى وستون ومائة ، ومائتان وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعين ، فذلك سبعين سنة وأربع وثلاثون ! فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ، ويزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ألم الكتاب وأخر متشابهات » (آل عمران ٧) قالوا فقد صرخ هذا الخبر بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل ، وفساد ما قاله خالفونا فيه^(١) .

وحاول أحد المحدثين أن يشير إلى هذه القضية إذ زعم أن يوم القيمة سيكون بتاريخ ١٧١٠ هجرية الموافق ٢٢٨٠ ميلادية وإليك خلصاً لحسابه معتمداً في ذلك على الروايات السابقة حيث بدأ حديثه بالسؤال الآتي ما هي القيمة العددية للسبعين الثاني ؟

إن هذه القيمة العددية تساوي عمر الدين الإسلامي . . . أي عدد السنوات التي حددتها الخالق سبحانه منبعثة محمد عليه السلام حتى نهاية العالم في ما يلي قائمة « السبع الثاني » وقيمتها العددية :

$$\begin{aligned}
 (1) \text{ ق} = ١٠٠ , (2) \text{ ن} = ٥٠ , (3) \text{ ص} = ٩٠ , (4) \text{ حم} = ٨ \\
 + ٤٨ = ٤٨ , (5) \text{ يس} = ١٠ + ٦٠ = ٧٠ , (6) \text{ طه} = ٥ + ٩ = ١٤ , (7) \\
 \text{ طس} = ٦٠ + ٩ = ٦٩ , (8) \text{ آلـم} + ١ + ٣٠ + ٤٠ = ٧١ , (9) \text{ آلـر} = ١
 \end{aligned}$$

١ - تفسير الطبرى / ٢٧ ، ٢٨ وتفسير البيضاوى ص ٦ ، ص ٧ وتفسير الثعال比 / ٣٠ ، قال الثعالبي وإليه مال السهيلى في الروض الأنف .

$$\begin{aligned}
 &= ٢٣١ + ٢٠٠ + ٣٠ \\
 &= ٤٠ + ٦٠ + ٩ = ١٠٩ ، (١١) طسم \\
 &، (١٢) المص = ١٠٠ + ٦٠ + ٧٠ \\
 &= ٩٠ + ٤٠ + ٣٠ + ١ \\
 &+ ٥ + ٢٠ = ٢٧١ = ٢٠٠ + ٤٠ + ٣٠ ، (١٤) كهيعص \\
 &+ ٦٩ + ١٤ + ٧٠ + ٤٨ + ٩٠ + ٥٠ + ١٠٠ = ١٩٥ = ٩٠ + ٧٠ + ١٠ \\
 &+ ٢٣١ + ١٠٩ + ٢٧١ + ١٦١ + ٢٣٠ + ١٩٥ + ٧١ = (١٧٠٩)
 \end{aligned}$$

إذن عمر الرسالة المحمدية كما حدده القرآن الكريم هو ١٧٠٩ سنوات
قمرية نظراً لأن سنوات القرآن دائمة قمرية (سورة التوبة ٣٦)^(١)

رابعاً : حروف دالة على أسماء :

روى القرطبي قال جماعة : هي حروف دالة على أسماء أخذت منها
وتحذف بقيتها ، كقول ابن عباس وغيره : الألف من الله ، واللام من جبريل ،
واليم من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل : الألف مفتاح إسم الله ، واللام
مفتاح إسمه لطيف ، واليم مفتاح إسمه مجید . وروى ابن الصحى عن ابن
عباس في قوله : « الم » قال : أنا الله أعلم ، « أللر » أنا الله أرى ، « المص » أنا
الله أفصل ، فالالف تؤدي عن معنى أنا ، واللام تؤدي عن اسم الله ، واليم تؤدي
عن معنى أعلم واختار هذا القول الزجاج وقال : أذهب إلى أن كل حرف منها
يؤدي عن معنى وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة نظماً لها ، ووضعوا بدل
الكلمات التي الحروف منها ، كقوله : **﴿فَقُلْتَ لَهَا قَفِي فَقَالَتْ قَاف﴾** أراد :
قالت : وقفت ، وقال زهير :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرَّا فَأَ وَلَا أَرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْ

١ - مقال بجريدة القبس التي تصدر بالكويت عدد رقم ٣٤٩٠ بتاريخ ١٩/١/٨٢ بقلم د . رشاد
خليفة واعتمد في ذلك بأن كل حرف من الفوائح له عدد من السنين وذلك مع حذف الحروف
المكررة .

أراد : وإن شرًا فشر . وأراد : إلا أن تشاء^(١) .

وروى أنها أسماء ، وهو قول أكثر المتكلمين ، واختاره الخليل وسيبوه كما سموا بلام والد حارثة ابن لام الطائي ، وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين ، وللجلب قاف ، وللحوت نون ، وسيعود تمام الكلام في هذا القول «^(٢) » .

وقال الزمخشري : « قيل إنها أسماء ، كما يقال : واحد ، إثنان ، ثلاثة ... الخ

وقال : ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها «^(٣) » .

وقيل هي أسماء للسور وأسماء القرآن ، كالفرقان والذكر «^(٤) » .

خامسًا : بعض المعاني الخاصة :

نلحظ أن العلماء قد ذكروا مجموعة من المعاني الخاصة قال أبو علي الطبرسي : « أنها أقسام الله تعالى بها وهي من أسمائه » «^(٥) » .

وقيل هي أسماء للسور القرآنية أو أسماء للقرآن عن قتادة^(٦) قال الزمخشري : « إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح مخلوف بها^(٧) ونقل الطبرى ذلك قال : « وقال بعضهم : هو قسم أقسام الله به ، وهو من أسمائه . ذكر من قال

١ - تفسير القرطبي ١/١٥٥

٢ - غرائب القرآن ١/١٣٥

٣ - الكشاف ١/١٩ - ٢١ بتصريف

٤ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/١٣٨ وتفسير الطبرى ١/٢٠٦

٥ - مجمع البيان ١/٦٩ والمحرر الوجيز ١/١٣٨ وكتاب التسهيل ١/١٣٥ والكشاف ١/٣٥

٦ - كتاب التسهيل لابن الكلبى ١/٦٩ وتفسير القرآن لشبرص ٤ وجمع البيان ١/٦٩ وتفسير الطبرى

٢٠٦/١

٧ - الكشاف ١/٢٩

ذلك : « حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : هو قَسْمٌ أَقْسَمُ اللَّهِ بِهِ وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ » .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ قال : حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال : « أَلْمَ » قسم ^(١) .

قال الفراء : « يقال أَنَّهَا أُوحِيَتْ إِلَى كُلِّ بَنِي كَمَّا أُوحِيَتْ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » ^(٢) .

وقال في موضع ثان بأنها حروف للقسم : حول قوله تعالى : « قَ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ » .

قال الفراء : « فيها المعنى الذي أقسام به ذكر أنها قضى والله كما قيل في حُمًّ : قضى والله ن ، وحُمًّ والله أي قضى ، وقيل إن قاف جل محيط بالأرض فإن يكن كذلك فكأنه في موضع رفع أي هو قاف والله ^(٣) وذهب بعض العلماء المحدثين إلى ذلك .

وقال في قوله تعالى : « الر - تلك آيات الكتاب الحكيم » فأقسام بهذه الحروف أن ما أنزله هو آيات الكتاب الحكيم ^(٤) وذكر السيوطي كثيراً من المعاني لفوائح الحروف ^(٥) .

١ - تفسير الطبرى / ١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢ - معانى القرآن / ٣ ، ٢١

٣ - معانى القرآن / ٣ ، ٧٥

٤ - النظم الفنى في القرآن ص ١٣٧

٥ - انظر الإتقان ج ٢ / ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، وص ١٧ والنظر مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٤ وما بعدها .

قبل أن نشير إلى رأينا حول هذا الموضوع نحب أن نشير إلى رأي العلماء رأي القاضي ابن العربي خاصة .

قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته : « ومن الباطن عُلم الحروف المقطعة في أوائل السور . فقد تحصل لي فيها عشرون قولًا وأزيد ، ولا أعرف واحداً يحكم فيها بعلم ، ولا يصل فيها إلى فهم » .

والذي أقول إنه لو « أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولًا بينهم لكانوا أول من أنكروا ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل تلا عليهم حم ، فصلت ، وص وغيرها فلم ينكروا ذلك بل صرحو له بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوقهم إلى عشرة ، وحرصهم على زلة فدلّ على أنه كان أمراً معروفاً عندهم لا إنكار فيه »^(١) عندما نقف مع القول السابق نلحظ أن ابن العربي بنى رأيه على إحتمال ظني الواقع أن الذي سحر العرب ليس وقفاً على فواتح السور فحسب بل يشمل الأسلوب القرآني كافةً فمثلاً . لَوْ كَانَتْ « أَلْفُ » « لَامُ » « مُ » منفردة وكهيعص كذلك وحم لا يمكن للعرب البلغاء فهمها أو الأخذ بها غير أنها جاءت كاملة البناء مع ما يتبعها من الآيات هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لو كان العرب على علم بها لأخبرنا الصحابة عنها وإلا كيف نعمل تعدد الأقوال فيها بينما نرى جميع الآيات القرآنية جاءت مُفسرةً واضحة البيان للقاضي والداني . . .

قال السيوطي : « قال الإمام الرازى في سورة البقرة من تفكير في لطائف هذه السورة وفي بدايع ترتيبها على أن القرآن كما أنه معجز يحسب فصاححة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك »^(٢) .

١ - معرك الإقران ١ / ١٥٦

٢ - معرك الإقران ١ / ٥٦

قال ابن تيمية : « يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين الأصحاب معاني القرآن كما بين لهم الفاظه .

فقوله تعالى : « لتبيّن للناس ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » يتناول هذا وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السُّلْمي : « حدثنا الذين يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي صلّى الله عليه وسلم عشر آيات ، لم يجاوزها حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً »^(١) .

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما كان رسول الله عليه السلام يفسر من كتاب الله إلاً آياتٍ يعَدُّ علمَه إِيَاهُنْ جَبْرِيلَ »^(٢) .

وعن الرسول عليه السلام قال : « لا أخافُ على أمتي إلا ثلات خلال : أن يكثُرُ لهم المال فيتحاسبُوا فيقتلُوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذُه المؤمن يتغى تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله .

وأخرج الدراسي عن عمر بن الخطاب - أنه قال : إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوههم بالسُّنْنِ فإن أصحاب السُّنْنِ أعلم بكتاب الله »^(٣) .

وعقب السيوطي على ما سبق « فهذه الآثار تدل على أن المشابه مما لا يعلمه إلا الله وإن الخوض فيه مذموم »^(٤) .

وعندما نقف مع الأقوال السابقة يتضح لنا أن الفواتح القرآنية هي سر من أسرار الخالق عز وجل لا يعلمها إلا وحده وهو علام الغيب .

١ - مقدمة في أصول التفسير ص ٣٥ وما بعدها

٢ - المحرر الوجيز ٤ / ٢٩ وينظر تفسير الطبرى ١ / ١٣١ والبحر المحيط ١ / ١٣١ وتفسير ابن كثير ١ / ١٥

٣ - معرك القرآن ١ / ١٣٩

٤ - معرك القرآن ١ / ١٤١

الفَصْلُ التَّالِثُ

مَوْقِفُ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ مِنَ الْفَوَاتِحِ الْقُرْآنِيَّةِ

ذهب النحاة عندما أرادوا إعراب الفواتح القرآنية إلى مذاهب متباينة والحقيقة أنهم كما يبدوا لقارئ آرائهم - قد تاهوا وعصفت بهم الظنون ولم يصلوا في ذلك إلى حقيقة مرضية أو نتيجة معينة ، وجاءت معظم آرائهم ظنية قامت على الحدس والتخيين تارة والإفتراس تارة أخرى^(١) وإن ذل ذلك على شيء إنما يدل على إعجاز النحاة أمام الفواتح القرآنية الخالدة .

ونود أن نبين أن الإعراب في جوهره ما هو إلا فرع للمعنى لأن الفواتح هي سر من أسرار الله عز وجل جعلها في قرآن العالى وإن الغرض الأساسي من دراسة النحو منذ فجر الإسلام كان هدفه قراءة القرآن قراءةً صحيحةً بعيدة عن اللحن والخطأ وقد تحدث أحد العلماء عن أغراض النحو فقال : للنحو غرضان : أدنى ، وأعلى ..

فالأدنى أن تعرف صواب اللفظ من خطأه ، ونقف عند الصواب وحسنـه ،
ونرجع عن الخطأ وقيمه .

١- ينظر في هذا الشأن : الكتاب ٣٠ / ٢ ، ٣٠ ، ٣١ ، والقتضب ٤ / ٤٠ معاني القرآن ١٤٧ / ٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ١١٩ / ١ وما بعدها ، إعراب القرآن للنحاسي ورقة ١ و٥٠ ، و٥١ ونفسير الطبرى ٢١٦ / ١ وجمع البيان ١ / ٧٧ والتسهيل ١ / ٢٥ ، والكتشاف ١ / ٢٠٩ ، والبحر المحيط وتفسير أبي السعود ١ / ١٤١ .

الغرض الأعلى : هو أن نفهم كلام الله تعالى ومراده - وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوائد ونطلع على شرف هذه اللغة ومعالم بلاغتها ومحاسن فصاحتها ^(١).

وتحدث بعض العلماء عن الإعراب وعلاقته بالمعنى قال : ولا تنظر إلى ظاهر الإعراب وتغفل المعنى الذي يقع عليه الأمر لتكون قد ميزت فيما تحببه أو تبتئل عنه ، صواب الكلام من خطئه فإن صناعة النحو مبنية على تمييز صواب الكلام من خطئه على مذاهب العرب بطريق القياس الصحيح ^(٢).

وقال ابن هشام : « وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعريه مفرداً أو مركباً وهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعمله » ^(٣).

وعندما نقف مع القولين السابقين للحظ أن الإعراب فرع للمعنى ولذلك يجب على المعرب أن يراعي المعنى في إعرابه .

ونحب في هذا الشأن أن نقدم عرضاً لأراء العلماء في إعراب الفواتح القرآنية ، وكيف وقفوا عاجزين متربدين في أحکامهم فمنهم من ذهب إلى أن الفواتح تعرب مبتدأاً وذهب آخرون إلى أنها خبر وغيرهم على أنها مفاعيل لأفعال مخدوفة أو حروف للقسم أو الحكاية وغير ذلك من آراء مضطربة .

ونحب أن نقف مع بعض شيوخهم لنبين آرائهم :

١ - كتاب المقدمة وشرحها لابن باشد خطوط ورقه ٤

٢ - الرماني النحوی ص ٢٤٩ وينظر الإنقاذ ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩

٣ - معنى اللبيب ٥٨٢ / ٢

أولاً : شيخ المدرسة البصرية :

لا يختلف أحدٌ على أن الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه من أبرز علماء النحو في المدرسة البصرية ، وقد اضطرب سيبويه ومن نقل عنهم في إعراب فواتح السور الكريمة وقد تحدث عن الفواتح في باب مستقل سمّاه « باب فواتح السور » فقال : « أما » « حَمَ » فلا ينصرف جعلته إسماً للسورة أو أضفته إليه ، لأنهم أنزلوه منزلة اسم أعمامي نحو : هايل وقابل وقال الشاعر : وهو الكمي :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأَوَّلَهَا مِنَا تَقَيِّيًّا وَمُغَرِّبًّا
وقال الحمناني :

أو كُتُبًا بَيْنَ مِنْ حَامِيمًا قَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءَ إِبْرَاهِيمًا^(١)
ثم غير رأيه وقال : « وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفًا على حاله .

وذكر بعد ذلك « وقد قرأ بعضهم = ياسين والقرآن ، بفتح النون من ياسين وقف القرآن » بفتح القاف (١ - ٢ سورة قاف) فمن قال هذا فكانه جعله إسماً أعماميًّا ثم قال : أذكر ياسين » ونلحظ في ذلك الإضطراب في أقوال سيبويه .

أما « ص » فلا تحتاج إلى أن تجعله إسماً أعماميًّا لأن هذا البناء والوزن من كلامهم ولكنه يجوز أن يكون إسماً للسورة فلا تصرفه ويجوز أن يكون ياسين وصاد اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات ، نحو كيفَ وَأَيْنَ وَحِيتُ أَمْسِ^(٢) .

١ - الكتاب ٣٠ / ٢ ط بولاق
٢ - الكتاب ٣٠ / ٢ بتصريف

وقال في موضع آخر : « وأجاز أن تكون بمنزلة الأسماء المبنية وقال : « ويجوز أيضاً أن يكون ياسين وصاد اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح ، كما ألمت الأسماء غير المتمكنة الحركات ، نحو : كيف وأين وحيث وأمس »^(١).

نسب ابن خالويه فتح السين في قراءة ياسين إلى عيسى بن عمر ونسبها أبو حيان إلى ابن أبي إسحاق^(٢).

وقال في موضع آخر : « وأما » طسم « فإن جعلتهن أسماء لم يكن بد من أن تحرّك النون ، وتصير ميما ، كأنك وصلتها إلى طاسين فجعلتها اسماءً واحداً بمنزلة درأبَ جَرْدَ »، وبعَلَ بَكَ « وإن شئت حكّيت وتركت السواكن على حالها» وأما « كهيعص » و« آمر » فلا يكن إلا الحكاية وإن جعلتها بمنزلة « طاسين - لم يجز لأنهم لم يجعلوا طاسين . كحضرموت ولكنهم جعلوها بمنزلة هابيل وقabil وهارون »^(٣).

يتضح من هذا العرض أن سيبويه يرى أنها مفاعيل لأفعال محنوفة وذلك عندما قال : « أذكر ياسين أو يرى أنها تعرب على الحكاية وقد نقل رأي سيبويه والخليل أبو جعفر النحاس . قال مذهب سيبويه في « ألم » وما أشبهها أنها لم تعرب وأنها بمنزلة حروف التهجي ، فهي محكية فلو أعربت ذهب معنى الحكاية »^(٤).

أما المبرد البصري فلم يفصح عنها إذ اكتفى بهذا القول : « وأما فواتح السور فعل الوقف لأنها حروف متقطعة فعل هذا تقول : « ألم ذلك » حَمَ

١ - الكتاب ٢/٣٠ ، وانظر ٣١/٢ إعراب « كهيعص » على الحكاية

٢ - البحر المحيط ٧/٣٢٢ وفهرس شواهد سيبويه ص ٤ .

٣ - الكتاب ٢/٣١

٤ - إعراب القرآن ورقة ١ للنحاس

والكتاب ، لأن حَقَّ الحروف في التهجي التقطيع »^(١) .

ثانياً : موقف الكوفيين

أما نحاة الكوفة فقد تباينوا في إعراب الفوائض القرآنية كما فعل أسلافهم من البصريين ولم يذكر الرواية للكسائي أراءً حول الفوائض غير ما أورده أبو جعفر النحاس قال الكسائي : « حروف التهجي إذا لقيتها ألف وصل فحذفت ألف الوصل ، حركتها بحركة الألف ، فقلت : ألم الله ، وألسن اذكر والسم اقتربت »^(٢) .

أما أبو جعفر الرؤاسي وهو من مؤسسي النحو الكوفي .

قال الفراء : « أبو جعفر الرؤاسي قرأ « ألم الله » بقطع الألف وببلغتي عن عاصم أنه قرأ بقطع الألف فهي قراءة يقدرون فيها الوقف ، كما يوقف على الأعداد » ويبدو من آراء العالمين الكوفيين السابقين أنها أرادا القراءة »^(٣) .

وهذا أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي يشرح رأيه في الفوائض القرآنية إذ نقل عنه الفراء قال : « وقد قال الكسائي : « رُفِعْتْ (كتاب أنزل إليك) وأشباهه من المروي بعد الهجاء بإضمار (هذا) أو ذلك » ، وهو وجه فكانه إذا أضمر « هذا » أو ذلك أضمر لحروف المجاء ما يرفعها قبلها لأنها لا تكون إلا ولها موضع .

قال : أرأيت ما جاء منها ليس بعده ما يرافقه ، مثل قوله : حَمْ . عَسْقَ

١ - المقتضب ٣٥٥ / ٣ ، ٣٥٦ ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ . قال : « إن قومه قد نصبوها « يس » وطه وحم وهو كثير - في كلام العرب وذلك أنهم جعلوها أسماء كالأسماء الأعمجية .

٢ - معاني القرآن ٩ / ١ هامش الكتاب

٣ - معاني القرآن ٩ / ١

ويسَّ وقَ ، وصَّ ، ما يقلُّ أو يكثُر مَوْضِعُهُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ مَرَافِعٌ ؟ قلتَ قبْلَهُ ضَمِيرٌ يُرْفَعُ ، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (بِرَاءَةً مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) الْمَعْنَى وَاللهُ أَعْلَمُ : هَذِهِ بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَكَذَلِكَ (سُورَةُ أَنْزَلْنَاهُ) وَكَذَلِكَ كُلُّ حَرْفٍ مَرْفُوعٍ مَعَ الْقَوْلِ مَا تَرَى مَعَهُ مَا يُرْفَعُ ، فَقَبْلَهُ اسْمٌ مَضْمُرٌ يُرْفَعُ ، مَثَلُ قَوْلِهِ : (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انتَهُوا) الْمَعْنَى وَاللهُ أَعْلَمُ لَا تَقُولُوا هُمْ ثَلَاثَةٌ ، يَعْنِي الْأَلْهَةُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَيْهُمْ » الْمَعْنَى وَاللهُ أَعْلَمُ سَيَقُولُونَ هُمْ ثَلَاثَةٌ ^(١) أَمَا الَّذِي تَعْرَضُ لِأَعْرَابِ الْفَوَاتِحِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفَصِيلِ ^(٢) فَهُوَ الْفَرَاءُ الَّذِي يُعْتَبَرُ أَبْرَزَ عَالَمَ مِنْ عِلْمَاهُمْ وَإِلَيْكَ عَرَضْتُ مَوْجِزاً لِأَرَائِهِ . يَرِيدُ الْكَسَانِيُّ بِأَنَّهَا أَخْبَارٌ لَمْ يَتَدَأِ مَحْذُوفٌ طَبِيقاً لِتَقْدِيرِ الْمَعْرُوبِ .

قال الفراء : « الْمَجَاءُ مَوْقُوفٌ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ ثُمَّ ذُكْرٌ رَأَيِّ أَبِي جَعْفَرِ الرَّؤَايِيِّ فِي طَرِيقَةِ قِرَاءَتِهِ لِـ « أَلْمَ » قَالَ : « أَبُو جَعْفَرِ الرَّؤَايِيِّ قَرَأَ « أَلْمَ » اللَّهُ بِقَطْعِ الْأَلْفِ وَبِلَغْنِي عَنْ عَاصِمٍ أَنَّهُ قَرَأَ بِقَطْعِ الْأَلْفِ ، فَهُوَ قِرَاءَةُ يَقْدِرُونَ فِيهَا الْوَقْفَ كَمَا يَوْقِفُ عَلَى الْأَعْدَادِ وَاحِدَ إِثْنَانِ ثَلَاثَةٍ .. الخَ ^(٣) .

وَذَكْرُ الْأَنْبَارِيِّ أَنَّ الْفَرَاءَ أَجَازَ أَنْ يَكُونَ « أَلْمَ » مَبْتَداً أَوْ « ذَلِكَ » خَبْرَهُ ^(٤) وَفِي فَاتِحةِ سُورَةِ مَرِيمٍ « كَهِيْعَصْ » قَالَ الْفَرَاءُ : « الْذَّكْرُ مَوْفُوعٌ بِـ « كَهِيْعَصْ » وَإِنْ شَتَّتَ : أَضْمَرْتَ : هَذَا ذَكْرٌ رَحْمَةٌ رَبِّكَ وَفِي فَاتِحةِ سُورَةِ هُودٍ قَالَ حَوْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « الرَّ » كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ » رَفَعَتِ الْكِتَابُ بِالْمَجَاءِ الَّذِي قَبْلَهُ كَانَكَ قَلْتَ حِرْفَ الْمَجَاءِ هَذَا الْقُرْآنُ ، وَقَالَ : وَإِنْ شَتَّتَ أَضْمَرْتَ لَهُ مَا يُرْفَعُ كَانَكَ قَلْتَ : « الرَّ هَذَا الْكِتَابُ » ^(٥) .

١ - معاني القرآن / ١ ، ٣٦٩ / ٣٧٠

٢ - يَعْنِي بِهِ التَّفَصِيلُ النَّسْبِيُّ قِيَاساً لِلْأَوَّلِيَّاتِ مِنْ نَحْأَةِ الْكَوْفَةِ

٣ - معاني القرآن / ١ / ٩ بِتَصْرِيفِ

٤ - البيان في إعراب غريب القرآن / ١ / ٤٣

٥ - معاني القرآن / ٢ / ٣ بِتَصْرِيفِ

وروى النحاس أنها لم تعرب لأنك لم ترد أن تخبر عنها بشيء^(١) وفي سورة (طه) قال : « طه حرف هجاء ، وقد جاء في التفسير طه يا رجل يا إنسان حدثنا »^(٢) .

وفي سورة «يس» قال الفراء^(٣) عن شيخ من الكوفة « يس » يا رجل وقد سمعت من العرب من ينصبها فيقول : « ياسين القرآن الحكيم » مثل ليت ولعل^(٤) .

وفي سورة (ص) قال الفراء : وص في معناها كقولك (ب) وجَبَ اللَّهُ وَنَزَّلَ وَاللَّهُ وَحْدَهُ فَهِيَ جَوَابٌ بِقَوْلَةِ الْقُرْآنِ^(٥) كما أنها لم تجد لشعلب الكوفي آراءً حول الفواتح فيها وقع لدينا من كتب النحاة^(٦) .

١- إعراب القرآن للنحاس مخطوط روطه ٢

٢- معاني القرآن ٢ / ١٧٤

٣- معاني القرآن ١ / ٣٧١

٤- معاني القرآن ٢ / ٣٩٦ ، ٣٩٧

٥- انظر مجالس ثعلب قسم المهارس ٢ / ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ .

الفَصْلُ الرَّابِعُ

نَحَاةٌ مُتَّخِرُونَ

نحب في هذا الشأن أن نقدم بعض الآراء التي قيلت في الفوائح القرآنية لنحاة بغداديين وأندلسيين ومصريين ونحب أن نبين أن بعض النحاة قد أفردوا كتاباً لإعراب القرآن .

ومن هؤلاء العلماء الذين كتبوا عن إعراب القرآن أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٦ في كتابه «مشكل إعراب القرآن» قال مكي : «حول فاتحة سورة البقرة» «ألم» أحرف مقطعة حكية لا تعرب ، إلا أن تخبر عنها أو تعطف ببعضها على بعض ، فتقول : هذا ألف ، وألفك حسنة ، وفي الكتاب ألف ولام وميم وعين . وموضع «ألم» نصب على معنى إقرأ «ألم» ويجوز أن يكون موضعها رفعاً على معنى = هذا ألم .. أو ذلك أو هو ... ويجوز أن يكون موضعها خفضاً على قول جعله قسماً^(١) .

وهذا عبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفى ٥٧٧ هـ الذي خصص كتاباً في إعراب غريب القرآن أسماه «البيان في غريب إعراب القرآن» .

قال حول قوله تعالى (ولم - البقرة ١) أحرف مقطعة مبنية غير معربة وكذلك سائر حروف المهجاء في أوائل السور .

١ - مشكل إعراب القرآن ١/٧٣

وقد تعرّب ، إلّا أن يخبر بها أو عنها أو تعطف ببعضها على بعض ، فالأخبار بها نحو ، أن تقول : هذه ألف ، والأخبار عنها نحو أن تقول : الألف حسنة ، والعنف نحو أن تقول في الكتاب ألف ولا موضعها من الإعراب نصب ، بفعل مقدر وتقديره : « إقرأ ألم » ويجوز أن يكون رفعاً على تقدير مبتدأ ، والتقدير (هذا ألم)^(١)

وهذا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكيري المتوفى ٦١٦ هـ الذي ألف كتاباً في وجوه الإعراب والقراءات سماه « إملاء ما من به الرحمن يقول في الفواتح » ألم « هذه الحروف المقطعة كل واحد منها اسم ، فألف اسم يعبر به عن مثل الحرف الذي في « قال » ولا يعبر بها عن الحرف الأخير من قال : « وكذلك ما أشبهها ، والدليل على أنها أسماء أن كلامها يدل على معنى في نفسه وهي مبنية لأنك لا تريده أن تخبر عنها بشيء وإنما يحكي بها ألفاظ الحروف التي أعلنت أسماء لها فهي كالأصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب أما الإعراب فقال :

في موضع ألف لام ميم ثلاثة أوجه :

أحددهما : الجر على القسم وحرف القسم ممحوظ وبقي عمله بعد الحذف لأنه مراد ، فهو كالملفوظ به كما قالوا : « الله لي فعلن في لغة من جر »

والثاني موضعها النصب ، وفيه وجهان :

أحددهما هو على تقدير حذف القسم كما تقول : الله لأفعلن والناصب فعل ممحوظ تقديره « التزمت الله ، أي اليمين به »

والثالث : هي مفعول به تقديره اتل (ألم)

١ - البيان في غريب إعراب القرآن ٤٣ / ١ وأنظر رأيه في فاتحة آل عمران ١٨٩ / ١ إذ قال « الكلام على ألم » كالكلام على « ألم » في البقرة إلا أنه فتحت الميم هنا لسكونها وسكون اللام بعدها .

والرابع : موضعها رفع ب أنها مبتدأ وما بعدها خبر^(١) .

ومن العلماء الذين اهتموا بال نحو إلى جانب التفسير العالم الجليل الرمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ فقد حاول أن يتحدث عن الفواتح في كتابه الكشاف في أربع عشر صفحة^(٢) ناقلاً معظم آراء العلماء الذين سبقوه في تفسير الفواتح وإعرابها .

وقال في ذلك : « قيل إنها أسماء كما يقال واحد إثنان ثلاثة ، وقال ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها »

واختلفوا فيها أهي معربة أم مبنية وقيل أن سكونها على الوقف^(٣) وقال وقيل للقسم إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح ملحوظ بهما^(٤) وتساءل = هل هذه الفواتح محل من الإعراب ؟

قلت نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء « الإعلام »

فإن قلت ما محلها ؟ قلت : يحتمل الأوجه الثلاثة أما الرفع فعل الابتداء وأما النصب والجر ، فلما مرّ من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين^(٥) .

وكذلك الحال العالم الأندلسي أبو حيان الذي اهتم بال نحو إلى حد كبير وذلك بجانب التفسير إذ يقول : « وهذه الحروف أوردت مفردة من غير عامل ولا

١ - إملاء ما من به الرحمن ١٠ / ١ بتصرف وانظر فاتحة آل عمران ١٢٢ والرعد ٦٠ / ٢ ومريرم ١١٠ / ٢ .

٢ - الكشاف ١ / من ص ١٩ ، إلى ص ٣٣

٣ - الكشاف ١ / ١٩ ، ٢٠ ،

٤ - الكشاف ١ / ٢٩

٥ - الكشاف ١ / ٣١

عطف فاقتضت أن تكون مسكنة كأساء الأعداد إذا وردت من غير عامل ولا
عطف فلا محل لها من الإعراب^(١).

ولكنه قال في هامش الكتاب «آلم» خبر لمبتدأ مذوف .
وقال في موضع ثان^(٢) «وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه
إلا الحمل على أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف وأسوغها في لسان العرب ولسنا
كمن جعل كلام الله تعالى كشعر أمرىء القيس وشعر الأعشى يحمله جميع ما
يحتمله اللفظ من وجوه الإحتفالات فكما أن كلام الله من أفصح كلام فكذلك
ينبغي إعرابه أن يحمل على أفصح الوجوه^(٣) .

وفي فاتحة سورة يونس (الر) قال : قيل إشارة إلى الراء وأخواتها من
حروف المعجم وقيل إشارة إلى الكتاب المحكم^(٤) .

وفي سورة الرعد أشار إلى أنه تحدث عن الفواتح في سورة البقرة وقال في
هذا الشأن «ذكرت في البحر المتوسط وتقدم الكلام في الحروف المقطعة في أوائل
السور في أول سورة البقرة فليطالع هناك . ومن المفسرين الذين تعرضوا للإعراب
بعض الكلمات في قرآننا الكريم صاحب تفسير أبي السعود إذ احتار في الأمر كما
يبدو من قوله ، قال : «آلم خبر لمبتدأ مذوف وقيل ولكن الذي عليه التعويل إما
كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبوه^(٥)
قالوا : سميت بها إذاناً بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه
الألفاظ فيكون فيها إيماء إلى الإعجاز والتحدي على سبيل الإيقاظ^(٦) .

١ - البحر المتوسط ٣٦ / ١

٢ - البحر المتوسط ٣٦ / ١ المامش بتصرف

٣ - البحر المتوسط ٣٦ / ١

٤ - البحر المتوسط ١١٥ / ١٢٢ - ١١٥ / ٥ بتصرف ط الرياض

٥ - البحر المتوسط ٣٥٦ / ٥ وما بعدها

٦ - تفسير أبي السعود ١٥ / ١

ويتضح من قوله « قيل وقيل ، الحيرة والتردد هي الغالبة »^(١) وروى أبو بكر الأنصاري أن « الم » « مبتدأ » أما صاحب كتاب التسهيل^(٢) فقد قال : « وإعراب هذه الحروف مختلف باختلاف معناها فيجوز أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض .

الرفع مبتدأ أو خبر
النصب مفعول به لفعل مضمر
الخفض على قول من جعلها مقسماً بها^(٣) .

ومن العلماء الذين تعرضوا في دراستهم للغة والإعراب في أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم أبو علي الطبرسي الذي قال : « أما موضع (وألم) ألف لام ميم من الإعراب فمختلف على حسب إختلاف هذه المذاهب أما على مذهب الحسن فموضعها رفع على إضمار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه (ألم) .

وأجاز الرمانى أن يكون « ألم » مبتدأ وذلك الكتاب خبره ، وأما على مذهب من جعلها قسماً فموضعها النصب بإضمار فعل لأنَّ حرف القسم إذا حذفت يصل الفعل إلى المقسم به فينصلبه .

وأما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصاراً من كلام أو حروفاً مقطعة فلا موضع لها من الإعراب^(٤) .

وبالآن ينتهي بنا المطاف حول الظاهرة الإعجازية في فواتح السور القرآنية

١ - تفسير أبي السعود ١٧/١

٤٤/٤ - كتاب إيضاح الوقف والإبتداء

٣ - كتاب التسهيل ١/٣٥ وغرائب القرآن ١/١٣٣ وما بعدها وتفسير البيضاوى ١/٩ ، ١٠ وما بعدهما وتفسير القرطبي ١/١٥٤

٤ - صحيح البayan ١/٣٤ بتصرف

نحب أن نقرر أن النحاة قد اختلفوا في بعض الآيات القرآنية من حيث الإعراب ولكنهم كانوا يفهمون معنى تلك الآيات الكريمة^(١) فهـماً دقيقاً ، لا جدال فيه في غالب الأحيان .

أما فواتح السور فإن النحاة لم يقدموا دليلاً مادياً واحداً على فهمها لأن معظم الأقوال التي رويت في معانيها عن الثقات من العلماء والصحابة كادت تتفق على أنها سر من أسرار الله عز وجل ومعظم آراء النحاة ظنية ، وبيّنت في كثير من المسائل التي أشرت إليها ، أن النحاة تأهـت بصائرهم وتترددوا كثيراً في أقوالهم وقد اعترف كثيـراً من العلماء بهذه الحقيقة ، وقد بيـنت ذلك بوضوح لا لبس فيه في الفصول السابقة .

وقد قرر ذلك السيوطـي عندما قال : « ومن المتشابه في أوائل السور والمختار فيها أنها أيضاً من الأسرار التي انفرد الله بعلـمها وقد كثـرت الأقوال فيها ومرجعها كلـها إلى قول واحد »^(٢) .

وإن الآيات القرآنية معروفة لدى علماء التفسير وعن الرسول صلـى الله عليه وسلم الذي كان يشرح للصحابـة معانـي القرآن الكريم ويـخـthem على تعلـمه إذ قال : « خـيركم من تعلم القرآن وعلـمه »^(٣) وإنـي أذهب مع الكوفـين من النـحـاة الذين أكدـوا أن الفـواتـح القرـآنـية التي جاءـت في كتابـنا الخـالـد وعددـها تسـع وعشـرون سـورة إـنـما هي آيات خـالـدة ستـبـقـى سـراً من أسرـار هـذا الكـونـ الذي لم نـعـلم عنه إـلا القـليلـ القـليلـ .

وتـسـأـلـ أبو حـيـانـ النـحـويـ : هل أـلمـ آيـةـ ، نـعـمـ : قالـ الـكـوـفـيـونـ : أـلمـ

١ - انظر الإتقان مثلاً ج ٢٣٥ / ١ ، ٢٣٦ وما بعدهـا

٢ - معترك الإقران ج ١٥٥ / ١

٣ - غـرـائـبـ القرآنـ وـرـغـائبـ الفـرقـانـ ٩ / ١

آية ، وكذلك هي آية في كل سورة ذكرت فيها ، وكذلك المص ، وطسم وأخواتها وطه ويس وحم وأخواتها إلا حق فلينها آيتان وكهيعص آية والر وأخواتها فليست بآية وكذلك طس وص و«ق» و«ن» والقلم و«ف» و«ص» حروف دل كل حرف منها على كلمة وجعلوا الكلمة آية .

قال البصريون وغيرهم ليس شيءٌ من ذلك آية^(١)

رويَ أن أقسام التفسير في قرآننا الكريم يأتي على أربعة أوجه قال السيوطي : « والتفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعرفه أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله » .

وفواتح السور من القسم الرابع الذي لا يعلم تأويله إلا الله عز وجل وقد اتضح ذلك جلياً في أثناء عرضنا لهذه الدراسة في ظل كتابنا الخالد وقد قال أحد العلماء^(٢) بحور العلم عند الله فأعطي الرسل منها أودية ثم أعطى الرسل من أوديتيهم أنهاراً إلى العلماء ثم أعطى العلماء إلى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم ، ثم أجرت العامة سوافي إلى أهاليهم بقدر طاقتهم » وتأيداً لذلك قوله تعالى مخاطباً البشر كافة « وما أتيتم من العلم إلا قليلاً^(٣) .

سبحانك اللهم خالق هذا الكون الفسيح ، ونحن نعترف أمام الله العظيم بأن هذه محاولة لإيضاح ما تبين لي من أسرار الإعجاز النحوي في قرآننا الكريم ، وسيقى هذا الكتاب الخالد معجزاً للأنس والجن معاً ولكل من دب على هذه الأرض الغانية حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

ولذلك نقرر ما قاله السيوطي : « ليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله

-
- ١ - البحر المحيط ٣٥ / ١
 - ٢ - معرك الإقران ١ / ١٣٢
 - ٣ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٩ / ١ وما بعدها

في كتابه فلذلك حارت العقول وتأهت البصائر عنده »^(١) .

ونرجوا الله الكريم أن نكون قد وفقنا في إنجاز جانب من الجوانب المضيئة . . . في . . . كتابنا الخالد القرآن الكريم ، الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وجعلنا أمةً إسلاميةً رائدة خيرًأمةً أخرىَجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله العظيم ، وأسأل الله التجاوز عن الزلة بحسن النية فيما دللت عليه .

وأقول كما قال السيوطي : « مع أني لست من فرسان هذا الميدان ولا من ي gio في هذا الشأن ولكن تطفلت على المتقدمين ، رجاءً أن يضمن جيل الإحتمال معهم ويسعني منه حسن التجاوز ما وسعهم »^(٢) .

وبعد ، اعترف أن عمل الإنسان معرض للخطأ والنسيان وإنَّ الكمالَ لله وحده عز وجل ، وأسأله عز وجل أن يوفقنا لما فيه خيرُأمتنا الإسلامية الخالدة ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى وينفع المسلمين كافة إنه هو السميع المجيب

فتحي الدجني

١ - معرك الأقران ١١/١
٢ - معرك الأقران ١١/١

مَرْاجِعُ الْبَحْثِ

أولاً - المخطوطات

- ١ - إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس : دار الكتب المصرية رقم ٤٨ تفسير
- ٢ - التقريب في النحو لأبي حيان الغناطي نحو تيمور دار الكتب المصرية رقم ١٩
- ٣ - رسالة في الحروف المقطعات في أوائل السور القرآنية خطوط ميكروفيلم الكويت - رقم ٢٨٨ لـ ٤ جامعة الكويت
- ٤ - كتاب الإنصار لابن ولاد دار الكتب المصرية نحو رقم ٧٠٥
- ٥ - كتاب الجمل للزجاجي دار الكتب المصرية رقم ٦٧ نحو
- ٦ - كتاب المقدمة وشرحها في علم العربية لابن باشاد دار الكتب المصرية نحو رقم ٦٨
- ٧ - كشف المشكل في النحو والتصريف لأبي حسن اليمني الملقب بحيدرة نحو تيمور دار الكتب المصرية رقم ٥٦٢

ثانياً : المطبوعات

- ٨ - أبو الأسود التؤلي ونشأة النحو العربي د . فتحي الدجني وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٤

- ٩ - الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ١٩٧٨ (٤) الحلبي مصر
- ١٠ - أثر القرآن والقراءات في النحو العربي د . سمير اللبدي ط ١ الكويت دار الكتب الثقافية .
- ١١ - أحكام القرآن للإمام أبي عبد الله الشافعى ط (١) الحلبي مصر ١٩٥١
- ١٢ - أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي تحقيق علي البيجاوى ١٩٥٨ مصر
- ١٣ - إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ط الحلبي مصر
- ١٤ - أخبار النحويين البصريين للسيرافى تحقيق د . عبد المنعم خفاجه وأخر ط الحلبي .
- ١٥ - أساس البلاغة للزمخشري ط دار صادر بيروت ١٩٦٥
- ١٦ - أسباب النزول لأبي الحسن الواحدى النيسابورى ط بيروت ١٩٧٥
- ١٧ - أسد الغابة في تمييز الصحابة لابن الأثير ط طهران ١٢٨٥ هـ
- ١٨ - الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت ط (٥) دار الشروق بيروت
- ١٩ - الأشباه والنظائر للسيوطى ط (٢) حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ
- ٢٠ - الإعجاز البىانى للقرآن د . عائشة عبد الرحمن دار المعرفة ١٩٧١ م
- ٢١ - إعجاز القرآن « الإعجاز في دراسات السابقين عبد الكريم الخطيب دار الفكر ١٩٧٤
- ٢٢ - إعجاز القرآن للباقلانى تحقيق السيد أحمد صقر دار المعرفة مصر ١٩٦٢
- ٢٣ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعى ط (٨) مصر ١٩٦٥
- ٢٤ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه (ط) حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ
- ٢٥ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهانى ط مكتبة الحياة بيروت .
- ٢٦ - الامالي لأبي علي القالى ط (٢) دار الكتب المصرية ١٩٢٦

- ٢٧ - الإمتناع والمؤانسة لأبي حيان ط جنة التأليف والنشر ١٩٥٤ مصر
- ٢٨ - إملاء ما من به الرحمن للعكברי تحقيق إبراهيم عطوه ط الحلبي ١٩٦١
- ٢٩ - إنباء الرواة على أنباء النحاة للقططي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
- ٣٠ - أوضح المسالك لابن هشام تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط (٥) ١٩٦٦
- ٣١ - الإيضاح في علل النحو للزجاجي تحقيق د. مازن المبارك دار العروبة مصر ١٩٦٩
- ٣٢ - إيضاح الرقف والإبتداء للأبناري (أبي بكر) تحقيق محى الدين رمضان ١٩٧١
- ٣٣ - الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن د. عبد الرؤوف مخلف دار الحياة بيروت ١٩٧٨
- ٣٤ - البحر المحيط لأبي حيان ط النصر الحديث المملكة العربية السعودية الرياض
- ٣٥ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزمكاني تحقيق د. أحمد مطلوب وخديجة الحديثي
- ٣٦ - البرهان في علوم القرآن للزرتشي تحقيق محمد أبو الفضل ط الحلبي ١٩٥٧
- ٣٧ - بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ط دار المعارف مصر
- ٣٨ - البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات الأبناري تحقيق مصطفى السقا وأخر ١٩٦٩
- ٣٩ - البيان والتبيين للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون الخانجي مصر ١٩٦٨
- ٤٠ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر الحلبي ١٩٥٤

- ٤١ - ناج العروس الزبيدي ط الكويت وزارة الإعلام
- ٤٢ - تجديد صاحب الجوهري تصنيف نديم مرعشلي وأسامه مرعشلي دار الحضارة بيروت ١٩٧٤
- ٤٣ - تسهيل الفوائد لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات وزارة الثقافة مصر ١٩٦٨
- ٤٤ - تفسير ابن كثير والبغوي ط المنار ٩٣٤٧ هـ .
- ٤٥ - تفسير أبي السعود « إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ط صحيح مصر .
- ٤٦ - تفسير الألوسي « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » ط المنيرية .
- ٤٧ - التفسير البياني للقرآن الكريم د . عائشة عبد الرحمن دار المعارف ١٩٦٦ مصر
- ٤٨ - تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ناصر الدين البيضاوي الحلبي
- ٤٩ - تفسير الخازن « ألباب التأويل في معاني التنزيل » علاء الدين الخازن ط الحلبي
- ٥٠ - تفسير الشعابي « جواهر الحسان في تنزيل القرآن » ط بيروت الأعلماني
- ٥١ - تفسير الرازى « مفاتيح الغيب » ط الأزهر وط طهران
- ٥٢ - تفسير الطبرى « جامع البيان في تفسير القرآن » ط بولاق ١٣٢٩
- ٥٣ - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ط الحلبي مصر ١٩٥٨
- ٥٤ - تفسير القرآن الكريم « تفسير شير » الإمام عبد الله شير ط (٢) القاهرة
- ٥٥ - تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله القرطبي ط دار الكتب ١٩٣٥

- ٥٦ - تفسير المراغي الشيخ أحمد المراغي ط الحلبي مصر ١٩٤٦
- ٥٧ - تفسير النار ، السيد محمد رشيد رضا ط (٤) ١٩٧٣ مصر
- ٥٨ - تهذيب تاريخ ابن عساكر ط (١) دمشق ١٣٥١ هـ
- ٥٩ - تهذيب اللغة للأزهرى سلسلة تراثنا مصر
- ٦٠ - التوطئة لأبي علي الشلوبيني . تحقيق د . يوسف أحمد المطوع دار التراث مصر
- ٦١ - الجمان في تشبيهات القرآن لابن نافع البغدادي تحقيق د . مصطفى الطحاوى ط مصر
- ٦٢ - الجملة الشرطية عند العرب أبو أوس إبراهيم الشمسان ط (١) مصر ١٩٨١
- ٦٣ - الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً د . فتحي الدجني مكتبة الفلاح الكويت ١٩٧٨
- ٦٤ - الجنبي الداني الحسن بن قاسم المرادي تحقيق د . فخر الدين قباوة وأخوه ط حلب ١٩٧٣
- ٦٥ - جهود علماء النحو في القرن الثالث د . يوسف أحمد المطوع ط (١) الكويت ١٩٧٦
- ٦٦ - حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ط (١) ١٩٤٠ م
- ٦٧ - حاشية الصبان دار إحياء الكتب العربية الحلبي بدون تاريخ
- ٦٨ - حاشية الأمير علي مغني اللبيب ط مصر
- ٦٩ - حاشية العطار الشيخ حسن العطار ط الحلبي مصر
- ٧٠ - الخصائص لابن جنی ط دار الكتب المصرية وطبعة دار الهدى بيروت
- ٧١ - دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ط (٣) دار المعرفة بيروت ١٩٧٣
- ٧٢ - دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني دار المعرفة بيروت ١٩٧٨
- ٧٣ - ديوان جرير تقديم كرم البستانى ط . دار صادر بيروت ١٩٦٤

- ٧٤ - رسائل الجاحظ (حجج النبوة ط السنديبي مصر
- ٧٥ - رسالة السيوطي «التحفة البهية والظرف الشهية ط القدسية ١٣٢٠ هـ
- ٧٦ - رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ط دار إحياء العلوم بيروت ١٩٧٩
- ٧٧ - الرسالة الشافية في إعجاز القرآن عبد القاهر الجرجاني ضمن ثلاث رسائل في عِجَازِ الْقُرْآنِ
- ٧٨ - الرمانى النحوى د . مازن المبارك ط جامعة دمشق ١٩٦٣
- ٧٩ - زاد الميعاد في هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ط (٣) القاهرة - ١٩٧٣
- ٨٠ - سبل السلام للإمام الصناعي المعروف بالأمير الناشر المكتبة التجارية مصر
- ٨١ - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته المصري ط المدنى مصر
- ٨٢ - سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث ط حمص سوريا ١٩٦٩
- ٨٣ - سيبويه إمام النحو على النجدي ناصف ط لجنة البيان العربي مصر
- ٨٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب أبو فلاح الحنبلي مكتبة القدس
- ١٣٥٠ هـ
- ٨٥ - شرح ابن عقيل تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المطبعة التجارية
- ٨٦ - شرح إختيارات المفضل للتبريزى تحقيق د . فخر الدين قباوة دمشق ١٩٧٢
- ٨٧ - شرح الأشموني تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط (١) دار الكتاب العربي بيروت ١٩٥٥
- ٨٨ - شرح الشافية رضي الدين الإسترابادي ط (١) حجازي مصر ١٣٥٦ هـ
- ٨٩ - شرح الكافية لرضي الدين الإسترابادي ط (١) بيروت ١٢٧٥ هـ
- ٩٠ - شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف .
- ٩١ - شرح المفصل لابن يعيش المطبعة الأميرية وط بيروت عالم الكتب
- ٩٢ - شرح المقدمة المحسبة لابن باشاد تحقيق د . خالد عبد الكري姆 ط : الكويت

- ٩٣ - شرح الملوكى فى التصريف لابن يعيش تحقيق د . فخر الدين قباوه حلب سوريَا ١٩٧٣
- ٩٤ - شرح الواقية نظم الكافية لابن الحاجب تحقيق موسى علوان النجف الأشرف العراق ١٩٨٠
- ٩٥ - الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ط الحلبي ١٩٦٧
- ٩٦ - الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض بدون تاريخ ١٩٥٦
- ٩٧ - الصحاح للجوهري ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٥٦
- ٩٨ - الصاحبي لابن فارس ط بيروت ١٩٦٤
- ٨٨ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود شاكر ط دار المعارف ١٩٥٢
- ١٠٠ - طبقات التحوين واللغوين الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المخانجي
- ١٠١ - ظاهرة الشذوذ في النحو العربي د . فتحي الدجني وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٤
- ١٠٢ - العربية يوهان فك ترجمة د . عبد الحليم النجار ط مصر ١٩٥١
- ١٠٣ - العقد الفريد لابن عبد ربه ط لجنة التأليف والنشر ١٩٥٦
- ١٠٤ - العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط (٣) المكتبة التجارية ١٩٦٣
- ١٠٥ - عمدة القارىء شرح صحيح البخاري المطبعة المنيرية ١٣٤٠ هـ
- ١٠٦ - عيون الأخبار لابن قتيبة سلسلة تراثنا وط دار الكتب المصرية
- ١٠٧ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان تحقيق إبراهيم عطوه ط الحلبي مصر
- ١٠٨ - الفاضل للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمني دار الكتب المصرية القاهرة
- ١٠٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ط دار المعرفة بيروت نسخة مصورة عن طبلاق ١٣٠٠ هـ

- ١١٠ - فتح البيان في مقاصد القرآن صديق حسن خان القاهرة ١٩٦٥ م
- ١١١ - فهرس شواهد سيبويه أحمد راتب النفاخ ط دار الإرشاد ١٩٧٠
- ١١٢ - الفهرست لابن النديم ط بيروت ١٩٦٤
- ١١٣ - في الصرف العربي فتحي الدجني مكتبة الفلاح الكويت ١٩٧٩
- ١١٤ - في ظلال القرآن سيد قطب ط (٥) دار إحياء التراث بيروت ١٩٦٧
- ١١٥ - القاموس المحيط الفيروز أبادي ط مصطفى محمد مصر
- ١١٦ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية د . عبد العال سالم مكرم ط دار المعارف
- ١١٧ - القضاء والقدر الشيخ محمد متولي شعراوي ط (٣) دار الشروق بيروت ١٩٧٢
- ١١٨ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل الشيخ محمد الجزي الكلبي ط (٢) دار الكتاب العربي ١٩٧٣
- ١١٩ - كتاب جهرة اللغة لابن دريد دار صادر بيروت وط حيدر أباد الدكن ١٣٤٤
- ١٢٠ - كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ط الخانجي مصر ١٣٢٠
- ١٢١ - الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط (١)
- ١٢٢ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ط دار الكتاب العربي بيروت
- ١٢٣ - كشف الخفا ومزيل الإلتباس الشيخ إسماعيل العجلوني ط حلب سوريا
- ١٢٤ - كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر تحقيق د . فؤاد عبد المنعم وأخر مصر
- ١٢٥ - كشف الظنون حاجي خليفة المطبعة الإسلامية طهران .

- ١٢٦ - اللحن في اللغة د . يوسف المطوع الناشر جامعة الكويت
- ١٢٧ - لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت
- ١٢٨ - مباحث في علوم القرآن د . صبحي الصالح ط (٨) دار الطباعة للملايين
بيروت
- ١٢٩ - متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهزال تحقيق د . عدنان
زرزور القاهرة
- ١٣٠ - مجالس ثعلب تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار المعارف مصر
١٩٥٢
- ١٣١ - مجالس العلماء للزجاجي تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط الكويت
١٩٦٢
- ١٣٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد الغرناطي تحقيق أحمد
الملاح مصر
- ١٣٣ - المحكم المحيط الأعظم لابن سيدة تحقيق مصطفى السقا ود . حسين نصار
الخلبي مصر
- ١٣٤ - المخصوص لابن سيدة ط المكتب التجاري بيروت
- ١٣٥ - المدارس النحوية د . شوقي ضيف ط دار المعارف مصر ١٩٦٨
- ١٣٦ - مدرسة البصرة النحوية د . عبد الرحمن السيد توزيع دار المعارف ١٩٦٨
- ١٣٧ - مراتب النحويين لأبي الطيب الخلبي مطبعة نهضة مصر القاهرة
- ١٣٨ - المزهر في اللغة حلال الدين السيوطي ط (٢) الخلبي
- ١٣٩ - مشاهد القيامة في القرآن الكريم سيد قطب دار الشرقاوى بيروت
- ١٤٠ - مشكل الآثار للإمام حافظ الطحاوى دار صادر بيروت مصورة عن ط المهد

١٣٤٣ هـ

- ١٤١ - مشكل إعراب القرآن مكي القيسى تحقيق حاتم الصامن ط بغداد وزارة الأعلام
- ١٤٢ - المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى دار الفكر بيروت
- ١٤٣ - معاني القرآن للأخفش تحقيق د. فائز فارس ط دار الكتب الثقافية الكويت
- ١٤٤ - معاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين ط الهيئة العامة ١٩٨٠
- ١٤٥ - معرك القرآن جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد البيجاوي دار الفكر مصر ١٩٧٣
- ١٤٦ - معجزة القرآن محمد متولي شعراوي ط المختار الإسلامي القاهرة
- ١٤٧ - معجم الأدباء ياقوت الحموي ط (١) الحلبي
- ١٤٨ - معجم ألفاظ القرآن المجمع اللغوي المصري نشر دار الشروق بيروت
- ١٤٩ - معجم متن اللغة الشيخ محمد رضا ط بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٠
- ١٥٠ - معجزة القرآن نعمت صدقى ط (١) عالم الكتب مصر
- ١٥١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الفكر مصر
- ١٥٢ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ١٣٦٩-
- ١٥٣ - المقرب في النحو لابن عصفور تحقيق الأستاذ أحمد عبد الستار الجواري وأخر العاني بغداد
- ١٥٤ - المغني في أبواب التوحيد القاضي عبد الخبر
- ١٥٥ - مغني الليب لابن هشام ط (٣) تحقيق د. مازن المبارك وأخر دار الفكر ١٩٦٩

- ١٥٦ - مفتاح السعادة لابن القيم الجوزية تحقيق محمد حسن ط (٢) الأزهر
- ١٥٧ - المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى مصر
- ١٥٨ - مقدمة إعجاز البياني للقرآن الكريم د . عائشة عبد الرحمن دار المعارف
- ١٥٩ - مقدمة ابن خلدون ط مصطفى محمد مصر
- ١٦٠ - مقدمة البرهان الكاشف في إعجاز القرآن د . أحمد مطلوب ط بغداد .
- ١٦١ - مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري ط بيروت وط الرياض المملكة العربية السعودية
- ١٦٣ - مقدمة تفسير شبر محمد جواد النجفي ط (٢) القاهرة
- ١٦٣ - مقدمة ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ط دار المعارف مصر
- ١٦٤ - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تحقيق د . عدنان زرزور الرسالة
- ١٩٧٢ بـ
- ١٦٥ - مقدمة كتاب إعجاز القرآن للباقلانى السيد صقر ١٩٦٢ دار المعارف
- ١٦٦ - مقدمة معانى القرآن للمحققين ط دار الكتب المصرية معانى للفراء .
- ١٦٧ - مقدمة المقتضب للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ط المجلس الأعلى مصر
- ١٦٨ - الموجز في النحو لابن السراج تحقيق د . محمد الشويعي ط بيروت ١٩٦٥
- ١٦٩ - نزهة الألباء للأبنواري تحقيق د . إبراهيم السمرائي بغداد ١٩٧٢
- ١٧٠ - النظم الفنى في القرآن الكريم عبد المتعال الصعیدي ط مصر
- ١٧١ - النكت في إعجاز القرآن الرمانى « ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ط دار المعارف
- ١٧٢ - الواقي بالوفيات تحقيق صلاح الدين الصفدي الهاشمية ١٩٥٣
- ثالثاً : الدوريات
- ١٧٣ - صحيفة القبس الكويتية
- ١٧٤ - مجلة نور اليقين عن الأزهر الشريف ١٩٣٢ القاهرة
- ١٧٥ - مجلة مجمع اللغة العربية المصري القاهرة

فهرس الموضوعات

أرقام الصفحات

١٤ - ٧

مقدمة البحث

٢٣ - ١٥

تمهيد ..

معنى الاعجاز لغةً واصلاحاً ، من معاني الإعجاز اللغوي ، التقصير والضعف ، والتسيط ، القوت والسبق ، طائر يضرب إلى الصفرة ، والعاجز عن الضراب ، التحدي والمنطقة ومن معاني مشتقاتها : البقرة والذئب والعقرب والفرس والنخلة والغراب وغير ذلك الإعجاز في الاصلاح الاجتماعي : الضرير ، عدم القدرة على أداء الوظيفة ما يخرج عن المألوف .

١٠٥ - ٢٥

الباب الأول : دراسات العلماء في الإعجاز القرآن

٢٨ - ٢٥

الفصل الأول : المعجزة القرآنية

دراسة الظاهرة الاعجازية في القرآن الكريم تبقى دون الوصول إليها لأنها تجاوزت طاقة البشر كافة . رأى أبي بكر العربي في علوم القرآن رأى السيوطي ، معنى المعجزة القرآنية ، رأى القرطبي ، رأى القاضي عبد الجبار ، المعجزة في لسان الشرع .

٤٠ - ٢٩

الفصل الثاني معجزة الأنبياء

خلق آدم عليه السلام ، المعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم بايجاز معجزة نوح عليه السلام ، رأى الزمخشري ، معجزة الطوفان ، رأى الجاحظ معجزة هود عليه السلام ، معجزة

صالح عليه السلام ، معجزة إبراهيم عليه السلام رأى ابن الق testim الجوزي ، رأى الزخشي ، معجزة موسى عليه السلام ، رأى الدكتوره عائشة عبد الرحمن ، معجزة داود عليه السلام ، معجزة سليمان عليه السلام ، معجزة عيسى عليه السلام .

٤٥ - ٤١

الفصل الثالث : آراء العلماء

معجزة محمد صلى الله عليه وسلم خالدة وتحتفل عن معجزات الأنبياء السابقين الكتب التي تحدثت على الإعجاز القرآني ، رأى العلماء في مواطن الإعجاز سهان : قسم من العلماء ذهبوا إلى أن الإعجاز يعود إلى أسلوبه الباهر لما فيه من النظم والتأليف والترصيف والفصاحة وعذوبة الأسلوب وقسم ثان يرى أصحابه أن الإعجاز في القرآن الكريم هو إعجاز كلي فكري بلا غي بياني خارج عن نطاق البشر كافة وانه يدرك ولا يمكن وصفه .

٤٦ - ٤٧

٤٥ - ٦٣

القسم الأول إعجاز أسلوبي

أبو عثمان عمر بن الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ ؛ رأيه في رسالته حجج النبوة : يعود الإعجاز إلى النظم والفصاحة .

– أبو سليمان الخطابي المتوفى ٣٨٨ هـ تحدث عن الإعجاز في كتاب سهان « بيان إعجاز القرآن » رأيه في الإعجاز رأيه في الصرف ، سر النظم في القرآن هيته وإعجازه أوجه إعجازه ، إعجازه النفسي .

٤٨ - ٥١

– أبو القاسم محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى ٣٩٦ هـ نقل رأيه جلال الدين السيوطي في كتابه الاتقان في

علوم رأيه في الإعجاز ، النظم والمعنى ، النظم ينفرد عن المألوف في كلام العرب من نظم ونشر .

عبد القاهر الجرجاني المتوفى ٤٧١ هـ - ٥٣ - ٥٨

الإعجاز في رسالته «رسالة الشافية» فكرة الإعجاز في رأيه
اثبات الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضته القرآن ،
عجز المعاصرين للرسول عليه السلام ، رسالة محمد عليه
السلام ، أقوال العرب في الرسالة وبخاصة المشركون ، رأي
عبد الكريم الخطيب في الرسالة الشافية رأي بنت الشاطيء ، رأي
محققي الرسالة .

— جاد الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٢٨هـ —
لم يؤلف الزمخشري كتاباً خاصاً بالاعجاز — الإعجاز من
خلال «تفسير الكشاف» الزمخشري وأقوال السابقين في شأن
الاعجاز ، قامت دراسته على التفسير والتحليل وتبليان أوجهه
النظم وحسن التركيب .

ابن عطيه الغرناطي المتوفى ٥٤٦ هـ
رأيه في الأعجاز من خلال تفسيره القرآن الكريم ، النظم
القرآنی ، صحة معانیه توالی فصاحة ألفاظه .

٦١ - ٦٠ فخر الدين الرازي محمد بن عمر المتوفى ٦٠٦ هـ رأيه في الإعجاز ذكره السيوطي في الاتقان، أوجه الإعجاز في رأيه ، الفصاحة ، عذابة الأسلوب السلامه من جميع العيوب .

— أبو الحسن حازم بن محمد القرطبي المتوفى ٦٨٤ هـ
رأيه في الإعجاز استمرارية الفصاحة والبلاغة ، تحديه للبشر .

- ٦٣ - ٦٢ - أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي المتوفى ٧٢١ هـ
رأيه في الإعجاز ، علم البيان ، تأدية المعنى تحسين الكلام ،
مراقبة الكلام لمقتضى الحال .
- ٨٦ - ٦٥ **القسم الثاني إعجاز كلي**
- ٦٧ - ٦٥ - أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى المتوفى ٣٨٥ هـ
رأيه في الاعجاز القرائى ، كتابه النكت في إعجاز القرآن اعتبرته
بنت الشاطئ من أهم كتب الإعجاز في القرن الرابع رأى
محققي الكتاب ، أوجه الإعجاز في رأيه
- ٧٧ - ٦٨ - أبو بكر الباقلاني المتوفى ٤٠٧ هـ
كتابه اعجاز القرآن ، رأى محقق الكتاب أول كتاب الباقلاني
نشرًا ، سبب تأليف كتابه نبوة محمد عليه السلام ، أوجه
الاعجاز في نظره .
- ٧٩ - ٧٧ - القاضي عبد الجبار الأستدي المتوفى ٤١٥ هـ
كتابه المغني في أبواب التوحيد ، أوجه الإعجاز في رأيه ، نظم
الكلام والتفاوت معجزات موسى وعيسى عليهما السلام . رأى
الدكتور خلوف حول الباقلاني والقاضي عبد الجبار .
- ٨١ - ٧٩ - القاضي عياض المتوفى ٥٤٤ هـ
أوجه الإعجاز في رأيه أربعة فقط حسن التأليف ، النظم ،
المخالف لأساليب العرب أخبار القرون السالفة .
- ٨٢ - ٨١ - أبو يعقوب يوسف بن البكر السكاكى المتوفى ٥٦٧ هـ

نقل رأيه جلال الدين السيوطي في الاتقان رأيه في الإعجاز رأى
الخطيب .

٨٤-٨٢ - كمال الدين عبد الواحد الزملکاني المتوفى ٦٥١ هـ
كتابه البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، رأيه في الإعجاز ،
المقاديد الأربع ، أوجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص ،
لا مطلق التأليف .

جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ . . .
تحدث عن الإعجاز في كتابه الاتقان في علوم القرآن لحضور كثيراً
من آراء السابقين ثم ألف كتاباً سماه معتبراً الأقران في إعجاز
القرآن أوجه الإعجاز عنده خمسة وثلاثين وجهاً ، مثل النظم
البلاغة اختيار بالغيب والمستقبل والروعة والرهبة ، وحب
سماعة وتفسيره تعالى لحفظه ووقوع الحقائق - ثم نقل رأي أبي
حيان التوحيدي وبندر الفارسي .

الفصل الرابع : موقف العلماء المحدثين من الإعجاز

٨٣ - ٨٩ - رأي الرافعي المتوفى ١٩٣٧ م
 عرض موجز لأرائه من خلال كتابه إعجاز القرآن
 - رأي الشيخ محمد أبو زهرة من خلال كتابه المعجزة الكبرى
 ٩٧ - ٩٣ - مراجعة

– رأى الدكتور عائشة عبد الرحمن «**بنت الشاطيء**» في الإعجاز عرض لأرائها من خلال كتابها «**الاعجاز البياني في القرآن الكريم**» .

—رأى الاستاذ عبد الكرييم الخطيب في أوجه الاعجاز عرض
الأراء من خلال كتابه إعجاز القرآن .

١٠٤ - ١٠٢

رأى الشيخ محمد متولي الشعراوي في أوجه الاعجاز ،
عرض آرائه من خلال كتابه معجزة القرآن والقضاء والقدر

رأى نعمت صدقى في أوجه الاعجاز القرآني من خلال كتابها
معجزة القرآن ، الظواهر المادية في الكون ودلائل الاعجاز رأى

محمد فريد وجدي في أوجه الاعجاز .

الباب الثاني

٢١٠ - ١٠٧

الإعجاز النحوي

شبكة كتب الشيعة

الفصل الأول : النحوة والقرآن

اهتمام النحوة بالقرآن ، حتى المسلمين على تعلم الاعراب نشأة
النحو كانت سبباً للمحافظة على القرآن بوادر اللحن ، التلفاء
واللحن ، الاستشهاد القرآني في كتاب سيبويه كماً وكيفاً ،
نماذج من القراءات في كتاب سيبويه ، موقف المبرد من
الاستشهاد القرآني كماً وكيفاً ، علم إعراب القرآن .

١٣٥

shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الفصل الثاني : الظاهرة الزمنية

الأفعال في اللغة العربية ، الماضي والمضارع والمستقبل رأى
سيبويه ، رأى المبرد ، نحاة متأخرن الخلاصة تعريف
المضارع تعريف الماضي ، تعريف الأمر نماذج من الماضي عند
شعراء المعلقات ، مناقشة الزمن ، الأمر في القرآن ، نماذج من
الأمر القرآني إسناد الأمر لروا الجماعة ، الحث على وحدانية الله
وطاعته ، علماء التفسير أقسام الأمر في القرآن أمر لم يحدث في
الحياة الدنيا ، أمر في القرآن فاس عليه النجاة . أمر محجر
مستمر حتى يوم القيمة .

١٧١ - ١٩٣

الفصل الثالث : الفعل المضارع

رأي ابن مالك في الفعل المضارع ، ابن مالك يمثل النهاة السابقين لعصره المضارع في الإسناد الوضعي ، المضارع عند شعراء الجاهلية المضارع في القرآن الكريم ، أقسامه ، خالد معجز حدث ولم يزل حتى يرث الله الأرض ، مضارع لم يرتبط بزمن معين ، مضارع مفتوح الزمن لم يحدث لاعجازه وسوف يحدث بعد هذه الحياة الفانية الخادعة وذلك يوم الحشر ، مضارع قاس عليه النهاة .

١٩٥ - ٢١٠

الفصل الرابع : الفعل الماضي

أراء النهاة ، نماذج من الإسناد الوضعي للفعل الماضي نماذج من الفعل في القرآن الكريم ، أقسام الماضي في القرآن قسم تلغي فيه الظاهرة الزمنية وقسم آخر من الأفعال القرآنية جاءت بصيغة الماضي ولم تحدث ، قسم ثالث قاس عليها النهاة .

الباب الثالث

٢٤٤ - ٢١١

الفواتح القرآنية

٢١٦ - ٢١١

الفصل الأول : موقف علماء التفسير من الفواتح

عدد الفواتح ، أقسامها معانيها أراء العلماء التفسير الأول يرى أصحابه أنها من أسرار القرآن رأي القرطبي ، رأي الشيخ عبد الله الحنفي ، رأي النيسابوري .

٢٢٨ - ٢١٧

الفصل الثاني : معاني الفواتح القرآنية

الأقوال حول معاني الفواتح ، موقف القاضي عبد

الجبار أسماء الله العظيم رأي القرطبي والطبرى والطبرسى
والشعالى والبضاوى والفراء والشيخ عبد الله الحفنى أشاره الى
حروف الهجاء فى اللغة العربية رأى ابى السعود والطبرى
والقرطبي والبضاوى عدد بقاء الأمة الإسلامية ، رأى. الطبرى
والطبرسى والبضاوى والشعالى والشهيلى رأى د. رشاد خليفه .
حروف دالة على أسماء ، أراء العلماء بعض المعانى الخاصة .

الفصل الثالث : موقف البصرىين والkovfien من الفواتح وإعرابها

٢٣٥ - ٢٢٩

شيوخ المدرسة البصرية ، الخليل بن أحمد ، سيبوبة رأيه في
إعراب الفواتح ، موقف الكوفيين شيوخهم أبو جعفر الرواسى ،
الكسائى الفراء إعرابهم لفواتح السور القرآنية .

٢٤٤ - ٢٣٧

الفصل الرابع : نحاة متأخر ون

أصحاب كتب إعراب القرآن ، أبو محمد مكي القيسى المتوفى
٤٣٦ واعرابه للفواتح من خلال كتابه مشكل إعراب القرآن ،
الأنباري المتوفى ٥٧٧ واعرابه للفواتح في كتابه « البيان في
إعراب غريب القرآن أبو البقاء العكبرى المتوفى ١٦ هـ. إعرابه
لفواتح من خلال كتابه إملاء مامن به الرحمن الزمخشري،
واعرابه للفواتح من خلال كتاب الكشاف أبو حيان واعرابه
لفواتح من خلال كتابه البحر المحيط ، الرمانى النحوى
واعرابه للفواتح خاتمة البحث .

٢٤٥

الفهارس

فهرس الأحاديث الشريفة

- أَعْرِبُوا الْكَلَامَ كَيْ تُعْرِبُوا الْقُرْآنَ ١٠٨
- أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ وَالْتَّمِسُوا غَرَائِيْهِ ١٠٨
- أَسِّيْتَ السَّمَاوَاتِ السَّبِيعَ وَالْأَرْضُونَ السَّبِيعَ عَلَى « قُلْ هُوَ اللَّهُ إِحْدَى » ١٤٣
- وَالذِّي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ١٤٣
- لَقَدْ إِنْزَلْتُ عَلَيَّ سُورَاتِنِ ما إِنْزَلْتَ مِنْهُمَا ، وَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأْ سُورَتَيْنِ ١٤٥
- أَحَبَّ عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمَا ، يَعْنِي الْمَعْوَذَتَيْنِ ١٤٥
- إِنْزَلْتُ الْلَّيْلَةَ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ ،
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١٤٦
- مَنْ قَرَأَهَا مَعَ سُورَةِ الْأَخْلَاصِ ثَلَاثًا حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ
كَفَةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ١٤٦
- مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَافِرِينَ فَكَانَمَا قَرَأَ رُبْعَ الْقُرْآنِ وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ
مِرَآةُ الشَّيَاطِينِ وَبَرِيءٌ مِنَ الشَّرِكِ وَيُعَافَى مِنَ التَّزْعِ الْأَكْبَرِ ١٤٧
- اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدُ جَبَشِيَّ كَانَ رَأْسَهُ زَبَبِيَّ ١٤٩
- اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ١٥٦
- كُلُّ عَيْنٍ بَكَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنٌ غُضِّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ،
وَعَيْنًا سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ١٦٢
- مَا مِنْ مَيِّتٍ إِلَّا خَتَمَ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا مِنْ مَاتَ مُرَايِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَإِنَّهُ يَنْمُولُهُ عَمَلُهُ ١٦٥

- رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ سَوَاهُ فِي الْمَنَازِلِ ١٦٥
- مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ كَالْفِ لَيْلَةً صَيَامَهَا وَقِيَامَهَا ١٦٥
- رَبُّ دِيْنِي .. يَرِيدُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا ١٦٨
- أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابٌ لَّؤْلُؤٌ مُجَوَّفٌ فَقُتِلْتُ : مَا هَذَا يَا جَبَرَائِيلُ
فَالَّذِي : هَذَا الْكَوْثُرُ ٢٠٢
- سَكُونٌ فِينَ ، قِيلَ مَا الْمُخْرَجُ . فَالَّذِي : كِتَابُ اللَّهِ ٢٠٩
- لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ ٢٢٨

- من أقوال الصحابة رضي الله عنهم -

- فَالَّذِي أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَأَنْ أَقْرَأَ فَأَسْقَطَ أَحَبَّ إِلَيَّ
مِنْ أَنْ أَقْرَأَ فَأَلْحَنُ ١٠٨
- قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَالسُّنْنَ وَاللُّحنَ
كَمَا تَعَلَّمُوا السَّبَاحَةَ ١٠٨
- وَقَالَ أَيْضًا « لَا يُقْرِئُ الْقُرْآنَ إِلَّا عَالِيمٌ بِاللُّغَةِ » وَقَالَ « إِنَّهُ سَيَأْتِيْكُمْ
نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِمُشَتَّهَاتِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنْنِ ٢٢٨
- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهِيَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزَدْ بِصَلَاتِهِ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا ، ١٥٨
- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَعَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ ٢١٠

فَهْرِسُ الشِّعَارِ

قافية الهمزة

(د)

فَأَتْرُكُوا الْبَغْيَ وَالتَّعْدَى وَامَّا
١٣٢ تَتَعَاشُوا فِي التَّعَاشِي الدَّاءُ
وَادْكُرُوا حِلْفَ الْمَجَازِ وَمَا قَدَّ
١٣٢ دَمَ فِيهِ الْعَهْوُدُ وَالْكُفَّلَاءُ
وَاعْلَمُوا أَنَّا وَإِيَّاكُمْ فِيَّ
١٣٢ مَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءُ

(ب)

فَإِنَّ الْأَرْضَ تَعْجَزُ عَنْ ثَيِّمٍ
وَهُمْ مُثْلُ الْمُعَبَّدَةِ الْجَرَابُ ١٨
أَنْتَ الْخَلِيفَةُ لِرَحْمَنِ يَعْرِفُهُ أَهْلُ
الْزَّبُورِ وَفِي السُّورَةِ مَكْتُوبُ ١٣٢
كُونُوا كَيُوسُفَ لَمَّا جَاءَ إِنْعُوتَهُ
وَاسْتَعْرُفُوا، قَالَ مَا فِي الْيَوْمِ مَكْتُوبُ ١٣٣
اللهُ فَضَّلَّهُ وَاللهُ وَفَقَهُ
١٣٣ تَوْفِيقُ يُوسُفَ إِذْ وَصَاهُ يَعْقُوبُ
فَعَادَ عَلَيْكِ أَنَّ لَكُنَّ حَظًا
١٤٨ وَوَاقِيَّةً كَوَافِيَ الْكَلَابِ

(د)

هِيفَاءُ مِقْبَلَةً عَجَزَاءُ مُدْبِرَةً
٢١ تَمَّتْ فَلَيْسَ يُرَى فِي خَلْفِهَا أَوْدُ
لِحَوَلَةِ أَطْلَانَ بِرَفَقَةِ ثَمَدِ
١٣١ ظَلَلتُ بِهَا أَبْكَيِ وَأَبْكَيِ إِلَى الغَدِ

وشُقِّي عَلَى الجَبَ يَا بُنَةَ مَعْدِي ١٣١
 دَعْوَنَا عِنْدَ هَبَّهَا الوليداً ١٩٧
 أَعَانَ عَلَى مَرْوِيَتِه لَبِداً ١٩٧
 عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قَعُودًا ١٩٧
 نَحْرَنَاهَا وَأَطْعَمَنَا الثَّرِيدَاً ١٩٧
 فَتَوَضَّحَ بَيْنَ حَوْمَلٍ أَوْ عَرَادَا ١٣٠

فَإِنْ مِنْ فَانِعِنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
 إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبَيِ عَقِيلٍ
 أَغَرَ الْوَجْهِ أَبِيضَ عَبْشِمِيَا
 بِأَمْثَالِ الْهِضَابِ كَانَ رَكْبَاً
 أَبَا وَهَبِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَاً
 قِفَا نَسَائِ مَنَازِلَ آلِ لَيْلَى

(ر)

وَحَارَبْ فِيهَا يَاسِرْ حِينَ شَرَّتْ ٢٠
مِنْ الْقِدَمِ مِعْجَازَ لَئِيمُ مَكَابِرُ

(ق)

فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنْ الْمَوْتِ رَبَّهُ ١٨
وَلَكِنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ لَمْ يَتَابَقُ

(ل)

بِسِقْطِ اللَّوْيِ بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ ١٣٠
 ثَوْمُ الضَّحَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ ١٧٤
 مَنَارَةُ مَمْسَى رَاهِبٌ مَتَّبِلٌ ١٧٤
 أَثْرَنَ الْغَبَارَ بِالْكَدِيدَا الْمَرْكَلَ ١٧٥
 وَيَلْوِي بِأَشْوَابِ الْعَتِيقِ الْمَتَّقِلَ ١٧٥
 يَصْبَحُ وَمَا الأَصْبَاحُ مِنْ لِئَلِ بِأَمْثَلٍ ١٣١

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرِهِ حَبِيبٌ وَمَنْزِلٌ
 وَيُضْحِي فَتِيتُ الْمِسْكُ فَوْقَ فِراشِهَا
 يُضْيءُ الظَّلَامَ بِالْعُشَّاءِ كَانَهَا
 مَسْحٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَئِي
 يَزِلُ الْغَلَامُ الْحُقُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ
 أَلَا أَيْهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ إِلَّا اِنْجِلي

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ أَنِّي «م» أَغْشَى الْوَغْيَ وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَعْنَمِ ١٧٥
 والخَلِيلُ تَقْتَحِمُ الْغَبَارَ عَوَابِسًا
 مِنْ بَيْنِ شَظَّيْمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْطَمِ ١٧٥
 تَحْمَلُنَّ بِالْعَلَيَاءِ مِنْ فَوْقِ جَرَثِمِ ١٣١
 وَذِيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسَمٍ ١٣١
 أَلَا أَبْلُغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً

٩

(ن)

وَلَا تُقْبِي خَمُورَ الْأَنْدَرِيَّا ١٣٢
 إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا ١٣٢
 إِذَا مَا دَاقَهَا حَسَى يَلِيَّا ١٣٢
 وَفَاتُوا فِي الْحِجَازِ لِعْجُزُونِي ١٧
 ثُطِيعُ بِنَا الْوُشَاءُ وَتَزَدَّرُنَا ١٧٥
 مَتَى كُنَّا لَامِكَ مَقَوِيَّا ١٧٥
 تَأْوِهُ أَهْمَةُ الرَّجُلِ الْحَزِينِ ١٩٦
 أَهْذَا دِينُهُ أَبْدَا وَدِينِي ١٩٦
 أَمَا يَقِنِي عَلَيْهِ وَلَا يَقِنِي ١٩٦
 أَلَا هُنَّيِّ بِصَحِبِكَ فَاصْبِحِينَا
 مُشَعْشَعَةً كَانَ الْحُصُّ فِيهَا
 تَجْوُرُ بِنْدِي الْلَّبَائِيَّ عَنْ هَوَاهُ
 جَعَلَتْ عُسْرَانَ حَلَفَهُمْ دَلِيلًا
 بَأْيِ مَشِيقَةٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ
 تَهَدَّدَنَا وَأَوْعِدَنَا رُويدًا
 إِذَا مَا مُتُ ارْجَلُهَا بَلِيلٌ
 تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيقِي
 أَكُلُ الدَّهْرِ حَلٌ وَارِتَحَالٌ

(هـ)

وَكَانَمَا تَبِعَ الصَّوَارُ بِشَخْصِهَا ٢١
 عَجْزَاءُ تُرْزَقُ بِالسُّلْطُنِي عِيَالَهَا

(ي)

لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ أَنَاسٍ إِنَّ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيَا
فَضَعُّ السَّيْفِ وَارْفَعْ السَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهَرِهَا أَمْوَالًا



طبع في **دارالفنانين** ص ١١٠٦٣٤٧ هـ ١٩٩٨ : - بيروت



مكتبة لسان العرب

www.lisanarab.com

الرابط بديل lisanerab.com

